

اسم الكتاب	فضائل الاعمال
المؤلف	محمد زكريا الكاندهلوى
المطابع	جوهر آفسيٹ پريس
سنة الطباعة	۱۹۹۸
ناشر	ادارہ اشاعت دينيات پرائيوٹ لميٹڈ
باہتمام	محمد انس

ISBN 81-7101-020-2

الفهرس

- [٣] تقديم الكتاب
بم فضللة الشفخ أبو الحسن على الحسنى الندوى
- [١٠] كلمة المؤلف
(الفصل الأول)
- [١٣] الدعوة و التبلىع كما تدل علىه آيات القرآن الكرىم
(الفصل الثانى)
- [٢٠] تأكيد الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر كما تدل علىه
أحادىث الرسول علىه الصلاة والسلام
(الفصل الثالث)
- [٣٦] أهمية أن يعمل الداعى بما يأمر به غيره
(الفصل الرابع)
- [٣٩] فضيلة إكرام المسلىن و النهى عن إهانتهم
(الفصل الخامس)
- [٤٢] التذرع بالاخلاص و الايمان و بطلب رضا الله
سبحانه فى كل عمل
(الفصل السادس)
- [٤٥] توقىر العلماء و الصالحىن و عدم الاستخفاف بهم
(الفصل السابع)
- [٥١] سمات أهل الحق و أهمية صحبتهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم الكتاب

بقلم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين
محمد و آله و صحبه أجمعين و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين ،
أما بعد !

فان عماد حياة الأمة الاسلامية و القطب الذي يدور حوله
نشاطها و حياتها ، و جدها و كفاحها ، هو الدعوة إلى الله و تبليغ
أحكامه و رسالاته ، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ،
و مكان هذا العمل بين أعمال هذه الأمة و أخلاقها و سماتها
« وهي كثيرة و مهمة ، هو المكان الرئيسي و الأساسي ، فهي
الغاية التي خلقت لأجلها و بعثت لمصلحتها ، وقد قال الله تعالى :
« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن
المنكر و تؤمنون بالله » ، (١) .

و قد فتحت هذه الآية الكريمة نافذة عظيمة منيرة كانت
مسدودة في معرفة طبائع الأمم ، و الاطلاع على مزينة هذه الأمة
من بين شعوب العالم ، و أثارَت علما دفيناً و كنزاً مطموراً

وأحدثت انقلاباً في النظرة إلى هذه الأمة ، ومركزها ، وقيمتها ،
و هو أن ظهور هذه الأمة على منصة العالم ، ومسرح التاريخ
و الأمم لم يكن مجرد ظهور مجموعة بشرية أو كتلة إنسانية ، ولم
تكن موجة من موجات البشرية الكثيرة ، و لا من فقاقيع الماء
التي تظهر و تختفي ، و تتكون ، و تندحر ، إنه ليس خروجاً
كخروج سائر الأمم ، إنما هو إخراج تسيطر عليه الحكمة الإلهية ،
و تمدّه إرادة الله القاهرة إنما هو تغيير لم يستخدم إلا في قضايا
الأنبياء المكرمين ، و عباد الله المرسلين و إن كان يفسر بشئ فإنه
يفسر بلفظ الارسال و البعثة .

و قد جاء الحديث الصحيح يفسره ، فقد صحیح عن رسول
الله ﷺ أنه قال مخاطباً لأصحابه : « إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا
معسرين » و لم يكن أحد أعرف من رسول الله ﷺ بخطور هذا
التعبير و قيمته ، و اختصاصه بالأنبياء و المرسلين ، و قد ورد في
القرآن في شأن الأنبياء في مواضع كثيرة يصعب استقصاؤها ، ولم
يكن رسول الله ﷺ يتكلم جزافاً ، و يرسل الكلام على عواهنه
إنما كان يزن الكلام وزناً ، و قد كان كلامه فصلاً لا فضول فيه
ولا تقصير ، ولا إطراءً و لا مبالغة ، فدل كل ذلك على أن هذه
الأمة هي مقصودة مهياً ، مأمورة منبعثة ، و قد طاب لذلك
و ساغ لأحد رسل المسلمين الذي اختاره الصحابي الجليل سعد بن
أبي وقاص ليكون ترجماناً للإسلام و المسلمين أن يقول في مجلس
ملك الفرس « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة الناس إلى

عبادة الله وحده ، و من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا و الآخرة .
و من جور الأديان إلى عدل الاسلام (١) .

و ذلك كله ، لأن الله سبحانه و تعالى تلد هذه الأمة نبية
نبيها الخاتم في تبليغ آخر الأديان ، و خاتمة الرسالات ، و هكذا
ربط صير الانسانية بها ، و إلى ذلك يشير قول النبي ﷺ في
إحدى خطبه التي خطبها في حجة الوداع : « إنه لا نبي بعدي ولا
أمة بعدكم » و لذلك ساغ له أن يقول في ساحة بدر :
« اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد » .

فبقا الانسانية ببقا هذه الأمة ، و بقاء هذه الأمة ببقا هذه
الصفة الدعوية و المركز الابلاغي ، و بمحافظتها على فريضة
الاساسية ، و نشاطها في مجال الدعوة إلى الله و تبليغ رسالاته
التي حملتها عن نبيها ، فاذا فقدت هذه الصفة ، أو أصبحت مغمورة
مطمورة ضاعت هذه الأمة ، أو تحللت و ذابت في خضم الأمم
و لجة الغايات و الفلسفات ، و مناهج الحياة ، أشرفت الدنيا كلها
على خطر ، و تعرضت الانسانية للتلغ ، و أصبحت المدنية كلها
جسماً بلا روح و لفظاً بلا معنى .

و قد استقامت هذه الأمة ، و سارت سيرها الطيبى ، و
استقامت الأمور ، و سلت البشرية ما دامت هذه الأمة محافظة
على غايتها و رسالاتها ، قوية نشيطة في أمر الدعوة إلى الله ، والحسبة
على الناس ، و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، و كان إخلالها

(١) راجع البداية و النهاية لابن كثير .

بهذا الواجب و تقويضها لهذا الركن الركين ثورة على طبيعتها
 وانحرافاً عن جادتها، وحناية على البشرية جمعاء تبعها أمراض وعلل
 و اختلالات و اضطرابات يشاهدها الانسان، ويزوق سمومها في
 كل مجال من مجالات الحياة، وفي كل مجتمع من المجتمعات البشرية،
 و لا سبيل إلى إعادة الأمور إلى نصابها و دخول البيوت من
 أبوابها إلا بعودة هذه الأمة إلى أداء واجبها وإلى سيرتها الأولى
 في أمر الدعوة إلى الله، و تبليغ رسالات الله، و القيام بالقسط،
 و الشهادة لله، و الحسبة على الأخلاق و الأعمال و التعاون على
 البر و التقوى، و التواصي بالحق و الصبر .

و قد قيض الله لهذه الأمة في كل دور من أدوار حياتها،
 وفي كل رقعة من رقع العالم الاسلامي رجالا يدعون إلى إحياء هذه
 الدعوة، و التمسك بهذه الفريضة، وعودة هذه الأمة إلى نشاطها
 السابق، و كفاحها الأول، تذكر بفضلهم هذه الأمة درسها المنسى
 و تعود إلى عملها المهجور، و تدب فيها حياة جديدة، و نشاط
 جديد .

و كان من هؤلاء الرجال الأفذاذ والمصلحين النوابغ الداعي
 إلى الله مولانا محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوى الدهلوى
 (م ١٣٦٣هـ) الذي تنسب إليه جماعة التبليغ التي طار صيتها في
 الشرق والغرب، وذرعت أتباعها الأرض في قارات آسيا و أفريقيا
 و أوروبا و أمريكا، ووصلوا الشرق بالغرب والشمال بالجنوب،
 وقد جدد الله به أمر الدعوة إلى الله فحيت إلى النفوس، وهانت

عليها الرحلات في سيلها ، وركوب البحار ، والتخليق في الأجواء ،
و تجشم المصاعب و كثرتها الانفاق في مصلحتها ، و كان للدعوة
نفاق و رواج ، و ذبوع و شيوع لم يشاهدا من عهد بعيد .

و لما كانت هذه الدعوة تقوم على الايمان
و الاحتساب في طمع في الأجر والثواب ، و الحرص على اتباع
الأنبياء و المرسلين ، و تقليد الصحابة و التابعين و أتباعهم ،
و اتباع أتباعهم بإحسان و يقين اشتدت الحاجة إلى كتاب يجمع بين
ما ورد في فضل الدعوة إلى الله في القرآن و الحديث ، و وعد
عليه من جزيل الثواب و عظيم الأجر ، و ما نقل عن الصحابة
و التابعين ، و السلف الصالحين ، و العلماء الربانيين ، و الرجال
المؤقفين من تنافس و تسابق ، و علو همة و قوة نفس ، و بعد
نظر في إقامة هذا الركن ، وإحياء هذه السنة أشار الداعية الكبير
على ابن أخيه الأبر ، و محدث العصر الأكبر مولانا الشيخ محمد
زكريا بن محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوى أن يؤلف في
هذا الموضوع كتاباً متوسطاً يميل إلى الاختصار يعتمد عليه و يلجأ
إليه في إثارة الشعور الايماني وإعلاء الهمة في سبيل الدعوة و تحمل
مناقها ، و تجرع مرارها ، و التدوق لحلاوتها مع مالها من شروط
و آداب و ملاحظات و احتياطات فألف هذا الكتاب الذي نسعد
بتقديمه ، و قد حظي من القبول ما لم يحظه كثير من الكتب المؤلفة
في هذا الموضوع ، و أعيد طبعه مراراً يصعب إحصاؤها ، و تناولته
الأيدي و تلففته الالسن و رده الخطباء و حفظه المتحفظون .

و لما انتشرت هذه الدعوة في الأقطار العربية ، و أصبحت جماعات التبليغ في غدو ورواح ، وذهاب و إياب ، شعر مغنيون بأمر هذه الدعوة بالحاجة إلى نقل هذه الكتب التي تسمى كتب الفضائل إلى اللغة العربية ، و قد كانت الكتب العربية من تفسير و حديث و سيرة و تاريخ مادة هذه الكتب ، و مصدرها ، ولكنها اختيار مختار ، و جمع جامع ، و شرح شارح و الجامع أحد المؤلفين كما يعرفه المشتغلون بالتأليف .

و قد وفق الله عدداً من فضلاء ندوة العلماء و أبنائها ، و أساتذتها لهذا العمل النافع ، فقل الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي . أسباب سعادة المسلمين و شقاوتهم ، و الأستاذ واضح رشيد الندوي . فضائل القرآن ، و الأستاذ محمد الحسنى . مكانة الصلاة في الإسلام و أهميتها في حياة المسلم .

و ها هو رابعهم الأستاذ محمد رابع الندوي أحد كبار أساتذة الأدب العربي في ندوة العلماء ، و منشئ صحيفة « الرائد » يقدم إلى القراء ترجمة كتاب (فضائل تبليغ) باسم « فضائل الدعوة إلى الخير ، و التبليغ لدن الله » في العربية ، و هو كاتب مجيد ، و مترجم قدير ، قد ظهر له كتاب بين التصوف و الحياة تقلامن أصله الأردى للأستاذ الكبير الشيخ عبد الباري الندوي ، نشرته دار القمع في دمشق و تلقى بالقبول و ترجم إلى اللغة التركية ، و الأمل و طيد في أن ينال هذا الكتاب حظه من القبول و العناية ، فذلك العهد بجميع مؤلفات المحدث الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندملوى ،

و تراجمها ، و نسأل الله مخلصين أن ينفع بهذا الكتاب و أن
يحقق به غرضه المطلوب .

أبو الحسن علي الحسنی الندوی

٢٠ من ربيع الثاني ١٣٩٣ هـ

دار عرفات

زاوية الشيخ علم الله الحسنی

رائے بریلی (الهند)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المؤلف

أحمد الله تعالى أولاً وأصلي وأسلم على رسوله الكريم
و بعد فقد أمرتني شخصية مباركة مبهونة من جماعة المجددين لدين
الله و رجل نابغة من علماء العصر الحاضر وشأنه العظام بأن
أقوم بجمع آيات و أحاديث تتصل بأهمية التبليغ لدين الله وأولف
منها كتاباً مختصراً .

و بحيث إنى أرى رضا مثل هؤلاء الريانيين ذريعة لنجاة
فى الآخرة وسبباً لتكفير سيئاتى فقامت بالطاعة لأمره و ما أنا
ذا أتقدم للقراء هذه العجالة النافعة .



فانى ألفت نظر كل مدرسة إسلامية وعناية كل لجنة إسلامية
وكل معهد إسلامى و كل مركز من مراكز المسلمين بل و ألفت
عناية كل مسلم إلى معرفة أن أعظم ما يقع من القصور فى الالتزام
بأمور الدين و أشد ما يقع على الدين من هجمات و حملات
لا من قبل الكفار و الأعداء و حدم بل من نحو المسلمين و كل
ما نراه من شدة انصراف المسلمين عن أداء فرائض الدين و واجباته
لا من عامة المسلمين بل من خاصتهم و أخص خاصتهم كذلك حتى

صار ترك الصلاة والصوم أمراً عادياً لا يهتم بها كبير اهتمام وبلغ الأمر إلى أن الناس يقعون في الشرك والكفر علانية ، يقعون فيها وهم لا يرون ذلك شيئاً عظيماً ولا يعدونه شركاً أو كفراً ، فإن كل ماعم وطم و ما يزداد قبحاً و فساداً كل يوم ، من ارتكاب الناس لكل الأعمال المحرمة و من انتشار الفسق و الفجور فيهم بصورة ظاهرة و من غفلة الناس عن أمور الدين و من استخفافهم و تحريتهم منه لم يعد كل ذلك الآن خافياً عن نظر كل إنسان .

و أصبحنا نرى أن الخاصة من علماء الدين وعامتهم كذلك أصبحوا يميلون إلى الانقطاع و الانصراف في حياتهم ، و صار يبد الناس عن دينهم يشتد بصورة طبيعية مستمرة وهم يبرؤون أنفسهم في ذلك فيقولون أنهم غير مخطفين لأنه لا يدلهم على دينهم أحد و لا يهديهم إليه سبيلاً ، أما العلماء فانهم يرون أنفسهم معذورين كذلك ، يقولون أن كلامهم لا يؤثر في هؤلاء . ولا يسمع لديهم ، ولكنني أقول أن التأويل من كلا الجانبين ضعيف و باطل ، ولن ينفع عند الله تعالى شيئاً سواه كان من عامة الناس وهو قولهم أنه لا يجثم على الخير أحد ، لأن طلب الأمور الدينية والبحث عنها واجب على كل نفس و لا قيمة لعذر رجل يرى نفسه متبعاً لقوانين حكومة من الحكومات ثم يقول إنه لم يعرف قوانين البلاد ، فلما كان ذلك لا يصح في أمر الدنيا فكيف يصح لدى أحكم الحاكمين ، فانما يكون ذلك أقبح حتى من اقرار الذنب نفسه ، و أما عذر علماء الدين بأنه لا يسمع لقولهم أحد ، فلا وزن فيه أيضاً ، ألا ترون أن

الاسلاف البررة الذين تنتمون إليهم قد احتملوا مصائب و شدائد
و لم يقصروا في تبليغ الدين ، فقد رموا بالحجارة و لقوا شتائم
سباباً و لكنهم صبروا و ظللوا ثابتين أقوياء في عزيمتهم و كانوا
ويحملون الشعور كل الشعور بأداء واجبهم نحو تبليغ الدين فقاموا
بتبليغ دين الله إلى الناس و نشروا الاسلام و أحكامه و قاموا
بدعوته مع كل عائق و صعوبة واجهوها في طريق ذلك .

ثم إن ما يزعمه كثير من الناس من أن الدعوة و تبليغ دين
الله هو عمل خاص بعلماء الدين فهو غير صحيح أيضاً ، بل إنما
يجب على كل من يرى منكراً و هو قادر على تغييره أو على تهيمه أسباب
تغييره أن يقوم بتغيير هذا المنكر ، ولو افترضنا ما يزعمه الناس
و يقولونه من أن هذا العمل خاص بالعلماء فكيف يكون الأمر
إذا قصر العلماء في أدائه بتهاونهم و غفلتهم أو لأسباب أخرى ، أفلا
يكون إذن من الواجب أن يعد هذا العمل فريضة في ذمة كل
مسلم ، فإن العناية الكبيرة التي تظهر من آيات الكتاب و أحاديث
الرسول عليه السلام في شأن تبليغ دين الله و الأمر بالمعروف
و النهي عن المنكر غير خافية و لا مستورة و إنها ستبين لك بما
سنسوقه في الفصول الآتية إن شاء الله و بناءً على ثبوت ذلك
لا يمكن أن تبرأ ذمة أي مسلم من مسؤولية هذا العمل فيجبها إلى
علماء الدين وحدهم ، أو يكتفى باتهامهم بالتقصير في أدائه .

فاني أوجه نداءاً عاماً إلى كل مسلم بأن يساهم اليوم في
عمل الدعوة و التبليغ مساهمة يقدر عليها ، و أن يندل من أوقاته

في هذا السبيل بقدر ما يمكن له .
 و ليس هناك شك في أن عمل الدعوة إلى الله و الأمر
 بالمعروف و النهي عن المنكر غير محتاج إلى أن يكون صاحبه
 عالماً دينياً كاملاً فان كل من يعرف شيئاً من أحكام الدين فمن
 مسؤوليته أن يبلغ ذلك إلى الآخرين ، وإذا رأى منكراً و هو قادر
 على منعه أو تغييره فيجب عليه أن يقوم بمنعه و تغييره .



الفصل الأول

الدعوة و التبليغ كما تدل عليه آيات القرآن الكريم

أذكر في هذا الفصل آيات من كتاب الله سبحانه و تعالى
 ما تؤكد على ضرورة القيام بالدعوة الدينية ، و تحث على اختياره
 فاني أريد أن أتبرك بها ، كما سأشرح بمساعدتها مدى ما يحمله هذا
 العمل عند الله سبحانه و تعالى من أهمية فقد ذكر الله تعالى هذا العمل
 في كتابه بطرق مختلفة و بسياقات متعددة ، فان عدد الآيات التي
 جاء ذكره فيها - على أساس ما وصل إليه علمي للضعيف - ستون
 آية ، وكلها في الحث على هذا العمل والالتزام من تركه ، فلو اعنى
 رجل يبحث دقيق في الأمر فقد يجد عدد هذه الآيات كبيراً جداً ،
 ولما كان ذكر جميع هذه الآيات سبباً إلى إطالة الكلام فرأيت
 الاكفاً بوضع آيات منها .

(١) قال الله عز وجل اسمه ، ومن أحسن قولاً من دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إني من المسلمين .

قال المفسرون في شرح هذه الآية أن كل من يقوم بالدعوة إلى الله فأما يستحق هذه البشارة ، و يستحق المدح المذكور فيها، أياً ما كانت طريقته في قيامه بهذه الدعوة ، و مثاله أنك ترى أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يدعون إلى الله بالمعجزات ، أما العلماء فيقومون بالدعوة عن طريق الحجج العلية و المجاهدون يقومون في سبيل الله بهذا العمل عن طريق السيوف ، و المؤذنون ينادون إلى الله بكلمات أذانهم و كلها طرق للدعوة فكل من يدعو إلى الخير فهو يدخل في مصداق هذا القول الشريف سواء كان يدعو إلى أعمال الخير الظاهرة ، أو إلى أعماله الباطنة كدعوة المتصوفة إلى معرفة الله تعالى (١) و كتب المفسرون أن آية « و قال إني من المسلمين » تشير إلى لزوم اعتزاز المسلم بإسلامه مع ثباته عليه وهو أن يرى في ذلك شرفاً لنفسه و يذكر ميزته هذه مفتخراً بها و قال بعض المفسرين أن المقصود ليس منه أن يصف نفسه بالعظمة إعجاباً بوعظه و نصحه و تبليغه بل يصف نفسه بأنه رجل من أتباع الإسلام .

[رواه أبو داؤد ورواه المنذرى في الترغيب والترهيب]

(٢) و قال الله تعالى « و ذكر فأن الذكرى تنفع المؤمنين » .

شرح المفسرون هذه الآية بقولهم أن المقصود بذلك هو التذكير بآيات القرآن فإن ذلك نافع جداً ، أما نفعه في حق

المؤمنين فظاهر، وأما في حق الكفار فلاننا نرجو أنهم سيقبلون على دين الله ويدخلون في زمرة المؤمنين ويصبحون بذلك مصداق هذه الآية الكريمة، ولقد انسدت اليوم طريق الوعظ والنصح الحقيقيين إلى حد كبير، وصار غرض الواعظين بصورة عامة هو إمتاع النفوس وإظهار البراعة في الكلام لينالوا بذلك مدح الناس ورضاهم ببراعتهم مع أن النبي ﷺ يقول كما جاء برواية أبي هريرة رضي الله عنه، إن من تعلم صرف الكلام يسبي به قلوب الرجال، أو الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً و عدلاً (١).

(٣) وقال الله تعالى : « و أمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً ، نحن نرزقك و العاقبة للمتقين .

و جاء في أحاديث متعددة أن النبي ﷺ إذا أحب لرجل أن يرزق عنه ضيقه في معيشته فكان يأمره بالصلاة، و يحثه عليها و يتلو هذه الآية الكريمة مشيراً إلى أن الوعد بالسعة في الرزق إنما علق بالاهتمام بالصلاة، و كتب العلماء أن أمر الله سبحانه وتعالى للرجل في هذه الآية بالاهتمام بأداء الصلاة مع قيامه بأن يأمر به غيره أيضاً فلم يرد إلا لأن ذلك مفيد جداً، فانه عندما يهتم بأدائها ثم يقوم بتبايخها فيكون وعظه أكثر تأثيراً على غيره كما يكون سبباً لاهتمام غيره أيضاً ولذلك أرسل الله تعالى الأنبياء عليهم السلام للتبليغ بالهداية ليكبروا بأنفسهم أسوة للناس، فيسهل العمل على العاملين ولذلك إن يكون معقولاً أن يخطر ببال الناس أن كذا وكذا من الأعمال

(١) رواه أبو داؤد ورواه المنذرى في الترغيب و الترهيب .

المأمور بها صعب لا يمكن أدائه ، أما ما وعد الله تعالى به من الرزق على ذلك فمن فائدته أن الاهتمام بأداء الصلوات في أوقاتها قد يجر إلى وقوع بعض الضرر في وسائل المعيشة ظاهراً و ذلك بوجه خاص في التجارة أو الوظيفة ، فلذلك أزال الشك في هذا الأمر بما وعد به من كونه في يد الله سبحانه وتعالى ، وكان ذلك كله من الناحية الدنيوية ، وخيراً ذكر كأساس مبدئي وأمر بدبهي أن العاقبة الحقيقية هي للتقين لا يشاركونهم في ذلك أحد .

(٤) و قال الله تعالى : « يا بني أقم الصلاة و أمر بالمعروف و انه عن المنكر و اصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » .

ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أموراً عظيمة ، ولا شك أنها أمور هامة جداً و هي ذريعة إلى كل نجاح و لكننا جعلناها وراء ظهورنا .

أما الأمر بالمعروف فلا تستل عنه ، فقد أوشك أن يتركه الجميع ، أما العبادات الأخرى فأهمها هي الصلاة ، و هي أهم منزلة بعد الإيمان ، أليست الغفلة عنها قد بلغت مبلغاً كبيراً جداً ، السنن يرى المتزمنين بأداء الصلاة - فضلاً عن تاركي أدائها - أنهم يقصرون في الاهتمام التام بها ، وبالأخص في أدائها مع الجماعة و ذلك هو الذي تجب الإشارة إليه في قوله « أقم الصلاة » فاننا مع كل أسف لا نجد الاهتمام به اليوم إلا في فقراء المسلمين ، أما أغنياء المسلمين و سراهم فكأنهم يرون لأنفسهم في حضور المساجد عيباً و عاراً ، قال الله المشتكى .

(٥) و قال : « و لكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون »

أمر الله سبحانه و تعالى في هذه الآية الكريمة بالانزام أمر عظيم و هو وجوب أن تخصص جماعة من المسلمين للاقتيام بدعوة الناس إلى الاسلام ، كان هذا الأمر للمسلمين و لكننا تركناه مع الأسف بصورة كاملة ، واختارها غير المسلمين وقد التزموا بها بكل عناية ، فقد ترى جماعات من النصارى تخصصت للدعوة لدينهم في أنحاء العالم كله ، وتجد ذلك في أمة أخرى أيضاً فقد تخصص فيها أفراد و أشخاص لهذا الغرض فهل توجد في المسلمين جماعة تقوم بهذا العمل ؟ إذا لم يكن ردكم على سؤالى هذا بلا ، فليس من السهل أيضاً أن يكون هذا الجواب بنعم ، و قد أصبح من عادة المسلمين أن جماعة أو شخصاً إذا قام لهذا العمل فهم يستهدفونه بانتقاداتهم و طعنهم وبذلك تنهار همته عن ذلك انهياراً و يقعد عن العمل ، إما هذا اليوم أو في غد ، مع أن واجب النصيحة والتعاون المفروض على كل مسلم في هذا السبيل كان يقتضى أن تحصل منه المساعدة لآخيه والسعى لاصلاح تقصيره إن كان فيه تقصير ، لا أن يتراخى هذا الرجل بنفسه عن العمل ثم ينتقد العاملين و يطعن عليهم حتى يجهلهم مضطربين إلى القعود أخيراً .

(٦) كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله .

و قد ورد بكل وضوح في عدد من الأحاديث الشريفة عن

المسلمين أنهم أشرف الناس و ورد عن الأمة المحمدية أنها أشرف الأمم وقد جاء مثله في آيات من القرآن الكريم أيضاً جيناً بوضوح و جيناً بإشارات ، وهذه الآية الشريفة تدل أيضاً على هذا المعنى كما تشير الآية إلى سبب ذلك أيضاً و هو « أنكم خير أمة ، لأنكم تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر .

و ذكر المفسرون أن هذه الآية ذكرت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل ذكرها للإيمان ، وإن كان الإيمان أصل كل شئ ، و لا قيمة في خير إذا لم يكن معه الإيمان ، والسبب في ذلك هو أن الإيمان صفة اشركت مع الأمة الإسلامية فيها أمم سابقة أيضاً و لكن الذي يرفع الأمة الإسلامية من بين أتباع الانبياء السابقين جميعاً بصورة خاصة ، هو هذا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و هو طرة مميزة على جبين هذه الأمة ، و بحيث أن أى عمل من أعمال الخير لا يكون مقبولاً عند الله تعالى إلا إذا كان مع الإيمان ، فلذلك أتى ذكره كقيد من قيود ذلك و إن لم يكن ذكره بعينه مقصوداً حقيقياً في هذه الآية الكريمة ، و لما كان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر هو المقصود في هذا الموضع تقدمه في ذكره على غيره .

أما المراد من كونه طرة لامتياز هذه الأمة فيظهر من وجوب الاهتمام به و بذل العناية الخاصة به فليس القيام بالتبليغ بصورة سطحية عاجلة مفيداً و كافياً ، لأنه بهذا المستوى كان موجوداً في الأمم السابقة أيضاً ، كما يظهر من آية « فلما نسوا ما ذكروا به .

و من غيرها من الآيات ، فبهزة الأمة الاسلامية مرتبطة بغضايتها
الخاصة بهذا العمل ، وهو أن يتخذها عملاً دائماً و يشتغل فيه كما
يشتغل في غيره من الأعمال الدينية الأخرى .

(٧) و قال الله تعالى : لا خير في كثير من نجواهم إلا من
أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس و من يفعل
ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً .
لقد وعد الله سبحانه و تعالى في هذه الآية القائلين بالامر
المعروف بالأجر العظيم وكم يكون الاجر عظيماً و يكون مقداره
كثيراً ، إذا كان الله سبحانه و تعالى بنفسه يصفه عظيماً ، و أما تفسير
هذه الآية فقد ذكرت السكتب أنه روى :

عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :
ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام و الصدقة و الصلاة ؟ قال :
قلنا بلى ، قال : إصلاح ذات البين ، وفساد ذات البين هي الخالقة .
[رواه أبو داؤد و الترمذى]

ووردت نصوص كثيرة في الحث و التأكيد على القيام بالإصلاح
ما بين الناس و لا حاجة هنا إلى ذكرها ، وإنما المقصود هي الدلالة
على ضرورة اهتمام المسلم بما رسمه من الوسائل للإصلاح بين
الناس فإنه عمل يدخل في نطاق الأمر بالمعروف أيضاً .



الفصل الثاني

تأكد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما تدل عليه أحاديث
الرسول عليه الصلاة والسلام

نذكر في هذا الفصل عدداً من الأحاديث الشريفة مما يتصل
بموضوعنا في هذا البحث وليس غرضنا هنا أن نسقى جميع الأحاديث
المتصلة بهذا الموضوع ولا يسعنا ذلك ولو جمعنا أحاديث كثيرة،
و من الذي يقرأها ويتأمل فيها اليوم ، فقد شغل الناس في هذه
الأيام عن الرغبة في مثل هذا ولا يسمعه وقتهم أيضاً فلذلك آثرنا
الاكتفاء بالضرورة القليل لنلفت الأنظار إليه ولنبلغ إلى قرائنا ما
وجدناه من شدة تأكيد رسول الله ﷺ على الإقبال عليه ، و ما
قام به من إنذار ووعيد لمن يتركه ويتعافل عنه
فهنا عدد من الأحاديث الشريفة تقدمها إليكم .

(١) عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول
من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه و

إن لم يستطع فقلبه و ذلك أضعف الإيمان .

[رواه مسلم و الترمذى و ابن ماجه

و النسائى ، كذا فى الترغيب]

و قد ورد فى حديث آخر : و من لم يستطع أن يغيره

بلسانه فغيره بقلبه فقد برى و ذلك أضعف الإيمان .

[الترغيب ج ٣ ص ٢٢٣ باب الترغيب في الأمر بالمعروف]

وردد في حديث آخر : فن جاهدكم بيده فهو مؤمن و من
جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل.

[رواه مسلم و الترغيب ج ٣ ص ٢٢٦]

و هناك احاديث مختلفة رويت عن رسول الله ﷺ و هي
تحدث عن هذا الامر الهام فلتفكر في هذا الشأن و نظر إلى
قصصنا في ذلك ، فاقبل بين الناس من يغير بيده المنكر عندما يراه
أو يقوم باستنكاره ويصفه بأنه حرام ، أو يكون على الاقل في آخر
درجة من درجات الايمان فيكرهه و يتألم عندما يرى وقوعه ،
فكروا في ذلك إخواني ؟ فكروا فيه و أنتم بمخلوة ثم انظروا
ماذا كان يجب و ماذا حدث .

(٢) عن العيمان بن بشير قال مثل القائم في حدود الله والواقع

فيها كمثل قوم استهوا على سفينة نصار بعضهم أعلاها

وبعضهم أسفلها فكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء

سروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا نضينا خرقتا ولم نؤذ

من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا

على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً . [رواه البخاري والترمذي]

عن زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبي ﷺ دخل

عليها فزعاً يقول : لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد أقرب

فتح اليوم من ردم ياجوج و . أجاج مثل هذه ، و خلق بين

إصبعيه الايمان و التي نالها ، فقلت أمهلك و فينا الصالحون ، قال

نعم إذا كثرت الخبث .

[رواه البخاري و مسلم والترغيب ج ٣ ص ٢٢٦]

نجد في كل مناسبة و في كل مكان أن الناس يكثرون ذكر
انحطاط المسلمين وسقوطهم ويعنون على حالتهم الحاضرة، ويقترحون
بشئ الطرق لإصلاح وضعهم وحالتهم، ولكن أحداً من «الرجعيين»
(علماء الدين) لا ينظر - فضلاً عن المتورين المتهقين بالثقافة
الجديدة - إلى المرض الذي ذكره و أخبر به طيبنا الحقيق وربنا
الرحيم، ولا إلى الدواء الذي وصفه، لعلاجه، ولا ينظرون إلى أي
حد قاموا بهذا العلاج، أليس من ظلمهم وجورهم أن الأمر الذي
كان من أكبر أسباب هذا المرض أصبحوا يصفونه علاجاً للمرض
نفسه (ليس الأمر إلا أنهم يتعاقلون عن الالتزام بالدين ووسائله
ويستبدون بأراهم مع أنهم يطلبون رقي الدين و قوته) فلا عجب
إذن إذا هلك المريض بهذا الدواء إما اليوم و إما في غد .

(٣) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :
أول ما دخل النقص على نبي إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل
فيقول : يا هذا اتق الله و دع ما تصنع به ، فإنه لا يحل لك ثم
يلقاه من الخد و هو على حاله فلا يمتعه ذلك أن يكون آكله
وشريبه و قعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض
ثم قال لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ، إلى قوله فاصفون ، ثم
قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على
يد الظالم ولتأطرن على الحق أطراً (١) .

(١) رواه أبو داؤد و الترمذي كذا في الترغيب .

وقد ورد في حديث آخر قال رسول الله ﷺ : لا وقت
 بنو إسرائيل في المعاصي نهام علاؤهم فلم يتسبوا ، بجالسهم في
 مجالسهم و أكلهم و شاربهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض
 و لعنهم على لسان داؤد و عيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
 يعتدون ، جلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال : لا والله نفسي
 يده حتى تاطروهم على الحق أطراً . [الرغيب ج ٣ ص ٢٢٩]
 و ذكر أمنا الحديث آيات من القرآن الكريم تائيداً لقوله
 لأن هذه الآيات تشمل على بيان لعنة الله على هؤلاء ، و أحد
 الأسباب العديدة لهذه اللعنة ، هو أنهم لم يكونوا يتناهون عن منكر
 فطره .

يستحسن الناس اليوم أن يكونوا مسلمين كل المسألة ،
 فلا يتكلموا في أي مناسبة إلا مايناسب تلك المناسبة ، و يعدون ذلك
 كمالاً و رحابة في السلوك و الخلق ، مع أن ذلك خطأ إذا كانت هذه
 الرحابة مطلقة و صورة عامة ، و لكن الأمر بالمعروف و النهي
 عن المنكر إذا لم يكن مؤثراً أو مفيداً في موضع كان فيه
 الصمت و المسألة جائزاً فقط ، و لكن (بدون الموافقة
 و التأييد للحال السائد) أما المواضع التي ينفع فيها الأمر
 بالمعروف مثل شؤون الأولاد و شؤون من هم تحت إشرافه و في رعايته ،
 فإن يكون الصمت و الرضا في هذه المواضع حسناً ، ولن يسمى بكمال
 الخلق ، بل إنما يعد الساكت عن الحق في هذه المواضع مجرماً في
 قانون الشريعة و الاجتماع كليهما .

و لقد ورد في روايات عديدة أن الذنب الذي يقترفه رجل في الخفاء يكون ضرره على المقترف وحده ، و لكن الذنب الذي يقع بصورة مكشوفة و بحيث يمكن للناس أن يمنعوه ، و لكنهم لا يمنعونه فاذن يكون ضرره عاماً على الجميع (١) .

فليُنظر كل واحد منا إلى ما حوله و يفكر في كم من الذنوب و السيئات يسعه أن ينكرها و يغيرها ولكنه يتغاضى عنها ويتغافل فيها ويعرض عنها ، والظلم الأكبر هو أن رجلاً ما إذا أراد أن ينكر هذه الذنوب و ينهى عنها قام الناس لمخالفته يصفونه بقلة الحكمة و ضعف البصيرة ويعارضونه معارضة فضلاً عن أن يعارضوه و يساعدوه في قيامه بالخير و الحق ، فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

(٤) عن جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه ، و لا يغيرون إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا (٢) .

(١) لقد جاء في رواية لعدي الكندي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يردوا المنكر بين ظهرانهم و هم قادرين على أن ينكروه فلا ينكروا . فإذا فعلوا ذلك عذب الله تعالى العامة و الخاصة ، رواه في شرح السنة نقلاً عن المرجع السابق .

(٢) رواه أبو داؤد و ابن ماجه و ابن حبان و الأصبهاني و غيرهم ، كذا في الترغيب .

يا سادق وأصدقائي الذين يحبون عزة الاسلام ومجده أنظروا
فان هذه هي أسباب رزية المسلمين و انحطاطهم المستمر فلينظر كل
واحد إلى ذويه و لو نظرة واحدة لا إلى غيره ولا إلى من في
منزله و مستواه بل إلى أفراد أسرته و إلى من تحت رعايته وإلى
أولاده وإلى مرؤوسية ، لينظر كل واحد إلى تلك المعاصي الظاهرة
التي يقع فيها هؤلاء ثم لينظر هل هو يمنعهم من ذلك عن طريق
وجاهته لديهم و أثره عليهم أم يسكت أمامهم ، ودعوا عنكم أمر
القيام بالمتع عن المعاصي ، بل أنظروا هل أردتم يوماً منعهم من
ذلك أو خطر على بال احدكم أن حيبه يفعل كذا و كذا ،
مع أنه إذا صدرت منه جريمة في شأن الحكومة السائدة
أو حضر في إحدى الحفلات السياسية المحظورة ، لم يكن منك تجاهه
إلا انزعاج و خوف شديد من أن يصيبك أنت أيضاً اتهام أو
شك في ذلك فتسرع إلى زجر صاحبك و تحاول تبرئة نفسك عما
قد ياحقك في هذا الشأن من ريبة أو مكروه ، هل فكرتم أبداً
في الموقف الذي تقفونه بالعكس منه تجاه مرتكب الجريمة في شأن
أحكام الحاكمين .

أليس من الواقع الملوس يا أخي أنك قد تعرف كل المعرفة
أن ابنك الحبيب مفرم بلعب الشطرنج و أنه يتلهى بلعب الأوراق
و يترك أداء الصلاة في مختلف أوقاتها ، ولكنك مع ذلك لا
تبدى على ذلك استكثاراً و لا تقول له ماذا تفعل؟ فهذا يا أخي
ليس من شأن المسلمين مع أنك كنت مأموراً حتى بأن تهجر
المواكلة و المشاركة معه كما مر سابقاً ، فما أبعد الفرق بين الحالتين

و الطريقين .

و يوجد عدد كبير من الناس يقوم بالسخط و الغضب على أولاده لأنهم يقضون أوقاتهم في الكسل و البطالة و يؤثرون البقا. في البيوت كأنهم أحلاسها ، و لا يحاولون للحصول على وظيفة ، و لا يودون واجبهم نحو حانوتهم ، أما إذا بحثنا بحسب ذلك عن أناس يقضون على أولادهم لأنهم يتكاسلون في حضور الصلاة جماعة أو أنهم يصلون الصلاة قضاءً فلا نجد هؤلاء إلا نادراً

سادق و أصدقائي : إن هذه الأمور لو كانت مما تستوجب المصيبة في الآخرة وحدها لكانت لائقة بأن يجتنبها الناس اجتناباً شديداً ، و لكن الأدهى و الأمر هو أن أضرار حياتنا المادية هذه و خسائرها التي تعد أهميتها أشد من أهمية الخسارة الآخروية ليست نتيجة إلا لهذا التهاون و التقصير ، أنظروا إلى أي حد بلغت غباوتنا هذه و تقصيرنا و ضلالتنا. وقد قال الله تعالى : « من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و أضل سبيلاً كما أن هذه الحالة مصداق لقوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة » .

(٥) روى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها و ردت عنهم العذاب و النعمة ما لم يستخفوا بحقها قالوا : يا رسول الله ما الاستخفاف بحقها قال يظهر العمل بمعاصي الله ، فلا ينكر ولا يغير (١) .

أنظروا إلى أي حد بلغت المصيبة في أمر الله اليوم هل بقي لها حد لم تبلغ إليه ، أما محاولة إنكارها و صدها أو تغييرها بعض التغيير ففقود و متروك ، فحينئذ إذا بقي للمسلمين وجود مع هذا الوضع الخطير ، فانما يستحق أن يعد نعمة من نعم الله تعالى ولا غير ، مع أننا لم تكن جديرين بذلك لأننا لم نترك سبباً ولا وسيلة تسوقنا إلى الهلاك إلا اخترناه .

عن عائشة رضی الله عنها قالت قلت يا رسول الله : إن الله أنزل سطوته بأهل الأرض و فيهم الصالحون فيهلكون بهلاكهم ؟ فقال : يا عائشة إن الله عز و جل إذا أنزل سطوته بأهل نعمته و فيهم الصالحون فيصيرون معهم ، ثم يبغثون على نياتهم (١) .
ولذلك يجب على أولئك الذين اعتمدوا على صلاحهم ودينهم أنفسهم و قعدوا منقطعين عن الاهتمام بالحالة السيئة التي يقع فيها غيرهم ، أن لا يغفلوا عن الخطر فإنه لو نزل عذاب الله عقاباً على انتشار السيئات و الآثام ، فلن يكون هؤلاء الصالحون أيضاً في منجى منه .

(٦) عن عائشة قالت دخل على النبي ﷺ فعرفت في وجهه أن قد حضره شئ فتوضأ و ما كلم أحداً فلصقت بالحجرة استمع ما يقول فقعد على المنبر فحمد الله و أثنى عليه و قال : أيها الناس : إن الله تعالى يقول لكم مروا بالمعروف و انهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم و تسألوني فلا أعطيكم و تستصروني فلا

أنصركم فما زاد عليهن حتى نزل (١) .

يجب أن يفكر في ذلك كل من يأمر بالتساهل والتساهل في أمر الدين عند ما تمس الحاجة إلى مقاومة العدو ، وذلك لأنه لا يمكن نصرة المسلمين وإعانتهم إلا بالصلاة في الدين ، فان الصحابي الجليل أبا الدرداء يقول : ليكن منكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلا سلب الله عليكم ملكا لن يحترم كبيركم ولن يرحم صغيركم . وحينئذ إذا دعا الصالحون منكم فلن يستجاب لدعاهم ، وإذا استصرتهم فإن تصبروا ، فقد قال الله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تصبروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم » وورد في آية أخرى « إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن الذي ينصركم من بعده و على الله فليتوكل المتوكلون » .

عن حذيفة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : والذي نفسى بيده لتمرن بالمعروف ولتتمون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم اتدعته و لا يستجاب لكم .

(رواه الترمذى نقلا عن المصدر السابق)

وهنا يمكن لنا و لحضرات إخواننا أن نفكر في أمر المعاصي والسيئات التي نقترفها ونرتكبها ، فانه يسعنا بذلك أن نعرف لماذا تضع جهودنا ويطل التأثير من دعواتنا ، وهل نستوجب بذلك لأنفسنا التقدم والرفعة أو نستوجب الانحطاط والذلة .

(٧) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه . كذا في الترغيب .

إذا عظمت أمي الدنيا نزعتم منها هيبة الاسلام ، و إذا تركت الامر بالمعروف و النهي عن المنكر حرمت بركة الوحي ، و إذا تسابت أمي سقطت من عين الله ، (كذا في الدر عن الحكيم الترمذي) .

اعلوا أيها المنادون بتقدم الأمة و خيرها أن كل واحد من أبناء الأمة إنما يسعى لمجد الاسلام و مجد المسلمين و لكن الوسائل التي تختار لهذا الغرض لا تسوق إلا إلى الانحطاط و السقوط ، إنكم أيها الاخوة إذا كنتم تؤمنون بأن رسولكم (نفسي فداء ﷺ) هو الرسول الحق و أن تعاليمه هي التعاليم الصادقة فلماذا تنظرون إلى ما يصفه ﷺ من الامور بأنها أسباب المرض و أنها أسس الفساد و السقوط بنظرة الانكار بل ترهبها بعكس ذلك من أسباب الشفاء و الصحة ، و قد قال النبي ﷺ : لن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ، و كذلك أيها الاخوة تريدون أن يزول عن طريقكم هذا الستار الديني ليسمعكم من بعده التقدم و الرقي على غرار الأمم الأخرى ، و قد قال الله تعالى « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه و من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها و ما له في الآخرة من نصيب » .

و ورد عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، و جمع له شمله و آتته الدنيا و هي راغمة ، و من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، و مزق عليه شمله ، و لم يأت من الدنيا إلا ما قدر له (رواه ابن ماجه و الترمذي نقلًا عن المصدر السابق ص ١١٨) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : تلا رسول الله ﷺ :
 « من كان يريد حرث الآخرة ، الآية ، قال يقول الله : ابن آدم !
 تفرغ لعبادتي أَمْلاً صدرك غنى ، وأسد فقرك ، وإلا تفعل ملأت
 صدرك شغلاً ، و لم أسد فقرك - [تتلا عن المصدر السابق]

هذا قول الله وقول رسوله ، ثم ترون أنتم أن تختلف المسلمين
 و ضعفهم في مجال الرقي و التقدم إما جاء بسبب أن الوسائل
 و الأسباب التي تختار للسير في مدارج الرقي و التقدم إنما يعرفها
 فيها علماء الدين ، هؤلاء الضامون ، فيأله من سخافة ، إنه لو كان
 هؤلاء العلماء طامعين في الدنيا لكان هذا التقدم والرقي الذي قد تحصلون
 عليه موضع غبطة وسرور لهم ، لأن أرزاقهم تأتي إليهم كما ترعمون
 من أيديكم ، فكلمة اتسع نطاق رقبكم و كثرت مكاسبكم كان سبباً
 لاتساع رزقهم أيضاً ، فلماذا يعارض هؤلاء المرضون جهودكم
 و آراءكم ، فهل هناك سبب أو اضطرار يجبرهم على أن يحرموا
 أنفسهم من المنافع ويخربوا بيوتهم ويفسدوا معاشهم أيضاً باغضاب
 مرتبهم و محسنهم أمثالكم .

فكروا ساعة يا أصدقائي و إخواني ! إذا كان هؤلاء العلماء
 «الرجعيين» يقولون قولاً يمدونه بوضوح في كتاب الله نفسه ، فليس
 انصرافكم عن هذا القول و إعراضكم عنه إلا مخالفاً للعقل بل
 ومخالفاً للعظمة الاسلامية كذلك ، وإن هؤلاء العلماء الرجعيين مهما
 كانوا ضعفاء قاصرين لركبتهم ماداموا يبلغون إليكم قول الله عزوجل
 و قول رسوله الكريم ﷺ ، فيجب عليكم أمثاله و إذا عرضتم

عنه فستقلون عن ذلك يوم القيامة ، و هل يوجد عاقل يسمع
 لشخص ما بأن يقول عند مخالفته لقانون حكومة بلاده أنى
 أخالفه ، لأن الذى أخبرنى بهذا القانون كان من المتبوعين أو
 من الكناسين .

لا تقولوا: إن هؤلاء الشيوخ الذين يعانقون عن أنفسهم
 الاختصاص بالأعمال الدينية يتلون مكسباً من أصحاب الدنيا ، فأنى
 أرى وأقول أن شيوخ الدين الحقيقين لا يأخذون لأنفسهم شيئاً
 بل كلما زاد اشتغالهم بالعبادة زاد فيهم الاستغناء و التعفف حتى
 في قبول الهدايا غير المسال الذى يسألونه لتحقيق مشاريع الدين
 و لسد حاجاته وأداء مهامه ، فان ذلك عمل حسن وسوف يثابون
 عليه عند الله أكثر مما سيثابون على عدم سؤا لهم لأنفسهم .

و يعترض كثير من الناس بقولهم إنه ليس في دين محمد
 ﷺ تكلم بالرهانية ، و إن الدين و الدنيا قد جمعا في الاسلام كما
 يشير إليه قول الله عز و جل : • ربنا آتانا في الدنيا حسنة و في
 الآخرة حسنة وقنا عذاب النار • فالمعترضون يكثرون ذكر هذه
 الآية كأنما هذه الآية هى وحدها نزلت للعمل بها في القرآن، إنه كان
 من الواجب عليهم أن يسألوا الراغبين في العلم عن تفسير هذه
 الآية ولذلك قال العلماء: إن الرجل الذى ظن عن نفسه بعد مجرد
 قراءته لترجمة معانى القرآن أنه أصبح عالماً بالقرآن لم يجاوز أمره
 أمر الغباورة و الجهالة ، أما ما نقل عن الصحابة الكرام و العلماء
 التابعين من تفسير لهذه الآية الشريفة فهو كما يأتي .

روى عن قتادة رضى الله عنه أن المراد من حسنة الدنيا هي
السلامة و الكفاف من الرزق و روى عن علي رضى الله عنه :
أن المراد منها هي الزوج الصالحة ، و روى عن حسن البصرى
رحمه الله أن المراد منها هو العلم و العبادة ، و روى عن السدى
أن المراد منها هو المال الطاهر ، و روى عن ابن عمر أن المراد
هم الأولاد الصالحون ، و مدح الخلائق له ، و روى عن جعفر
رضى الله عنه أن المراد منها هو الكفاية فى الصحة و القوت ،
و حصول الفهم لكلام الله عز وجل و الغلبة على الأعداء ، و مصاحبة
الصالحين .

أما إذا كان الأمر هو النوع الثانى ، و هو الرقى الدينوى
بكل أنواعه ، و هو الذى ترغب إليه نفوسنا جميعاً ، فان الآية
تضمن على الدعاء له من الله سبحانه و تعالى ، و لا تتضمن على
أن تصرف إلى طلبه و تحصيله كل الانصراف ، و تشتغل به اشتغالا
زائداً ، أما طلب شئ من الله سبحانه و تعالى و الدعاء له ، وإن
كان ذلك لاصلاح الخشاء الذى تحطم فى رجله ، فانما يدخل فى
الامور الدينية نفسها ، و إنى أسألكم أيها الاخوان ، من الذى
ينهاكم عن طلب الحصول على الدنيا و طلب الرزق عن طريقها ،
فانما يجوز لكم طلبها كل الجواز ، فليس من غرضنا أبداً أن نترك
الدنيا هذه الرغبة المقتمة عندكم كل الترك .

إنما الغاية أن تبذلوا للدين من جهدكم ما لا يقل عن جهدكم
للدنيا ، إذا لم تقدرُوا على أن تزيدوا جهدكم للدين أكثر

من الدنيا ، لأن الأمر بالطلب إنما جاء (على حسب قولك أنت أيضاً) للدنيا والدين جميعاً ، و ألفت نظرك إلى أن القرآن الذي وردت فيه هذه الآية ، قد وردت فيه أيضاً « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه » وورد في هذا القرآن نفسه « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً » وجاء في هذا القرآن نفسه « ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » وجاء في هذا القرآن نفسه « منكم من يريد الدنيا و منكم من يريد الآخرة وجاء فيه « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ، وجاء فيه « وما الحياة الدنيا إلا لهو و لعب و لدار الآخرة خير للذين يتقون » وجاء فيه « وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرهم الحياة الدنيا » و جاء فيه « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، و جاء فيه « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل » وجاء فيه « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون » و جاء فيه أيضاً « و فرحوا بالحياة الدنيا و ما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع » و جاء فيه أيضاً « فعليهم غضب من الله و لهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة » .

وهناك آيات كثيرة تضمن على مقارنة بين الدنيا والآخرة ،
 ولكن قصدى لم يكن استيعابها و إحصاءها ، و لم تكن الحاجة
 تقتضى ذلك أيضاً ، فذكرنا عدداً من آيات كالمآذج مختصرة ويمكن
 الرجوع إلى كتاب الله للاطلاع على المزيد منها ، و إنما المقصود
 من كل ذلك أن الذين يؤثرون أمر الدنيا على أمر الآخرة ،
 هم فى خسران ظاهر ، فان كنتم لا تقدرون على العدل بينهما
 فعليكم إيثار الآخرة فى كل حال ، إني أعترف بأن الانسان فى حياته
 الدنيا شديد الافتقار إلى الحاجيات الدنيوية ، ولكن الذى لن يكون
 مقولاً هو أن يجلس الانسان فى المراحيض طيلة نهاره ، بناءً على
 أنه مفتر إلى الذهاب إليها .

و لو دقت النظر إلى الحكمة الالهية لعلت أن كل أمر فى
 الشريعة الاسلامية تحت نظام و رابطة وقد بين الله جل وعلا كل
 شئ ، فان تقسيم مواقيت الصلاة يشير إلى أن شطراً واحداً من
 مجموع أوقات الليل والنهار هو من حق العبد سواء بذله فى راحته أو
 فى كسب معاشه ، أما الشطر الباقى فهو لله ، و يقتضى اقتراحكم لجمع
 الدين والدنيا ذلك أيضاً ، و هو بأن يبذل شطر واحد من
 مجموع أوقات الليل والنهار للدين ، أما الشطر الباقى فيبذل للدنيا ،
 ولكنه إذا زادت شؤون الدنيا سواء كانت تابعة لراحة الجسم ، أو
 كانت لطلب المعاش و طغت على شؤون الآخرة فعناه أنكم جعلتم الدنيا
 واجهة ، فان نظرتكم فى هذا الصدد تقتضى مبدئياً بأن تبذلوا اثني
 عشرة ساعة من اليوم و الليلة فى شؤون الدين ليتأدى بذلك حتى

كل واحد من الدين والدنيا على طريقة سواء ، وحيثذ يصح القول
بأن الله قد أمر بطلب حسنات الدارين ، وبأن الاسلام لم يأمر
بالرهانية .

و لم يكن قصدى هنا بيان هذا الأمر ولكن قيامى بالرد على
الشبهة الواردة في هذا الصدد، فكأن مقصودى ذلك فساقى إلى بيانه،
ولذلك اكتفيت بالاختصار وبالاشارات ، وإنما كان مقصودى في
هذا الفصل بيان الأحاديث الدالة على ضرورة التبليغ و الأمر
بالمعروف ، واكتفيت في ذلك ببيان سبعة أحاديث رجاء أنها تكفى،
و الواحد منها يكفى إذا كانت القلوب مقبلة و إذا لم تكن القلوب
مقبلة ففى آية « فسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون، كفاية أكثر .

و أريد أن أقول لكم فى الأخير أن بعض الأحاديث الشريفه
إنما تدل على أن النبي ﷺ قد أمر فى زمن الفتنة الذى يطاع فيه
للشع و تتبع أهواء النفس و تؤثر الدنيا على الدين ، و يجب كل
ذى رأى برأيه ، ولا يقبل رأى غيره بأن يترك الناس لإصلاح
غيرهم ، و يقبلوا على ذات أنفسهم ، و لكن هذا الزمن فى نظر
العلماء و الشيوخ لم يأت بعد ، فيجب إذن أن تفعلوا ما تستطيعون
فعله فلا قدر الله أن يأتى هذا الزمن بغتة فإنه لن ينفع حينئذ أى
إصلاح ، و يجب أيضاً اجتناب الأخطاء التى ذكرت فى هذا الحديث
بقدر المستطاع لأنها أسباب الفتن وهى تسوق إلى الفتن الصريحه ،
و لقد سماها النبي ﷺ فى حديث من أحاديثه بالموثقات ، فاللهم
احفظنا من الفتن ما ظهر منها و ما بطن .

الفصل الثالث

أهمية أن يعمل الداعي بما يأمر به غيره

أريد في هذا الفصل أن ألفت النظر إلى أمر خاص فأشير إلى عيب يصدر من الناس في هذه الأيام بصورة خاص و ذلك بحسب تقصيرهم في عمل الدعوة والتبليغ و شدة غفلتهم عن الأمور الدينية ، فقد نرى أنهم عند ما يسند إليهم عمل ديني مثل إلقاء المحاضرات أو كتابة المقالات أو العمل التعليمي أو التبليغ والوعظ وغيرها ، فهم ينصرفون إلى الاعتناء بأمر الآخريين وينسون أنفسهم ولا يرونها في حاجة إلى الاعتناء باصلاحها مع أن اعتناءهم باصلاحها أهم و أولى من الاعتناء بأمر غيرهم و إصلاح حالهم ، و لقد نهى النبي ﷺ في غير موضع بها شديداً عن أن يقوم الرجل بصح غيره و يتعادي بنفسه في المعاصي لا ينفك عنها .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ رأيت ليلة أسرى بي رجلاً تفرض شفاهم بمقاريض من النار فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر و ينسون أنفسهم و هم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ؟ (١) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت نقلاً عن الترغيب

و الرهيب ج ٣ ص ٢٢٤ .

روى عن الوليد بن عقبة رضى الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ : إن ناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل
النار فيقولون بهم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا
منكم ، فيقولون إنا كنا نقول و لا نفعل (١) .

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :
الزبانية أسرع إلى فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان ، فيقولون :
يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان ؟ فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم .
(رواه الطبراني و أبو نعيم نقلًا عن نفس المرجع ص ١٢٤)
وكتب العلماء والشيوخ أن موعظة رجل لغيره بما لا يعمل
به هو نفسه لا تنفع أبداً و لذلك ترى أن الحفلات والمحظبات قد
كثرت اليوم بحيث تعقد و تاتي كل يوم ، و لكنها تذهب سدى
ولا تنفع ، كما تظهر مقالات و مجلات كل يوم وهي لا تفيد ولا
تنفع ، وقد قال الله تعالى : أأمرون الناس بالبر و تتسبون أنفسكم
و أنتم تملكون الكتاب أفلا تعقلون ، و قال النبي ﷺ : ما تزال
قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيما أفناه ، و عن
شبابه فيما أبلاه ، و عن ماله من أين اكتسبه و فيما أنفقته ، و عن عمله
ماذا عمل فيه . (٢)

عن لقمان يعنى ابن عامر قال : كان الصحابي الجليل
أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : إنما أخشى من ربي يوم القيامة

(١) رواه الطبراني في الكبير نقلًا عن المصدر السابق ص ٢٣٥ .

(٢) ترغيب عن السيقي وغيره .

أن يدعوني على رؤس الخلائق فيقول لي: يا عويمر : فأقول ليك
رب فيقول ما عمات فيما علمت ؟

(رواه البيهقي تقيلاً عن نفس المرجع ص ١٢٦)

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : تعرضت أو تصدبت
لرسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت فقلت : يا رسول الله ! أى
الناس شر ؟ فقال رسول الله ﷺ : اللهم غفرا ، سل عن الخير
ولا تسأل عن الشر ! شرار الناس شرار العلماء فى الناس (٤) .
عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : العلم علمان : علم فى
القلب ، فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على
ابن آدم . (٢)

فالمقصود من كل ذلك أن تعرف أن العلم المتعلق بالقلب والباطن
واجب تحصيله مع تحصيل العلم الظاهر ليصف القلب أيضاً بالعلم
لأن العلم إذا لم يؤثر على القلب كان حجة من الله عليه ،
وسوف يعاقب به صاحبه يوم القيامة على ما عمل به وقد وردت
روايات كثيرة متضمنة على الوعيد الشديد على هذا التقصير فلذلك
أرجو من المبلغين والدعاة الكرام أن يهتموا أولاً باصلاح أنفسهم
ظاهراً وباطناً ، لئلا يدخلوا فى مضمار من يستحق هذه الوعيدات ،
وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق برحمته الواسعة هذا العاجز

(١) رواه البزاز تقيلاً عن نفس المرجع ص ١٢٦ .

(٢) رواه الحافظ أبو بكر البغدادي فى تاريخه تقيلاً عن نفس المرجع .

الذنب كذلك ليقوم باصلاح نفسه ظاهراً وباطناً ، لأنى لا أرى
 أحداً أكثر منى خطايا وذنوباً إلا أن يتعمدنى الله برحمته الواسعة .

الفصل الرابع

فضيلة إكرام المسلمين و النهى عن إهانتهم

و فى هذا الفصل أريد أن ألفت نظر الدعاة و المبلغين
 إلى أمر هام جداً و هو أن غفلة الداعى عن الحكمة فى عمله وإن
 كانت غفلة خفيفة تأتى بمغبة سيئة و خطيرة ، و لذلك
 يجب أن يجتهد الداعى فى عمله و يحطاط فى أداء ذلك فإن كثيراً من
 الناس لا يباليون بالوقوع فى هتك كرامة المسلمين لقوة ما عندهم من
 العاطفة الدعوية مع أن عرض المسلم شئى عظيم و له أهمية
 كبيرة ، فقد ورد قول النبي ﷺ فى ذلك عن أبى هريرة مرفوعاً
 من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا و الآخرة ، والله فى عون
 العبد ما كان العبد فى عون أخيه (١) .

وعن ابن عباس مرفوعاً من ستر عورة أخيه ستر الله عورته
 يوم القيامة و من كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى

(١) رواه مسلم و أبو داؤد و غيرهما الترغيب .

يفضحه بها في بيته (١) .

على كل فقد ورد ذكر هذا الأمر المهم في روايات كثيرة
فلذلك يجب على الدعاة و المبلغين أن يكونوا محترسين عن الوقوع
فيما يكشف ستر المسلمين لأن صيانة عرض المسلم أهم من هذا العمل،
فقد ورد عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ما من امرئ
مسلم يخذل امرأ مسلماً في موضع ينتهك فيه حرمة وينقص فيه من
عرضه إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصره ، و ما من
امرئ مسلم ينصر مسلماً في موضع ينقص من عرضه وينتهك فيه
من حرمة إلا نصره في موطن يحب فيه نصرته (٢) .

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : من

أربنى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق (٣) .

وهناك روايات كثيرة ورد فيها وعيد شديد في هتك عرض
المسلم فيجب على الدعاة و المبلغين أن يكونوا محترسين عند قيامهم بالتهمة
عن المنكر فلا يقعوا في هتك عرض ، فإن كان المنكر خفياً ووجب
أن يكون التنبيه عليه خفياً وإذا كان علناً فيكون التنبيه عليه علانية ،
وكلما قام الداعي بالتنبيه والتهمة عن منكر غيره ووجب عليه أن يتم
بأن لا تكون طريقته مسيئة إلى كرامة من ينهاه و ينصحه حتى
لا يحصل له من هذا العمل الحسن شر يبدل الخير الذي يريده

(١) رواه ابن ماجة الترغيب .

(٢) رواه أبو داؤد نقلًا عن خير المواعظ .

(٣) رواه أبو داؤد نقلًا عن تلخيص الأخبار .

و يطلبه لنفسه من ذلك .

فالحاصل أنه يجب على الرجل أن يقوم بانكار المنكر لأن النذر التي ذكرناها سابقاً شديدة و لكن الواجب عليه أن يكون محترماً من أن ينال من عرضه و كرامته و أحسن طريقة في ذلك أن يبدى استنكاره للسيئة علانية إذا أتى بها صاحبها علانية ، و لكن السيئة التي لم يأتها صاحبها إلا سراً فعليه أن لا يقوم نحوها بأمر يكشف ما خفي من حاله كما أن الحكمة في الدعوة تقتضي أيضاً أن يكون الداعي رقيقاً في عمله مع الناس .

لقد نصح رجل الخليفة العباسي مأمون الرشيد بطريقة جافية غليظة فقال له : كن لطيفاً في نصيحتك ، فقد أرسل الله سبحانه و تعالى موسى و هارون عليهما السلام و هما خير منك إلى فرعون وهو شر مني فقال لهما ، نقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى .
عن أبي أمامة قال فني من قريش يا رسول الله إنك لبي في الزنا فأقبل القوم عليه و زجروه فقال : أذنه فدنا فقال : أحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يجونه لأمهاتهم ، ثم قال له مثل ذلك في ابنته و أخته و وخالته في كل ذلك يقول : أحبه لكذا ؟ فيقول : لا والله جعلني الله فداك فيقول ﷺ : ولا الناس يجونه فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبي و طهر قلبه و حصن فرجه فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شئ (١) .

على كل فيجب على الداعي أن يستعمل ما يسهل من اللطيف
و الدواء و الوعظ و اللطف في تذكير الناس بل ليتخيل نفسه في
مكانهم ثم يتصور ما هو الطريق الذي كان يستحسنه للتذكير والنهي
عن المنكر .



الفصل الخامس

التذرع بالاخلاص والايمان وبطلب رضا الله سبحانه
في كل عمل

أقدم في هذا الفصل نصيحة إلى الدعاة و المبلغين الكرام
وهي أنه يجب عليهم أن يزینوا بالاخلاص والنصيحة كل ما يقومون
به من خطابة أو كناية في سبيل الدعوة لأن الاخلاص يجعل العمل
الصغير كبيراً جداً في ثمراته الدينية و نتائجها المادية ، وأما إذا فقد
الاخلاص من عمل فيصبح العمل بتجرده عنه فاقد الأثر و الفائدة
في الدنيا و الآخرة جميعاً .

قال النبي ﷺ : إن الله لا ينظر إلى صررك و أموالك

و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم (١) .

(١) مشكاة عن مسلم .

و قد ورد عن أبي فراس (رجل من أسلم) قال نادى رجل

فقال : يا رسول الله ما الايمان ؟ قال الاخلاص (١) .

وعن معاذ بن جبل أنه قال - حين بعث إلى اليمن - يا

رسول الله اوصني ، قال أخلص دينك يكفك العمل القليل (٢) .

عن أبي أمامة قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال :

أرأيت رجلاً غزاً يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال رسول الله

ﷺ : لا شئ له ، فاعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله ﷺ :

لا شئ له ، ثم قال : إن الله عزوجل لا يقبل من العمل إلا ما

كان له خالصاً وابتغى به وجهه (٣) .

و ورد في حديث آخر أن الله تعالى قال : أنا أغنى الشركاء

عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيرى تركته وشركه .

و في رواية فأنما منه بريئى فهو للذى عمله . [مشكاة عن مسلم]

عن أبي سعيد بن أبي فضالة وكان من الصحابة قال : سمعت

رسول الله ﷺ يقول : إذا جمع الله الأولين و الآخرين يوم

القيامة - ليوم لا ريب فيه - نادى مناد : من كان أشرك في عمله

لله أحداً فيطلب ثوابه من عنده ، فإن الله أغنى الشركاء عن

الشرك . [رواه الترمذى وابن ماجه و ابن حبان نقلاً عن قس

المصدر ج ١ ص ٩٦ .

(١) رواه البيهقي نقلاً عن الترغيب ج ١ ص ٥٤ .

(٢) رواه الحاكم نقلاً عن الترغيب ج ١ ص ٥٤ .

(٣) رواه أبو داؤد والنسائي نقلاً عن الترغيب .

وفي حديث آخر : من صلى يرأى فقد أشرك ، ومن صام
يرأى فقد أشرك ومن تصدق يرأى فقد أشرك .

[مشكاة عن أحمد]

وقد ورد في حديث آخر : إن أول الناس يقضى عليه يوم
القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال : فاعملت
فيها قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك قاتلت
لأن يقال جريبي فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى
ألقى في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه
نعمه فعرفها قال : فاعملت فيها قال تعلت العلم وعلته وقرأت
فيك القرآن، قال : كذبت ، ولكنك تعلت العلم ليقال أنك عالم ،
وقرأت القرآن ليقال هو قارى ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على
وجهه حتى ألقى في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من
أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فاعملت فيها
قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ،
قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به
فسحب به على وجهه ثم ألقى في النار . (١)

فمن أم الامور و أوجبها أن يعنى الدعاة والمبلغون الكرام
في جميع جهودهم و محاولاتهم الدعوية بأن يكون رضا الله سبحانه
و تعالى و اتباع سنة رسوله ﷺ مقصودهم و مطلوبهم .

وأن يعتوا بأن لا يمسه فيها طلب سمعة أو عزة أو مدح أبداً
و إذا خطر بياهم منها شئ فعليهم أن يدفعوها عنهم و يصلحوا
أمرهم فيها ، و ادعوا الله سبحانه و تعالى لنفسى الحقيرة المذنبه
أن يرزقنى كذلك الاخلاص فى اعمالى كلها بكرمه و ببركته و بركة
احاديث نبيه الكريم . آمين



الفصل السادس

توقير العلماء و الصالحين و عدم الاستخفاف بهم

فى هذا الفصل أن ألفت نظر عامة المسلمين إلى أمر خاص وهو
أن كثيراً من الناس إنما يرون إلى العلماء بعين مختلفة ، فلا يبلغ
ظنهم إليهم إلى حد الاعراض عنهم و سوء الظن بهم بحسب ،
بل وإلى مناوتهم و تحقيرهم فى كثير من الأحيان ، و ذلك قبيح
جداً و خطر على المكانة الدينية التى يمثّلها هؤلاء الناس المخالفون ،
أقول ذلك و أعترف بأن جماعة العلماء تشتمل على أفراد سوء
أيضاً ، و يمثّلها نجد فى كل جماعة من جماعات الناس و أهم

يشتملون على أفراد صدق أيضاً ، وإذا افترضنا أن نسبة أفراد
السوء في طبقة العلماء أكثر من أفراد السوء في طبقة أخرى وعلماء
السوء يحتاطون بعلماء الحق ، فالذي يجب مراعاته و العناية به هو
أن لا يوصف أحد من العلماء بالسوء ما لم يتحقق أنه من أصحاب
السوء ، فقد جاء في القرآن المجدد ، ولا تقف ما ليس لك به علم ،
• إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً .
• و من الظلم المبين أن ترفض نصيحة رجل لأنه يخيل إليك
من علماء السوء .

و عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرؤن
التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام ، فقال رسول
الله ﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم و قولوا : آمنا
بالله وما أنزل إلينا [رواه البخارى] نقلًا عن مشكاة المصابيح ج ١
باب الاعتصام بالكتاب و السنة .

فالخاصل من ذلك أن رسول الله ﷺ قد نهى المسلمين عن
أن يصدقوا ما نقله الكفار و ترجموه ، أما نحن فقد بلغ الأمر بنا
إلى حد أن رجلاً إذا تكلم بشئ يخالف رأينا فنفض ونهجم على
هذا الرجل و نسى لاهدار كرامته و توهين شخصيته و قصد
بذلك إبطال رأيه و قوله ، و إن كان من المتحقق لنا أن هذا
الرجل من أهل الحق الصالحين .

و الأمر الثانى الهام هو أن علماء الحق والرشد والخير
أيضاً لا تخلو نفوسهم من دواعى الطبيعة البشرية ولا معصوم فى الناس

إلا الأنبياء عليهم السلام ورحمهم، فالأخطاء والتقصيرات التي تصدر من العلماء إنما مسؤوليتها على أنفسهم، وهو أمر يتعلق بالله سبحانه وتعالى، إن شاء أخذهم عليها وإن شاء عفا عنهم فيها، وأغلب الظن في ذلك هو أن هذه التقصيرات والأخطاء سيغفرها الله تعالى ومن عادة الله سبحانه وتعالى أنه يتلطف في شأن أولئك الذين تركوا شؤون أنفسهم الدنيوية واشتغلوا بالعمل في سبيل ربهم، وانصرفوا إلى هذا العمل، فالمرجو أن يصفح الله عنهم فإنه لارحيم مثله ولا كريم غيره ولكنه إذا أراد أن يأخذ هؤلاء على تقصيراتهم، وذلك اظهاراً لعدله فذلك أمر يتعلق به وله الخيار في ذلك، فمعارضة الناس للعلماء مثل هذه الأسباب وتفجيرهم للناس عنهم وإفساد ظنهم فيهم والسعي لتجنب الناس عنهم لا يجر إلا إلى فساد دين الناس ويكون وبالاً عظيماً لفاعليه .

وقد قال النبي ﷺ: إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي شبية المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجاني عنه و إكرام ذي السلطان المقسط (١) .

و ورد في حديث آخر: ليس من أمتي من لم يبجل كبيرنا و يرحم صغيرنا و يعرف علمنا (٢) و أيضاً عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: ثلاث لا يستخف بهن إلا منافق، ذو الشببة

(١) ترغيب عن أبي داؤد .

(٢) ترغيب عن أحمد والحاكم وغيرهما .

في الاسلام و ذو العلم و إمام مقسط (١) .

و روى عن مالك الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول :
لا أعاف على أمتي إلا ثلاث خلال ، أن يكثر لهم من الدنيا
فتحاسدوا وأن يفتح لهم الكتاب يأخذه المؤمن ينتقى تأويله ، وما
يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم يقولون آمنا به ، كل من
عند ربنا . و ما يذكر إلا أولوا الألباب ، وأن يروا ذا علم
فيضبوه و لا يبالوا عليه (٢) .

فاذا كان الأمر أن الراسخين في العلم أيضاً لا يجترؤن بالتجاوز
عن تصديقها فكيف يليق بالعامّة أن لا يرضوا لقبولها إلا بالمرأ
والإنكار ، أما الأمر الثالث فهو أن يضاع حق العلماء وأن لا يهتم
بشأنهم .

ذكر صاحب كتاب الترغيب هذا الحديث برواية الطبراني
كما وردت روايات أخرى كثيرة في هذا المعنى في كتب الحديث
الشريف .

إنّ النعوت التي يستعملها الناس لعلمائهم و للعلوم الذميمة
اليوم بوجه عام ، إنما جاء ذكر كثير منها في كتاب الفتاوى الهندية
بأنها كلمات كفر ، و لكن الناس لجهالتهم غافلون عن هذا الحكم
فيجب لذلك أن يحاط الناس احتياطاً شديداً في استعمال مثل
هذه النعوت ، و لو افترضنا أن جميع هؤلاء الذين نسميهم بالعلماء

(١) ترغيب عن الطبراني (٢) رواه الطبراني في الكبير قلا

عن المصدر السابق ج ١ ص ١١٥ .

هم علماء السوء. فلن ترتفع منزلتكم إذن كذلك بهجرد أن تقولوا أنهم علماء السوء بل يكون جنته واجبا على جميع المسلمين في العالم أن يشعروا جماعة لعلماء الحق و أن تعلم جميع الناس العلم الديني لأن وجود العلماء فرض كفاية ، و إذا وجدت جماعة لهذا الفرض سقط هذا الواجب عن الجميع ، وإذا لم يفتوا ذلك فقع الذنب على الجميع

و يورد الناس شبهة أخرى يقولم أن اختلاف العلماء هو الذي جاء بهصيات كثيرة على العامة ، فهذه الشبهة ربما تكون صحيحة في بعض جوانبها ولكن الذي لا شك فيه أن اختلاف العلماء هذا ليس نائبا منذ اليوم ولا منذ خمسين سنة أو منذ قرون واحد بل إنه ناشئ منذ قرون الخيرة الأولى منذ زمن النبي ﷺ .
 أرسل رسول الله ﷺ صحابه بأمريرة رضى الله عنه مرة مع نبله الشريفين ر و قال اذهب بنبل هاتين فرس لقت بين وراء هذا الماطط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة فقال فغضب عمر بيده بين يدي ضربة فغرت لاسى فقال ارجع بأمريرة) .

ضرب عمر رضى الله عنه على صدره ، حتى سقط أبو هريرة رضى الله عنه على الأرض ولم يحدث على هذا المارث أى احتجاج ، ولم تاصق إعلانات الاستنكار على الجدران كما يحدث في هذه الأيام ضد عمل عمر رضى الله عنه .

لقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في آلاف من المسائل

والأحكام ، أما أئمة الفقه الأربعة قليماً توجد مسألة فرعية و إلا
 و فيه اختلاف بينهم ، وقد وجدت أنا شخصياً ما أتى مسألة وقع
 فيها الاختلاف بين هؤلاء الأئمة الأربعة في ركعتين اثنتين من
 تكبيرة التحريم إلى سلام الخروج من الصلاة ، أما عند
 غيري فقد يوجد أكثر من هذا ، و لكني لا أظن أنك تجد
 من المسائل ثلاثة أو اثنتين كرفع اليدين أو الجهر بقول آمين كانت
 شهرتها كبيرة أو ظهرت إعلانات أو عقدت حفلات و مناظرات
 في سبيلها ، و ذلك لأن جمهور المسلمين غير مطلع على هذه
 المسائل ، أما في العلماء فالاختلاف رحمة ، ومن المعروف أن العالم
 يفتق على دليل شرعي ، فان كان دليله غير صائب في
 نظر عالم آخر فلا بد من أن يلجأ هذا العالم الآخر إلى الاختلاف
 عنه ، و إن لم يقم بالاختلاف في شأنه فانما يكون مداها و عاصياً
 لأمر الله .

الحقيقة أن الناس يلجأون إلى أعذار باردة سخيفة ليتبرروا
 بذلك من أداء العمل ، ألا يرون أن الاختلاف يوجد بين الأطباء
 كثيراً و بين المحامين كذلك ، فهل ترك الناس الرجوع إلى هؤلاء
 في طلب العلاج و إلى أولئك للرافعات القضائية ؟ ثم لماذا
 يحتجون باختلاف العلماء تركهم العمل الدني مع
 أن الذي يؤدي العمل بصدق و إخلاص فالمرجو في شأنه
 أنه يعتمد في ذلك على رأى العالم الذي يطمئن إلى علمه و يجده متبعاً
 لسنة السنة و عليه أن يحترز من الطعن و التعريض في حق الآخرين

فان الذى لا يدرك الدلائل و الحجج و لا يفهمها و لا يستطيع
 ترجيح بعضها على بعض فليس له من الحق أن يتدخل فى ذلك .
 فقد روى عن النبي ﷺ أن نقل العلم من أولئك الذين
 ليسوا أهلاً له لن يكون إلا إضاعته ولكن الأمر إذا كان معكوساً
 بحيث لا يرى أى واحد مانعاً من أن يطلق لسانه على قول الله
 جل و علا وقول رسوله الكريم ﷺ ، فإذا تقول إذن فى حق
 العلماء فأنهم فى هذا المجال عرضة لكل سوء ، و من يتعد حدود
 الله فأولئك هم الظالمون .

الفصل السابع

سمات أهل الحق وأهمية صحبتهم

و هذا الفصل تكملة للفصل السابق أقوم فيه بالرجاء من قراء
 هذه الرسالة أن يعرفوا أن الاتصال بالأخبار من عباد الله وكثرة
 الحضور فى مجالسهم يزيد قوة فى الأمور الدينية و يسوق
 الخير والبركات الدينية إلى صاحبها ، قال النبي ﷺ إلا أدلك على
 ملاك هذا الأمر الذى تصيب به خير الدنيا والآخرة ، عليك بمجالس
 أهل الذكر الحديث [مشكاة ص ٤١٥] .

و لا بد من تعريف لخيار عباد الله ، إن صفتهم و علامتهم
 أنهم يتبعون السنة المحمدية السنية ، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى
 نبيه الكريم ﷺ أسوة لتهتدى به أمته ، فقد قال فى كلامه : « قل إن

كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور
رحيم ، فكل من يكون صادقاً في اتباع النبي ﷺ فأبما يكون
من خيرة عباد الله سبحانه وتعالى وكل من يكون بعيداً
عن هذا الاتباع يكون بعيداً عن القربة عند الله ، وقد كتب
المفسرون أن الذي يزعم لنفسه محبة الله وهو مخالف لسنة رسول الله
ﷺ فهو كاذب ، لأن قانون المحبة يقتضى لمن يحب أحداً أن يكون
محباً لداره وفتاه بيته ، وجدرائه ، وبستانه ، حتى لكلبه وحماره
أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا
و يقول :

تعصى الاله وأنت تظهر حبه وهذا لعمرى فى القمعال بديع
لو كان حيك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع
عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قيل : و من أبى ؟ قال : من
أطاعنى دخل الجنة و من عصانى فقد أبى (١) .
و قد ورد مرزوعاً ، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً
لما جئت به .

و مما يبعث على الحيرة والعجب أن الذين يزعمون لأنفسهم
الاخلاص و النصيحة للإسلام و المسلمين هم بعيدون كل البعد عن

(١) رواه البخارى نقلاً عن مشكاة المصابيح باب الاعتصام
بالكتاب والسنة .

الطاعة لله ورسوله وقد يبلغ من صفاتهم أنك إذا قلت أمامهم
أن العمل الفلاني لا يتفق مع أوامر رسول الله ﷺ ولا يوافق
سنه فكأنك طعنهم بمرح .

كل من يسير على طريق غير طريق الرسول عليه السلام لن
يكون وصوله إلى المقصود ، على كل فان الواجب على كل من يعلم
عن أحد أنه من خير عباد الله سبحانه و تعالى أن ينشئ معه
الاتصال و يحضر في مجالسه بكثرة و أن يتفجع بعلومه فذلك طريق
للرقى الدينى و هو من أوامر النبي ﷺ كذلك

و ورد عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله

ﷺ : إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله : وما
رياض الجنة ؟ قال مجالس العلم (١) .

عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : إن لقمان قال

لابنه يا بني عليك بمجالس العلماء و اسمع كلام الحكماء فان الله يبعث
القلب الميت بنور الحكمة كما يبعث الأرض الميتة بوابل المطر .

[رواه الطبرانى فى الكبير نقلا عن نفس المصدر]

عن ابن عباس قال : قيل يا رسول الله : أى جلساته خير؟

قال : من ذكرتم الله و رويته و زاد فى علمكم منطقة و ذكرتم بالآخرة
عمله (٢) .

و قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا

مع الصادقين » و كتب المفسرون أن المراد من الصادقين هنا هم

(١) رواه الطبرانى نقلا عن الترغيب ج ١ ص ١١٢

(٢) رواه أبو يعلى نقلا عن نفس المصدر .

أصحاب تربية النفس و الزكية ، فان الذى يصحبهم ينال من تأثير
تربيتهم و قوة الولاية التى هم عليها فيتمكن بها من إحراز
المراتب الدينية العالية .

عن أبى هريرة و أبى سعيد رضى الله عنهما أنهما شهدا على
رسول الله ﷺ أنه قال : لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم
الملائكة و غشيتهم الرحمة و نزلت عليهم السكينة و ذكروا الله فيمن
عنده [رواه مسلم و الترمذى و ابن ماجه - نقلا عن الترغيب] .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال :
ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز و جل لا يريدون بذلك إلا
وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم ، قد بذلت
سيئاتكم حسنات (١) .

و عنه و عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
ﷺ : ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله عز و جل فيه و يصلون
على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة و إن دخلوا الجنة
للتواب .

[الترغيب]

و من دعوات سيدنا داود عليه السلام : يا رب إن رأيتنى
أخرج من مجلس الذاكرين إلى مجلس العافين فأكسر رجلى .
يقول أبو هريرة رضى الله عنه : إن المجالس التى يذكر الله

(١) رواه أحمد نقلا عن نفس المرجع .

فيما إنما تتلأ لأهل السماء كما تتلأ النجوم لأهل الأرض .
 خرج أبو هريرة رضى الله عنه يوماً إلى السوق و خاطب
 الناس بقوله « إنكم جالسون هنا و تراث رسول الله ﷺ يقسم
 في المسجد لجرى الناس إلى المسجد فلم يجدوا شيئاً يقسم فيه ،
 فرجعوا و قالوا له لا يقسم في المسجد شئ ، فسألم أبو هريرة
 رضى الله عنه ، ماذا كان هناك قال الناس وجدنا رجالاً بعضهم
 بتلاوة القرآن فقال هذا هو تراث رسول الله ﷺ .

و من دعوات سيدنا داؤد عليه السلام « يا رب إن رأيتني
 أخرج من مجلس الذاكرين إلى مجلس الغافلين فاكسر رجلى » .
 عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف
 عليها فقال : يا أهل السوق ما أعجزكم قالوا وما ذاك يا أبا هريرة ؟
 قال ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم و أنتم ههنا ، ألا تذهبون
 فتأخذون نصيبكم منه قالوا و أين هو ؟ قال في المسجد ، فخرجوا
 سراعاً و وقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم مالكم ؟ فقالوا
 يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئاً يقسم فقال
 لهم أبو هريرة : و ما رأيتم في المسجد أحداً قالوا بلى رأينا قوماً
 يصلون و قوماً يقرؤون القرآن و قوماً يتذاكرون الحلال و الحرام
 فقال لهم أبو هريرة و يحكم فذاك ميراث محمد ﷺ .

[رواه الطبراني باسناد حسن ، الترغيب ج ١ ص ٢٠٢]

لقد ذكر الامام الغزالي روايات كثيرة من هذا القبيل

و أعظم من ذلك كله هو قول الله تعالى لبيبه الكريم ﷺ :
 « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة و العشى
 يريدون وجهه و لا تمد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا و لا
 تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطاً ،
 و قد ورد في روايات عديدة أن النبي ﷺ كان يشكر الله
 جل جلاله و يقول إنه خلق في أمي رجالاً أمرت بصبر نفسي
 معهم ، و ورد في هذه الآية السكرية ذكر جماعة أخرى تكون قلوبها
 غافلة عن ذكر الله و هم يتبعون أهوائهم و كان أمرهم فرطاً فهي
 الله نبيه عن اتباعهم .

فليفكر هؤلاء الناس يتخذون الكفار و الفساق قدوة و آئمة لهم
 في كل شأن من شئونهم سواء كان من أمور الدنيا أو أمور الدين
 و يتفانون حباً و فداءً للمشركين و النصارى فليفكر هؤلاء ما هو
 الطريق الذي أصبحوا اليوم يسلكونه .



مكانة الصلاة في الاسلام

و

أهميتها في حياة المسلم

تأليف

العلامة الحديث الشيخ محمد زكريا بن الشيخ الكبير الحديث الفقيه محمد علي بن أبي طالب

تقديم

للاستاذ أبي الحسن علي حسني الندوي

نقله إلى العربية

الأستاذ محمد الحسن

رئيس تحرير مجلة "البعث الاسلامي"، الشهرية

اداء اشاعت دینیات (پرائیویٹ) لمیٹڈ

۱۶۸/۲ - جھانپور - حضرت نظام الدین، نئی دہلی ۱۱۰۰۱۳ (انڈیا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » .
[قرآن كريم]

عن ابن عمر رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
نبي الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً
عبده ورسوله ، و إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، و الحج ، و صوم
رمضان . [متفق عليه]

الطبعة الأولى

عام ١٣٩٣ هـ المصادف ١٩٧٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم الكتاب

بقلم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسن الندي

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين
و خاتم النبيين و إمام المتقين محمد ، و آله و صحبه الغر الميامين
و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين، أما بعد - فقد كانت الصلاة
المشروعة في الاسلام استجابة لغريزة البشر التوعية، غريزة الافتقار
و الضعف و الطلب ، و غريزة الاتجاء و الاعتصام ، و الدعاء
و المناجاة ، و الاطراح على عتبة القوى الغنى ، الجواد الكريم ،
الرزوف الرحيم ، الحافظ المانع ، المعطي الباذل ، العليم الخبير ،
السميع المجيب ، و استجابة لغريزة الشكر والوفاء ، و غريزة الحب
و الحنان ، و غريزة الخضوع والتواضع ، و العبودية والتذلل ،
فهو في ذلك كالسلك لا يعيش إلا في الماء ، و إذا أخرج من
الماء لم يزل في حاجة إلى الماء ، و في حنين و في فرار و التجاء
إليه ، و ذلك معنى قول رسول الله ﷺ : « و جعل قرة عيني
في الصلاة » (رواه النسائي) و قوله لمؤذنه بلال : « يا بلال
أقم الصلاة ، أرخنا بها » (رواه أبو داؤد عن رجل من خزاعة
من أصحاب النبي ﷺ) « كتاب الأدب ، باب في صلاة العتمة »

و كانت الصلاة أقرب إلى المؤمن وأكثر إيواءً ، و أسرع
نجدة و إسعافاً ، و أسخى و أخفى و أعطف عليه من حجر الأم
الرؤوم الحنون ، على الطفل الشريد الفريد ، اليتيم الضائع ، الضعيف
العاجز ، كلما عوكس أو هدد ، و كلما أصابه الروح أو الفزع ،
أو مسه الجوع أو العطش ، أوى إلى أمه فرمى نفسه في أحضانها .
أو تشبث بأذيالها ، كذلك الصلاة معقل المسلم و ملجؤه ، الذى
يأوى إليه ، و العروة الوثقى التى يعتم بها و الحبل الممدود -
بينه و بين ربه - الذى يتلق به ، و هو غذاء الروح ، و بلسم
الجروح ، و دواء النفوس ، و إغاثة الملهوف ، و أمان الخائف ،
و قوة الضعيف ، و سلاح الأعزل ، ولذلك يقول الله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر و الصلاة إن الله مع
الصابرين » (١) و لذلك كان رسول الله ﷺ إذا حربه أمر فرغ
إلى الصلاة ، فمن حذيفة رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ
إذا حربه أمر صلى (٢) و روى أبو الدرداء كان النبي ﷺ إذا
كان ليلة ريح شديدة كان مفزعه إلى المسجد حتى تسكن الريح ، إذا
حدث فى السماء حدث من خسوف شمس أو قمر كان مفزعه إلى
الصلاة حتى ينجلي (٣) ، و ليست الصلاة قالباً حديدياً ، و شيئاً جامداً
محدوداً ، يتساوى فيه الناس ، و يتوقف المصلى فيها على مستوى
واحد لا يتجاوزه ، إنما هى ساحة واسعة يتدرج فيها المصلى من
حال إلى حال ، و من بدء إلى كمال ، و من كمال إلى مالا ينظر

(١) سورة البقرة الآية ١٥٣ ، ٢١ ، رواه أبو داؤد .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير و فيه زياد بن صخر

على البال ، و يتفاضل فيها الناس تفاضلا كبيرا ، فليست الصلاة
 مع الغفلة والجهل ، مثل الصلاة مع الاستحضار والتفقه ، وليست
 صلاة عامة المسلمين مثل صلاة العارفين ، وأهل اليقين ، ولا يجب
 أن تكون صلاة كل أحد في اليوم مثل صلاته بالأمس ، و قبل
 شهور و سنين . .

« و من واجبات هذه الأمة وعلماؤها و مربيها ، بالأخص ،
 أن لا يتقطع هذا الارث و أن لا تضعيع هذه الثروة المباركة ،
 و أن لا ينطفئ هذا النور مهما تغيرت الأوصاف و غزت المادة
 القلوب و النفوس ، فانها خسارة لا تعوض بشئ ، و فراغ لا يملأ
 بأكثر قسط من الأحكام الفقهية ، و أسرار التشريع ، و ذلاقة
 اللسان ، و سيلان القلم ، و لا أمل في حركة إصلاحية أو محاولة
 لبعث إسلامي ، إلا إذا ألهبت جذوة الايمان ، و الحب و الخان ،
 في نفوس أصحابها و دعاتها ، و أعادت إلى الأمة — عن طريق
 دعوتها و تربيتها و جهادها — ظلال تلك الصلاة الخاشعة الرقيقة ،
 التي امتازت بها القرون المشهود لها بالخير ، و عرفت كيف تقوم
 أمام ربها في الصلاة قبل أن تعرف كيف تقف أمام عدوها ، و في
 المشكلات و الأزمات ، و صدق إمام دار الهجرة مالك بن أنس ،
 إذ قال : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، و صدق
 الله العظيم : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون (١) » .

(١) العبارات التي هي بين هلالين مقطوعة من كتابنا « الأركان

و لم يقطع هذا الارث و لم يتلفى هذا النور رغماً عن الغارات المتصلة التي شنت على جسم هذه الأمة وروحها، وراثتها و ذخايرها ، و رغماً عن العواصف الهوجاء التي هبت لاطفاء هذا النور ، وذلك بفضل جهاد العلماء الربانيين ، والدعاة و المصلحين ، و الفقهاء و المحدثين ، و أهل القلوب و أصحاب اليقين ، و العباد الخاشعين ، الذين تذوقوا الصلاة ، و وجدوا فيها لذة لا توصف بألفاظ ولا يفي بها تعبير، وهبت عليهم فيها نفحات الجنة وروائحها ، وذلك تارة بالعمل والتمثيل ، وطوراً بالتعليم و التلقين ، وأخرى بالتصنيف و التأليف .

و قد ألف كبار الأئمة و جهاذة هذه الأمة في موضوع الصلاة ، و فقهها و أحكامها ، و سننها و آدابها ، و روحها و خشوعها ، و حكمها و أسرارها ، وفي وصف صلاة النبي ﷺ وفي ما ورد فيها من الفضائل ، كتباً ورسائل في القديم والحديث لا يمكن الاحاطة بها لكثرتها ، اشتهر من بينها في القديم رسالة « الخشوع في الصلاة » للإمام أحمد بن حنبل ، و كتاب « قيام الليل » لتلميذه الكبير محمد بن نصر المروزي ، هذا عدا كتب السير والتراجم و الطبقات التي احتوت على أخبار و حكايات لصلاة الخاشعين من هذه الأمة وعبادها . مثل كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم ، و « صفوة الصفوة » لابن الجوزي ، و « إحياء علوم الدين » للغزالي ، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لابن القيم ، وكثير من كتب المشايخ التي اشتملت على مادة

غزيرة و ثروة كبيرة من القصص و الحكايات ، التي تؤثر في
القلوب ما لا تؤثر البحوث العلمية ، والتفريعات الفقهية ، وتشجذ
العزم ، و ترفع الهمم .

و قد كان لجميع هذه الكتب و مؤلفيها في فضل التعريف
بحقيقة الصلاة و لبابها ، و الوقوف على سننها و آدابها ، و الاهتمام
بالخشوع و القنوت فيها ، و شدة المحافظة عليها ، و التهاك في
سبيلها ، و تقليد الربانيين والقانتين « الذين هم في صلاتهم خاشعون ،
و الذين هم عن اللغو معرضون » و الذين « تتجافى جنوبهم عن
المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً و بما رزقناهم ينفقون » جزاهم
الله خير الجزاء و كافأهم على صنيعهم أحسن مكافأة .

و من هذه السلسلة المباركة - التي لم تنقطع ولا تنقطع -
هذه الرسالة المباركة لشيخنا العلامة المحدث الجليل ، والمرتب الكبير ،
الشيخ محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوى ، نفع الله بعلومه ، ألفها سنة
١٣٥٨ هـ (١) بإرشاد عمه المصلح الكبير و الداعية الشهير ، مولانا

(١) و في آخر هذه الرسالة إشعار بتأليفها في ٧ محرم سنة
١٣٥٨ هـ ، و قد أهدى إمام دعوة التبليغ الشيخ الجليل
مولانا محمد إلياس الكاندهلوى إلى هذه الرسالة في أول
زيارتي له في ذي القعدة ١٣٥٨ هـ وكانت حديثه الظهور
و كتب بقله - و قد هجرت الكتابة منذ زمان - أهدى
هذا الكتاب إلى عملا بالوصية النبوية « تهادوا و تحابوا »
و كان شرفاً عظيماً لي و لم أكن أعرف في ذلك الوقت أنى يكون لي
شرف التقدم لترجمته العربية و لله الحمد أولاً و آخراً

محمد إلياس الكاندهلوى رحمة الله عليه ، لتداولها جماعة التبليغ
 و الدعوة قراءة و درساً ، و تلقيناً و تعليماً ، و تأملاً و مراجعة ،
 فكان الاعتماد عليها ، و الاشتغال بها في جولات هذه الجماعة
 و تنقلاتها ، و في دروسها و مواعظها ، و أصبحت من الكتب
 الأساسية و المقررات الدراسية لهذه الجماعة ، بصفة خاصة ،
 وللمتغلبين بالدعوة ، و المعنيين بأمر الصلاة ، و الراغبين في الدين
 بصفة عامة ، و كتب لها من القبول و الانتشار ، و الشهرة
 و الذبوع ، و تداول الأيدي ، و إقبال الناس مالم يكتب لأى
 رسالة دينية في « أردو » لغة المسلمين في شبه القارة الهندية ،
 و ظهرت لها طبعات تفوق العد والاحصاء ، و انتفع خلق وخلق ،
 لا يحصون بحد و عد .

و قد نهج فيها المؤلف نهج المؤلفين في فضائل الأعمال
 و الأخلاق ، و الترغيب والترهيب ، و توسع فيها بعض التوسع
 شأن المؤلفين في هذا الموضوع ، و اعتنى بحكايات الصالحين ، و العباد
 الخاشعين ، المرفقة للقلوب ، المؤثرة في النفوس ، و ضم إليها فوائد
 علمية و حديثة ، و أضاف إليها حكايات مشايخ العصر الأخير ،
 و صلحاء هذا الجيل ، لأنها أكثر إثارة للهمم الخامدة ،
 و أكثر بشأ للعزائم الفاترة ، و حيث أورد حديثاً فيه
 ضعف أو لين ، أو كلام للحدثين ، بين ضعفه و ذكر تقد أهل
 الصناعة له ، فجاء هذا الكتاب الصغير جامعاً بين أمانة المحدث ،
 و نزاهة العالم ، و تأثير الواعظ ، و صحة المرئى ، لذلك كان نفعه

عاماً لطبقات المسلمين .

و قد نقله إلى العربية ابن أخي الأستاذ محمد الحسنى رئيس
تحرير مجلة « البعث الإسلامى » و هو كاتب إسلامى مرموق عرفه
القراء فى العالم العربى بمقالاته الإسلاميه و اقتراحاته القويه ،
لينتفع به أولاً ، و ينتفع به القراء ثانياً ، فقد انتشرت هذه
الدور فى الأقطار العربيه ، و جماعات التبليغ فيها فى غدو و رواح ،
فاشتد الطلب لنقل الكتب التى عليها الاعتماد فى دروس هذه
الجماعة و تعليمها ، و قد تناولنا الترجمة بشئ من التعديل
و التلخيص ، لم يفقد الكتاب تأثيره و وقعته فى القلوب ، نظراً
إلى اختلاف البيئات و العقليات ، ندعو الله مخلصين أن ينفع بهذه
الترجمة كما نفع بأصلها ، و جعلها ذخراً للترجم ، و لمن سعى فيها
و أعان عليها ، و « الله لا يضيع أجر المحسنين » .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

دار عرفات ، رائى برلى

(الهند)

للباتين خلتا من ذى الحجة الحرام ١٣٩٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الأول

أما بعد فقد عم في هذا الزمان من الرغبة عن الدين واللامبالاة به ما لا يحتاج إلى برهان ، وكانت الصلاة من تلك الفرائض الدينية و الأركان الاسلامية التي طوتها الغفلة و النسيان و قلة العناية و الاهتمام مع أنها أولى و أهم من سائر العبادات بعد الايمان اتفق عليها الأمة و الأئمة و هي أول ما يسأل المرء عنها يوم القيامة ، و ما وجدت دعوة دينية تعنى بأهم العبادات في الاسلام حق العناية و الاهتمام فظهر لنا ، بعد تجارب عملية في هذا المضمار أن نركز على هذه الناحية و نستعين في ذلك قبل كل شئ بالتعاليم النبوية و أحاديث الرسول ﷺ القدسية .

و بدت لي بعض العوائق في هذا السبيل و لكن حاولت جهدي راجياً من الله سبحانه أن هذه الأحاديث الشريفة و الآثار المباركة ستؤثر إن شاء الله في الذين صفت أذهانهم و سللت طبائعهم ، ففي هذا الكلام المبارك و صاحبه العظيم كل خير و تقع و قد ألح على بعض الاخوان المخلصين أن أقوم ببعض الواجب في هذا الباب و عقدوا آمالاً كباراً في النجاح و التوفيق و القبول و التأثير ، فصحت نيتي أخيراً على أن أجمع نبذة طيبة من أحاديث الرسول ﷺ حول الصلاة « و ما توفيتي إلا بالله عليه توكلت

و إليه أنيب ، .
 الناس في الصلاة ثلاثة أنواع ، نوع لا يبالي بالصلاة مطلقاً
 ولا يفكر فيها ، و نوع يعنى بالصلاة ولكنه لا يعنى بالجماعة ،
 و نوع يصلى مع الجماعة ولكنه لا يهتم بها ، ولا يعنى بشروط
 الصلاة و آدابها ، يصلى و هو عنها ساه غافل ، فرأيت أن أقدم
 خلاصة ما جاء من الآثار و الأحاديث في هذه الأنواع الثلاثة
 و أكتب مفاهيمها و معانيها باختصار .

ما جاعني فضائل الصلاة

عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : نبى
 الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، و أن محمداً عبده
 و رسوله ، و إقام الصلاة ، و إيتاء الزكاة و الحج و صوم
 رمضان (متفق عليه) و قال المنذرى فى الترغيب : رواه البخارى
 و مسلم و غيرهما عن غير واحد من الصحابة .

فائدة

إن هذه الأركان من أهم أركان الايمان و أسس الاسلام ،
 شبه رسول الله ﷺ فى هذا الحديث بحيمة تقوم على خمسة
 أعمدة فكلمة الشهادة عمودها الوسط ، و الأركان الباقية تمسك
 الحيمة من جهاتها الأربع ، فإذا سقط العمود الوسط سقطت الحيمة ،
 أما إذا قام هذا العمود قامت الحيمة ، و لكنها تكون ناقصة إذا
 فقد أحد أعمدتها الباقية .

فلتنظر في نفوسنا و في أحوالنا هل أقنا خيمة الاسلام ، وإلى
 أى مدى أقناها ، وماهو العمود الذى أقنا عليه الخيمة ؟ إن صرح
 الاسلام يقوم على هذه الأركان الخمسة و لا يبد لكل مسلم - رضى
 بالاسلام ديناً و عقيدة و منهاجاً - أن يهتم بجميع هذه الأركان غاية
 الاهتمام ، و لكن الصلاة أولى و أهم من سائر هذه الأركان فليكن
 اهتمامنا بها أكثر و أشد .

جاء في صحيح البخارى : حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك
 قال حدثنا شعبة قال الوليد بن العيزار أخبرنى قال سمعت أبا عمر
 الشيبانى يقول حدثنا صاحب هذه الدار و أشار إلى دار عبد الله
 قال سألت النبي ﷺ أى العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة على
 وقتها قال ثم أى قال ثم بر الوالدين قال ثم أى قال الجهاد فى
 سبيل الله قال حدثنى بهن و لو استزدته لزدنى [صحيح البخارى] .
 إن هذا الحديث حجة للعلماء بأن الصلاة تتبع الايمان فى
 الأهمية و يصدقه الحديث الذى جاء فيه « الصلاة خير موضوع »
 يعنى أن الصلاة أفضل الأعمال التى فرضها الله تعالى على عباده .

و جاء فى الأحاديث الصريحة الصحيحة أن أفضل أعمالكم
 الصلاة و روى هذا الحديث فى الجامع عن ثوبان و ابن عمر ،
 وسلة و أبى أمامة و عبادة رضى الله عنهم ، و روى عن ابن مسعود
 و أنس رضى الله عنهما أن أفضل الأعمال الصلاة فى وقتها .

[جامع الصغير]

و روى عن ابن عمر و أم فروة رضى الله عنهما أن أفضل العبادات الصلاة في وقتها ، والغاية من كل هذه الأحاديث متقاربة .
 عن أبي ذر أن النبي ﷺ خرج في الشتاء و الورق يتهافت فأخذ بغضن من شجرة قال فجعل ذلك الورق يتهافت فقال يا أباذر قلت لبيك يا رسول الله قال إن العبد المسلم يصلى الصلاة يريد بها وجه الله فتهافت ذنوبه كما تهافت هذا الورق على هذه الشجرة .
 رواه أحمد بإسناد حسن ، كذا في الترغيب .

فائدة

إن أوراق الأشجار تسقط في أيام الشتاء حتى يتجرد بعض الأشجار عن أوراقها وذلك مثل المؤمن كما قال ﷺ فان الله تعالى يغفر ذنوب عبده المؤمن إذا صلى صلاته باخلاص ، ولكن لا بد هنا من تأمل فقد تحقق عند العلماء بعد دراسة الكتاب و السنة أن الكبائر لا تغفر إلا بالتوبة ، أما الصغائر فقد تمحوها الصلاة و غيرها من العبادات ، و لذلك لا بد لنا من التوبة والاستغفار إلى جانب اهتمامنا بالصلاة ، أما إذا غفرا الله لعبد كبيرته فهو فضل منه و رحمة و حكم الشرع فيها ثابت واضح كما سبق .

عن أبي عثمان قال : كنت مع سلمان تحت شجرة فأخذ غصناً منها يابساً فهزه حتى تحمات ورقه ثم قال يا أبا عثمان ألا تسألني لم أفعل هذا ؟ قلت لم تفعله ، قال هكذا فعل بي رسول الله ﷺ و أنا معه تحت الشجرة ، و أخذ منها غصناً يابساً فهزه حتى تحمات ورقه . فقال ياسلمان ألا تسألني لم أفعل هذا ، قلت : ولم تفعله

قال إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت عنه خطاياہ كما تحات هذا الورق و قال : « أقم الصلاة طرفي النهار و زلفاً من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . رواه أحمد و النسائي و الطبرانی و رواه أحمد محتجاً بهم في الصحيح إلا على بن زيد ، كذا في الترغيب] .

فائدة

إن هذا العمل الذي قام به سليمان رضی الله عنه مثل صغير لحب الصحابة رضی الله عنهم بالنبي ﷺ فإذا أحب إنسان أحداً أحب كل ما صدر عنه من قول و عمل و أراد أن يحاكيه في كل صغير و كبير و يقلده في كل أمر ، ولا يعرف حقيقة هذا القول إلا من ذاق لذة الحب ، و لذلك نرى الصحابة رضی الله عنهم أنهم كانوا يمثلون عمله ﷺ حينما كانوا يرون عنه في أكثر الأحيان . إن ما جاء في الأحاديث من الاهتمام بالصلاة ، و محوها للذنوب و السيئات كثير يصعب الاحاطة به ، و قد سبق ذكره في ما قدمنا من الأحاديث في هذا الصدد ، نحن نرى أن هذه الأحاديث لم تفرق بين الكبائر و الصغائر في أمر الصلاة بل إنها ذكرت في صيغة عامة ، و إنما فرق بينهما العلماء كما تقدم ، و قد سمعت والدي يقول إن ذلك يعود إلى وجهين :

الوجه الأول : إن الكبيرة تنافي مكانة المسلم ، و يتعد عنه أن يقع في كبيرة ثم لا يتوب عنها و لا يندم حتى تنافي الصلاة

تمحوها ، فعزيز عليه أن يأتي كبيرة ، و أدهى من ذلك و أمر
 أن يبقى على هذه الحالة من غير توبة و استغفار ، فان المسلم الصادق
 لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال إذا صدرت عنه كبيرة حتى يظهر
 نفسه عنها بالتضرع والتوجه والبكاء ، إلا الصغار فانها لا تستلقت
 الأنظار في الغالب ، و تبقى في ذلك المسلم حتى تمحوها فيما بعد
 الصلوات و العبادات .

و الوجه الثاني فيه أن الرجل الذي يصلي الصلاة باخلاص
 و يراعى آدابها و مستحباتها يكرر التوبة و الاستغفار بطبيعة الحال
 فان دعاء التشهد الأخير « اللهم إني ظلمت نفسي إلخ » هو استغفار
 كله و توبة كلها .

إن هذه الأحاديث تأمر بإسباغ الوضوء أيضاً ، و معناه أن
 يعنى المرء بآدابه و مستحباته عناية تامة ، كما أن السواك من سنن
 الوضوء الذي أهمله الناس بصورة عامة مع أن الحديث يدانا على
 أن صلاة السواك أفضل من الصلاة بغيره بسبعين ضعفاً .

و جاء في حديث آخر : « قال رسول الله ﷺ : عليكم
 بالسواك فان فيه عشر خصال : يطهر القم ، ويرضى الرب ، ويسقط
 الشيطان ، و يحبه الرحمن والحفظة ، و يشد اللثة و يقطع البلغم ،
 و يطيب النكمة ، و يطفي المرة ، و يحلى البصر ، و يذهب البخره ،
 و هو من السنة ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : الصلاة بالسواك
 أفضل من سبعين صلاة بغير سواك (منبهات) و قالت العلماء :
 إن في السواك سبعين فائدة أهمها أنه يذكر كلمة الشهادة عند الموت

وأن في تعاطي الأفيون والمخدرات (بالعكس منه) سبعين ضرراً
أهمها نسيان كلمة الشهادة عند الموت .

وقد زخرت أحاديث الرسول ﷺ بفضائل إسباغ الوضوء
على المكراه ، و أن أعضاء الوضوء ستكون غرة محجلة يوم القيامة
وجها يعرف رسول الله ﷺ أفراد أمته ، فعن أبي الدرداء رضى
الله عنه قال : فقال رجل : كيف تعرف أمتك يا رسول الله من
بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك ، قال هم غر محجلون من أثر
الوضوء ليس لأحد كذلك غيرهم .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول : أرايتم لو أن نهراً باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات
هل يبقى من درنه شئ ، قالوا : لا يبقى من درنه شئ ، قال :
فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا [رواه البخارى
و مسلم و الترمذى ، و النسائى ، و رواه ابن ماجه من حديث
عثمان ، كذا فى الترغيب] .

عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مثل
الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل
يوم خمس مرات [رواه مسلم ، كذا فى الترغيب] .

فائدة

إن الماء الجارى النقي لا يبقى فيه رجس ، و لا تدوم فيه
أوساخ و بقدر عمقه يكون نقاؤه و طهره ، و لذلك ذكر فى

الحديث العمق و الجريان معاً ، و بقدر نقاء الماء و صفاته يطهر
البدن ، و تزول الأدران ، و كذلك الصلاة الكاملة فهي تطهر
المؤمن من ذنوبه و سيئاته كما يطهر الماء الجاري النقي بدنه من
أوساخه و أدرانه .

هذا الحديث ورد من عدة طرق من مختلف الصحابة ،
و كلها تدل على هذا المعنى .

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنه سمع النبي ﷺ
يقول : الصلوات الخمس كفارة لما بينها ، ثم قال رسول الله ﷺ
أرأيت لو أن رجلاً كان يعتمل و كان بين منزله و معتمله خمسة
أنهار ، فإذا أتى معتمله عمل فيه ما شاء الله فأصابه الوسخ والعرق
فكلمها مر بنهر اغتسل أكان ذلك يبقى من درنه ، فكذلك الصلاة
كلما عمل خطيئة فدعا و استغفر غفر له ما كان قبلها .

[الترهيب ج ١ ص ٢٣٧]

إن غرض النبي ﷺ من هذه الأمثلة هو التأكيد بأن للصلاة
تأثيراً قوياً في العفو عن الذنوب والمكدرات ، و لما أن التشبهات
والأمثلة أقرب إلى الأذهان و أسهل إلى الأفهام ، فقد كرر
هذه الأمثلة لتستوى عظمة الصلاة في قرارة النفوس ، و سويداء
القلوب ، فإذا أهملنا هذه للنعمة العظيمة ، و الرحمة الواسعة ،
و المغفرة العامة ، و سخائب الجود والكرم ، و العطاء والانعام ،
و اللطف و العفو لم نسي إلى أحد وإنما أسأنا إلى أنفسنا فقط .

إننا نعصى ربنا و نأتى منكراً على منكر ، و ذنباً على ذنب
نفعل عن شراثة و نهمل أوامره و أحكامه فكان من عين العدل
أن تلقى جزاء ذلك جزاءً وفاقاً عند الملك العادل المقدر ، و نحصد
ما زرعه ، و نرى ما قدمناه لغد ، ولكن الرحمة الالهية و لطفه
سبحانه بعباده هداًنا رغم كل خطايانا ، إلى طريق تدارك به مافات
و نجبر به ما كسر ، و هو الصلاة .

و ورد في حديث عن أبي الدرداء رضى الله عنه يبلغ به
النبي ﷺ قال من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل
فقلبتة عينه حتى أصبح كتب له ما نوى ، و كان نومه صدقة عليه
من ربه .

فيا لكرمه و عطائه و لطفه بعباده ، و لشؤمنا و خسرانا
بالاعراض عنه و عدم الانابة إليه .

عن حذيفة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا
حزبه أمر فزع إلى الصلاة [أخرجه أحمد و أبوداؤد و ابن جرير
كذا في الدر المنثور] .

فائدة

الصلاة رحمة من الله كبيرة ، و الفزع إليها في ساعة الشدة
و حين اليأس فزع إلى الله في الأصل ، فإظنك برجمة تسارع إلى
العبد في شدته و عند حرجه و ضيقه ، هل تبقى عنده لومة من غم
و هم ؟ وهل في وسع الحزن أن يدوم بعد ما نزلت عليه الرحمة ؟
و قد تكرر هذا المعنى من عدة طرق في الآثار ، و روى

عن الصحابة رضی الله عنهم الذين اتبعوه ﷺ في كل شئ ما يدل على هذه المعاني الكريمة ، والغاية الشريفة العظيمة ، ويصدق ذلك كل التصديق ، أخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن أبي الدرداء رضی الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا كانت ليلة ریح كان مفزعه إلى المسجد حتى يسكن و إذا حدث في السماء حدث من

كسوف شمس أو قر كان مفزعه إلى الصلاة [الدر] .

و روى عن صهيب رضی الله عنه عن النبي ﷺ قال كانوا

يعنى الأنبياء يفزعون إذا فزعوا إلى الصلاة .

و روى عن ابن عباس أنه كان في مسير فنعى إليه ابن له

فنزل و صلى بنا ركعتين ثم استرجع و قال فعلنا كما أمرنا الله به .

فقال : « استعينوا بالصبر و الصلاة » .

و أخرج سعيد بن منصور وابن حرب وابن المنذر والبيهقي

في الشعب أنه نعى إليه أخوه قثم . هو في مسير فاسترجع ثم تنحى

عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشى إلى

راحلته و هو يقول : واستعينوا بالصبر و الصلاة ، و إنها لكبيرة

إلا على الخاشعين . [الدر ج ١ ص ٦٨] .

و نستكمل حول الخشوع في الباب الثالث من الكتاب إن

شاء الله .

و قد روى عنه أنه خر ساجداً حين نعى إليه وفاة بعض

أزواج النبي ﷺ ، فقيل له : أتسجد هذه الساعة فقال : قال

رسول الله ﷺ إذا رأيتم آية فاجحدوا ، و أى آية أعظم من

ذهاب أزواج النبي ﷺ [أبو داؤد ج ١ ص ١٦٩ باب السجود
عند الآيات] .

و أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عبادة بن محمد بن
عبادة بن الصامت قال لما حضرت عبادة الوفاة قال أخرج علي
إنسان منكم يبكي فاذا خرجت نفسى فتوضأوا وأحسنوا الوضوء ثم
ليدخل كل إنسان منكم مسجداً فيصلي ثم يستغفر لعبادة ولنفسه فان
الله تبارك و تعالى قال : استعينوا بالصبر و الصلاة ، ثم أسرعوا
بي إلى حفرتى [الدر المنثور ص ٦٨] .

عن ابن النضر قال حدثني أبي قال كانت ظلمة على عهد أنس
بن مالك قال فأتيت أنساً فقلت يا أبا حمزة هل كان يصيكم مثل
هذا على عهد رسول الله ﷺ ، قال معاذ الله إن كانت الريح
تشتد فبادر المسجد مخافة القيامة [أبو داؤد] .

عن عبدالله بن سلام قال كان النبي ﷺ إذا دخل على أهله
بعض الضيق في الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ : و أمر أهلك
بالصلاة ، الآية . .

و عن عبدالله بن أبي أوفى رضى الله عنهما قال قال رسول
الله ﷺ : من كانت له إلى الله حاجة أو إلى أحد من نبي آدم
فليتوضأ و يحسن الوضوء و ليصل ركعتين ثم يثن على الله وليصل
على النبي ﷺ ثم ليقل لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله
رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ، أسألك بموجبات رحمتك
و عزائم مغفرتك ، و الغنمة من كل بر و السلامة من كل إثم ،

لا تدع لى دنيا إلا غفرته يا أرحم الراحمين ، ولا هما إلا فرجته
و لا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين .

و لا شك أن الصلاة لا تنقذ الانسان من أهوال القيامة
فحسب ، بل إنها تنقذه من مصائب الدنيا كذلك ، أما طمأنينة القلب
و راحة الفؤاد فانها من أولى ثمراتها لا يحرم منها عيد مسلم البتة
إذا أخلص فيها .

قال ابن سيرين : إذا خبرت بين جنة أدخلها ، و ركعتين
أصلها آثرت الصلاة لأن دخول الجنة من رغبات النفس ، أما
الصلاة فانها خالصة لوجه الله

عن أبي مسلم التلعلي دخلت على أبي أمامة و هو في المسجد
فقلت يا أبا أمامة إن رجلا حدثني منك أنك سمعت رسول الله
يقول : من توضأ فأصبح الوضوء و غسل يديه و وجهه و مسح على
رأسه و أذنيه ثم قام إلى صلاة مفروضة غفر الله له في ذلك اليوم
ما مشى إليه رجلاه و سمعت إليه أذناه ، و نظرت إليه عيناه ،
و حدث به نفسه من سوء ، فقال والله لقد سمعته من النبي ﷺ
مراراً [رواه أحمد و الغالب في سنده الحسن ، و تقدم له شواهد
في الوضوء ، كذا في التهريغ ، قلت و قد روى معنى الحديث
عن أبي أمامة بطرق في مجمع الزوائد] .

فائدة

إن هذا الحديث روى من عدة طرق عن كثير من الصحابة
رضى الله عنهم ، منهم عثمان ، و أبي هريرة ، و أنس ، و عبدالله

الصانحي و عمرو بن عتبة و غيرهم باختلاف الالفاظ .

و في رواية عثمان رضى الله عنه عن النبي ﷺ جاء فيه أن لا يغرن ذلك أحد ، أو كما قال عليه السلام ، و معنى ذلك أن لا تغرنا الصلاة ، فتعتمد المعاصي و السيئات ، لأن صلاتنا ناقصة بتمام ، لو تقبلها الله سبحانه كان لطفاً منه و كرمأ ، إن الصلوات تذهب السيئات ما في ذلك من شك ، ولكن هل إن صلاتنا صلاة لا تقبى بالقبول عند الله ثم إن ركوب معصية رجاء عفو الله آخر درجة من الوقاحة و قلة الحياء ، و مثل ذلك كمثل أب قال إني صفحت عن أبنائي و عفوت عنهم فتعتمد أبنائهم مخالفة أوامره و التمرد عليه مجرد أنه صفح عن سيئاتهم .

عن أبي هريرة قال : كان رجلان من بني - حتى من قضاة - أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما و آخر الآخر سنة قال طحفة بن عبيد الله فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذلك فأصيحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ أو ذكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة و كذا و كذا ركعة صلاة سنة [رواه أحمد بإسناد حسن و رواه ابن ماجه و ابن حبان في صحيحه ، رواه البيهقي كلهم عن طلحة بن عبيد الله أطول منه و زاد ابن ماجه و ابن حبان في آخره ، بينهما أطول ما بين السماء و الأرض كذا في الترغيب ، و لفظ أحمد في النسخة التي بأيدينا أو كذا أو كذا ركعة ، لفظه أو ، و في الدر أخرجه مالك و أحمد و النسائي و ابن

خزيمة و الحاكم و صححه و البيهقي في شعب الايمان عن عامر بن سعد قال سمعت سعدياً و ناساً من الصحابة يقولون كان رجلان أخوان في عهد رسول الله ﷺ و كان أحدهما أفضل من الآخر فتوفي الذي هو أفضلهما ثم عمر الآخر بعده أربعين ليلة ، الحديث ، وقد أخرج أبو داؤد بمعنى حديث الباب من حديث علي بن خالد بلفظ قتل أحدهما و مات الآخر بعد الجمعة ، الحديث .

إننا إذا اعتبرنا كل شهر تسعة و عشرين يوماً ، و حاسبنا عشرين ركعة كل يوم من الفرائض و الوتر أصبح عددها تسعة آلاف و تسع مائة و ستين ركعة يضاف إليه عشرون ركعة كل شهر إذا كانت عدته ثلاثين يوماً ، أما إذا أضفنا إليها السنن و التوافل ، فحدث عن البحر و لا حرج .

و قد ذكرت هذه القصة في ابن ماجه يرى فيها طلحة رضى الله عنه الذى رأى هذه الرؤيا بنفسه قال : إن رجلين من بلى قدما رسول الله ﷺ - و كان إسلامهما جميعاً ، فكان أحدهما أشد اجتهاداً من الآخر ففزا المجتهد منهما فاستشهد ثم مكث الآخر بعده سنة ثم توفى ، قال طلحة فرأيت فى المنام أنا عند باب الجنة إذ أنا بها فخرج خارج من الجنة فأذن للذى توفى الآخر منهما ثم خرج فأذن للذى استشهد ثم رجع إلى فقال ارجع فإنه لم يأن لك بعد ، فأصبح طلحة يحدث به الناس فعجبوا لذلك فبلغ ذلك رسول الله ﷺ و حدثوه الحديث فقال من أى ذلك تعجبون فقالوا يا رسول الله هذا كان أشد الرجلين اجتهاداً ثم استشهد و دخل هذا

الجنة قبله ، فقال رسول الله ﷺ أليس قدمك هذا بعده سنة قالوا بلى ، قال وأدرك رمضان فصام الآخر وصلى كذا وكذا من سجدة في السنة قالوا بلى قال رسول الله ﷺ فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض [ابن ماجه باب تعبير الرؤيا] .

و قد حدثت مثل هذه الأمور لعدة أشخاص فقد روى أبو داود قصة صحابين بينهما ثمانية أيام فالذى توفى بعد أسبوع من صاحبه دخل الجنة قبله .

الحقيقة أننا لا ندرك كل الإدراك ما للصلاة من أهمية وتأثير و درجة عالية عند الله ، وإلا فما الذى دعا رسول الله ﷺ على أن يعتبرها قرّة عينه و هى البغ فى المحبة و لا يمكن التفاضل عنها و الاستهانة بها .

و عن سعد بن أبي وقاص قال كان رجلان أخوان فهلك أحدهما قبل صاحبه بأربعين ليلة فذكرت فضيلة الأول منهما عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ألم يكن الآخر مسلماً ! قالوا بلى ، و كان لا بأس به ، فقال و ما يدريك ما بلغت به صلته إنما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بياض أحدكم يفتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون فى ذلك يبقى من درنه شئى ، فانكم لا تدرون ما بلغت به صلته [قال المذنبى رواه مالك و اللفظ له و أحمد بإسناد حسن و النسائى و ابن خزيمة فى صحيحه] .

عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال يبعث مناد عند حضرة كل صلاة فيقول يا بنى آدم قوموا فاطفئوا ما أوقدتم

على أنفسكم فيقومون فيطهرون ، ويصلون الظهر فيغفر لهم ما بينهما ،
 فاذا حضرت العصر فمثل ذلك ، فاذا حضرت المغرب فمثل ذلك
 فاذا حضرت العتمة فمثل ذلك فينامون فمدج في خير و مدج في
 شر [رواه الطبراني في الكبير ، كذا في الترغيب] .

إن هذا المعنى جاء في كثير من الأحاديث ، ولما أن الاستغفار
 داخل في الصلاة و جزء منه لذلك يدخل فيه الكبائر و الصغائر
 إذا قرنها الدم ، قال الله تعالى في كتابه المجيد « أقم الصلاة طرفي
 النهار و زلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات .

عن أبي قتادة بن ربعي قال قال رسول الله ﷺ : قال الله
 تبارك و تعالى : إني افترضت على أمتك خمس صلوات و عهدت
 عندي عهداً إنه من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة في عهدي ،
 و من لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي ، كذا في الدر المنثور
 برواية أبي داؤد و ابن ماجة و فيه أيضاً أخرج مالك و ابن أبي
 شيبة و أحمد و أبوداؤد و النسائي و ابن ماجة و ابن حبان و البيهقي
 عن عبادة بن الصامت فذكر معنى حديث الباب مرفوعاً باطول منه .
 و جاء هذا المعنى أكثر و وضوحاً و صراحة في حديث آخر
 ففي رواية لأبي داؤد سمعت رسول الله ﷺ يقول خمس صلوات
 افترضهن الله ، من أحسن وضوءهن ، و صلاهن لوقتهن ، و آم
 ركوعهن و سجودهن و خشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له
 و من لم يفعل فليس على الله عهد ، إن شاء غفر له و إن شاء
 عذبه [الترغيب و الترغيب] .

إن هذه الأحاديث تدلنا على أن مجرد الاهتمام بالصلاة يكفي لدخول المسلم في عهد الله وذمته ، انا نرى في حياتنا اليومية أن الرجل الذي يعده حاكم أو غنى أو يسليه أو يخفف عنه أو يودى ديونه ينشرح له صدره ، وثيق بقضاء حاجاته ، ثم يبقى طوع أمره و رهن إشارته ، أما وعد الله المالك الملك وعهده بعبادة صغيرة لا ترهق و لا تضى ، يعنى الصلاة ، فانها لا تسترعى أى جانب من اهتمامنا ، و لا تزال ساهين عنها فهل نضمر بذلك أحداً غير أنفسنا ؟

عن ابن سلمان أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ حدثه قال لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع و السبي ، فجعل الناس يتابعون غنائمهم فجاء رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت ربحاً ما ربح اليوم مثله أحد من أهل الوادى قال ويحك و ما ربحت قال ما زلت أبيع و ابتاع حتى ربحت ثلاث مائة أوقية فقال رسول الله ﷺ أنا أو نبتك بخير رجل ربح ، قال ما هو يا رسول الله قال ركعتين بعد الصلاة [أخرجه أبو داؤد و سكت عنه المنذرى] .

و الحق أننا إذا سعدنا بهذا الايمان ، و فوزنا بهذا الربح الخالد الباقي واستصغرنا هذا الربح القامى مقابل ركعتين بعد الصلاة ذقنا حلاوة الايمان و لذته حقاً ، و لا شك فى أن الصلاة تحمل هذا التأثير ، و لذلك قال رسول الله ﷺ قره عيني فى الصلاة ، و كان آخر وصاياه عندما فارق الدنيا حول الصلاة و الاهتمام به .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ

بعثاً فأعظموها الغنيمة وأسرعوا النكرة فقال رجل يا رسول الله
 ما رأيتنا بعثاً قط أسرع كرة وأعظم غنيمة من هذا البعث ، فقال
 ألا أخبركم بأسرع كرة منهم وأعظم غنيمة ؟ رجل توضأ فأحسن
 الوضوء ثم عمد إلى المسجد فصلى فيه الغداة ثم عقب لصلاة
 الضحوة فقد أسرع النكرة وأعظم الغنيمة . [الترغيب والترهيب]
 و قال شقيق البلخي طلبنا خمساً فوجدناها في خمس ، طلبنا
 النور في القبر فوجدناه في قيام الليل ، وطلبنا جواب منكر وتكبير
 فوجدناه في قراءة القرآن ، و طلبنا الجواز على الصراط فوجدناه
 في الصدقة ، و طلبنا الرى يوم القيامة فوجدناه في صيام النهار ،
 و طلبنا البركة في الرزق فوجدناه في صلاة الضحى . [نزهة المجالس]
 إن كتب الحديث تزخر بفضائل الصلاة والحث على الاهتمام
 بها ، و الحرص عليها و يصعب الاحاطة بها و استيعابها ، فقدم
 منها نبذة طيبة في هذا المكان .

(١) إن أول ما اقترض الله على الناس من دينهم : الصلاة ،

وآخر ما يتيق : الصلاة ، وأول ما يجاسب به : الصلاة .

(٢) اتقوا الله في الصلاة ، اتقوا الله في الصلاة ، اتقوا الله في

الصلاة . [الجامع الصغير]

(٣) إن بين الرجل و بين الشرك و الكفر ترك الصلاة .

[رواه مسلم]

(٤) الصلاة عماد الدين .

(٥) الصلاة تسود وجه الشيطان .

(٦) الصلاة نور .

- (٧) حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود .
- (٨) عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أى العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : الصلاة على وقتها .
- (٩) ما من حالة يكون العبد عليها أحب إلى الله من أن يراه ساجداً يغفر وجهه في التراب .
- (١٠) أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل و هو ساجد .
- (١١) مفتاح الجنة الصلاة .
- (١٢) إنما موضع الصلاة من الدين كوضع الرأس في الجسد .
- (١٣) من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام فصلى ركعتين أو أربعاً (يشك فيه سهل) يحسن فيهن الركوع والخشوع ثم يستعمر الله غفرله .
- (١٤) من حافظ على الصلوات الخمس ، ركوعهن وسجودهن و موافقتهن و علم أنهن حق من الله دخل الجنة ، أو قال وجبت له الجنة ، أو قال حرم على النار .
- (١٥) سئل النبي ﷺ أى الأعمال أفضل ؟ قال الصلاة لأول وقتها .
- (١٦) سئل النبي ﷺ أى العمل أحب إلى الله قال إقام الصلاة لوقتها .
- (١٧) من غدا إلى الصبح غدا براية الايمان ، و من غدا إلى السوق غدا براية الشيطان .

- (١٨) أربع قبل الظهر تحسب بمثلهن في السحر .
 (١٩) من صلى قبل الظهر أربع ركعات كأنما تهجد بين في ليلته .
 (٢٠) جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ فقال يا محمد عش ما شئت فانك ميت و اعمل ما شئت فانك مجزي به ، و احب من شئت فانك مفارقه ، و اعلم أن شرف المؤمن قيام الليل و عزة استغناؤه من الناس .
 (٢١) عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، و مقربة لكم إلى ربكم ، و مكفرة للسيئات ، و منهاة عن الاثم ،
 و مطردة للداء عن الجسد .

و قد ورد في هذا الباب غير ذلك من الأحاديث . اكتفينا منها بهذا القدر ، و الحق أن الصلاة نعمة جليلة لا يقدرها حق قدرها إلا من ذاق حلاوتها ، فقد اعتبرها رسول الله ﷺ قوة تهبه ، و كان يقضى أكثر ليله في الصلوات و كانت آخر وصيته في آخر عهده بالدنيا حول الصلاة و العناية بها ، و قد تكررت جملة « اتقوا الله في الصلاة » في عدة مواضع من الأحاديث .

فكان ذلك خمسة أجزاء بالجملة ، و إذا نظرنا إلى تلاوته ﷻ و ترتيله و نضله بين الآيات قدرنا طول ركعته ، و حتى كانت تتورم قدماه ، و علمنا أنه الحب الذي يستقر في الأعماق ، و حلاوة الايمان الذي يخاطب بشاشة القلوب فيذل كل صعب و يسهل كل عسير .

أبو إسحاق السبيعي يحدث مشهور معمر توفي في مائة سنة ،
وكان يتحسر على أنه فقد لذة الصلاة لكبر سنه وضعفه فلا يستطيع
إلا قراءة سورة البقرة و آل عمران في الركعتين .

و لا زال في هذا العهد المأخر عباد يقضون أكثر
ليالهم في الصلوات و جل نهارهم في الدعوة والارشاد والافادة ،
و أرجو أن يمن الله على كاتب هذه الرسالة بهذه النعمة و اللطف
و الرحمة ، و يجعلني منهم .

و أختم هذا الفصل بحديث جميل أورده المحافظ ابن حجر
في المنهاج :

• عن رسول الله ﷺ أنه قال حبيب إلى من دنياكم ثلاث :
الطيب والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة ، و كان معه أصحابه
جلوساً فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : صدقت يا رسول الله
وحبب إلى من دنياكم ثلاث : النظر إلى وجه رسول الله و إتفاق
مالي على رسول الله ، وأن يكون ابني تحت رسول الله ، فقال عمر
رضي الله عنه : صدقت يا أبا بكر ، و حبب إلى من دنياكم ثلاث :
الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الثوب الخلق ، فقال عثمان
رضي الله عنه صدقت يا عمر ، و حبب إلى من دنياكم ثلاث :
إشباع الجيعان ، و كسوة العريان ، و تلاوة القرآن ، فقال علي
رضي الله عنه : صدقت يا عثمان وحبب إلى من دنياكم ثلاث : الخدمة
للضيف ، و الصوم في الصيف و الضرب بالسيف ، فينأهم كذلك إذ

جاء جبرئيل و قال : أرسلنى الله تبارك و تعالى لما سمع مقاتلكم
 و أمرك أن تسألنى عما أحب إن كنت من أهل الدنيا ، فقال ما
 تحب إن كنت من أهل الدنيا فقال : إرشاد الصالحين ، و مؤانسة
 الغرباء القانتين و معاونة أهل العيال المسمرين ، و قال جبرئيل : يجب
 رب العزة جل جلاله فى عباده ثلاث خصال : بذل الاستطاعة ،
 و البكاء عند الندامة ، و الصبر عند الفاقة .
 و أورده الحافظ ابن القيم فى زاد المعاد .



الفصل الثاني

في بيان الوعيد على من ترك الصلاة

الحديث الشريف حافل بالوعيد الشديد لمن يترك الصلاة ،
و أقدم هنا نبذة طيبة من الأحاديث على سبيل الفموج و المثال ،
والحق أن حديثاً واحداً خلق بأن يهدينا إلى الرشد و يردنا إلى
الصواب ، ولكنه ﷺ كرر هذا المعنى وأعاده بمختلف الأساليب
لشدة حرصه على خير المسلمين ورافته بهم حتى لا تتهاون فيها أمة
و لا تتكاسل ، فما بالنا نعرض عن تعاليمه و إرشاداته ثم نفتخر
بكوننا في أمة ، و نزعم اتباع سنته ، و حب دينه و طريقته .

عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ بين
الرجل وبين الكفر ترك الصلاة، رواه أحمد ومسلم، وقال بين الرجل
وبين الشرك و الكفر ترك الصلاة ، و أبو داؤد و النسائي و لفظه :
قال بين الكفر و الايمان ترك الصلاة ، و ابن ماجه و لفظه : قال
بين العبد و بين الكفر ترك الصلاة ، كذا في الترمذى ،
و قال السيوطى و الدر الحديث جابر أخرجه ابن أبى شيبة و أحمد
و مسلم و أبو داؤد و الترمذى و النسائي و ابن ماجه ثم قال :
و أخرج ابن أبى شيبة و أحمد و أبو داؤد و الترمذى و النسائي
و ابن ماجه و ابن حبان و الحاكم و صحيحه عن بريدة مرفوعاً ،
العهد الذى بيننا و بينهم الصلاة فن تركها فقد كفر ، .

إن هذا المعنى تكرر في آثار مختلفة فقد جاء في حديث أن

يتعجل المرء الصلاة في وقت الغيم حتى لا يكفر بترك الصلاة ،
تحذيراً أن لا يفوت وقت الصلاة من أجل الغيم ، ولو أن العلماء
قيدوا هذا الأثر بالانكار إلا أن الشعور بأهمية قول الرسول يقتضى
أن نعظمه ونجمله ونحسب له كل حساب ، وقد ثبت أن بعض
كبار الصحابة أمثال عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس
رضى الله عنهم وغيرهم اتفقوا على كون المسلم كافراً إذا تعمد
ترك الصلاة ، وهو مذهب أحمد وإسحق بن راهوية وعبد الله
بن المبارك . [الترغيب]

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أوصانى خليلي رسول الله
ﷺ بسبع خصال، قال: لا تشركوا بالله شيئاً وإن قطعتم أو حرقتم
أو صلبتم، ولا تتركوا الصلاة متعمدين فمن تركها متعمداً فقد خرج
من الملة ، ولا تركوا المعصية فإنها سخط الله ، ولا تشربوا الخمر
فإنها رأس الخطايا كلها ، الحديث ، رواه الطبرانى ومحمد بن نصر
في كتاب الصلاة بإسنادين لا بأس بهما ، كذا في الترغيب ، وهكذا
ذكره السيوطى في الدر المنثور ، وعزاه إليهما ، وفي المشكاة برواية
ابن ماجه عن أبي الدرداء نحوه .

فائدة

و قد ورد ما يشابه هذا المعنى في حديث أبي الدرداء رضى
الله عنه و زاد فيه من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله
قال أوصانى خليلي على أن لا تشرك بالله شيئاً و إن قطعت أو

حرقته ، ولا تترك الصلاة متعمداً ، فمن تركها متعمداً فقد برئت
منه الذمة و لا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال أوصاني رسول الله ﷺ
بعشر كلمات قال : لا تشرك بالله شيئاً و إن قتلت و حرقته و لا
تعقن والديك و إن أمراك أن تخرج من أهلك و مالك و لا
تتركن صلاة مكتوبة متعمداً فان من ترك صلاة مكتوبة متعمداً
فقد برئت منه ذمة الله و لا تشربن خمرأ فانه رأس كل فاحشة
و إياك و العصبة فان المعصية حل سخط الله ، وإياك و الفرار
من الزحف و إن هلك الناس ، و إن أصاب الناس موت فائت
وأنفق على أهلك من طولك و لا ترفع عنهم عصاك أدباً و أخفهم
في الله .

رواه أحمد والطبراني في الكبير و إسناد أحمد صحيح لو سلم
من الانقطاع فان عبد الرحمن بن جبير لم يسمع من معاذ ، كذا
في الترغيب و إليهما عزاه السيوطي في الدر و لم يذكر الانقطاع ثم
قال و أخرج الطبراني عن أميمة مولاة رسول الله ﷺ قالت كنت
أصعب على رسول الله ﷺ وضوءه فدخل رجل فقال أوصني
فقال : لا تشرك بالله شيئاً و إن قطعت أو حرقته و لا تعقن
والديك و إن أمراك أن تخلي من أهلك و دنيك ، و لا تشربن
خمرأ فانه مفتاح كل شر ، و لا تتركن الصلاة متعمداً فمن فعل
ذلك فقد برئت منه ذمة الله و رسوله .

فائدة

المراد بأن لا ترفع عنهم عصاك أن لا يظن أهلك ومواليك أنك لا تنههم ولا تضرهم فلمهم أن يفعلوا ما شأوا ، بل إنه لا بد من ضربهم و تأنيبهم في حدود الشريعة فان الانسان لا يعود إلى رشده عادة إلا بالجزر و الضرب ، أما في أيامنا هذه فان الأبوين لا يضربان أولادهما في أول الأمر لفرط حبهما ثم يكيان دماً بعد أن ترسخ فيهم العادات القديحة مع أن هذا يناق حب الأولاد بل إنما هو عداة معهم أن لا يمنعم من سوء و يظن أن الضرب و التنبيه ينافيان الحب ، وهل يستطيع أب عاقل أن يرى الجروح تتورم و تتضخم ، و لا يسمح بعملية جراحية لأنها تؤذي ولده الحبيب لابل أنه يسرع في طلب الجراح ، و لا يبالي بصراخ الطفل و بكائه و استغاثته و لذلك جاء في الحديث :

عن نوفل بن معاوية أن النبي ﷺ قال من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله و ماله [رواه ابن حبان في صحيحه ، كذا في الترغيب ، زاد السيوطي في الدر و النسائي أيضاً ، و رواه أحمد في مسنده .

فائدة

إن ضياع الصلاة و الغفلة عنها يرجع في عامة الأحوال إلى الاشتغال بالأولاد و الأموال و لذلك قال رسول الله ﷺ إن من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله و ماله .

يعنى أن فوت صلاة يعادل الخسارة الكاملة والحرمات الكامل
 في عين الحقيقة و البصيرة ، و أن القلق الذى يساور الشخص
 الذى فاتته الصلاة هو مثل القلق الذى يساوره حين يفقد كلا من
 المال و الأهل و الولد ، إتناً إذا قال لنا أحد إن الطريق الفلانى
 طريق موحش خطر ، و الرحلة فيه فى الليل أوحش و أخطر ،
 و أدعى للمهلك فلا يتشجع أحد منا أن يتوجه إليه و يتعرض
 للمهلك ، أما قول الصادق الأمين رسول الله ﷺ الذى ورد فى
 عدة آثار و أخبار فإنه لا ينال مثله منا تلك العناية و الاهتمام ،
 و التيقظ و الحذر ، و لا يؤثر فى قلوبنا مثل هذا التأثير .

عن ابن عباس قال قال رسول ﷺ من جمع بين صلاتين
 من غير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر . [رواه الحاكم ،
 وقال حسن هو ابن قيس ثقة ، وقال الحافظ بل واه ، رواه طرقة
 لا نعلم أحداً أوثقه غير حصين بن طبر ، كذا فى الترغيب ، زاد
 السيوطى فى الدر و الترمذى أيضاً ، و ذكر فى اللبالبى له شواهد
 وكذا فى التعقبات ، و قال : الحديث أخرجه الترمذى ، و قال :
 حش ضعيف ضعفه أحمد و غيره ، و العمل على هذا عند أهل
 العلم ، فأشار بذلك إلى أن الحديث اعتقد بقول أهل العلم به و إن
 لم يكن له إسناد يعتمد على مثله]

فائدة

إن هناك كثير آمن الناس يتأخرون في الصلوات بل يتركونها في أسفارهم أو في تجارتهم و دوائرهم ثم يودونها جملة واحدة، مع أن ترك الصلاة من غير عذر (المرض مثلاً) يعد من الكبائر و لو لم يكن في درجة ترك الصلاة عمداً ، أما أدائها في غير وقتها فهذا أيضاً ذنب كبير يجب التحرز منه .

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال من حافظ عليها كانت له نوراً و برهاناً و نجاة يوم القيامة ، و من لم يحافظ عليها لم يكن له نوراً و برهاناً و لا نجاة و كان يوم القيامة مع فرعون و هامان و أبي بن خلف ، أخرجه أحمد و ابن حبان و الطبراني ، كذا في الدر المنثور للسيوطي ، و قال الهيثمي رواه أحمد و الطبراني في الكبير و الأوسط ، و رجال أحمد ثقات ، و قال ابن حجر في الزواجر: أخرجه أحمد بسند جيد و زاد فيه قارون أيضاً مع فرعون و غيره ، و كذا زاده في منتخب الكنز برواية ابن نصر ، و في المشكاة أيضاً برواية أحمد و الدارمي و البيهقي في الشعب و ابن القيم في كتاب الصلاة .

فائدة

إن كلنا يعرف فرعون و غلوه في الكفر حتى إنه ادعى الألوهية ، و هامان هو وزيره ، أما أبي بن خلف فقد كان من أعداء الاسلام في مكة و كان يقول :
إنه عار علينا نحن معشر المسلمين أن يصدق أبي بن خلف

قول رسول الله ﷺ و يثق به كل الثقة ، و لا تأخذه ريبة في هلاكه أما نحن فلا تتبع أسوته و لانخاف وعيده و تهديده ، رغم أننا آمنة بنبوته وصدقائه و نؤمن أننا ننجيه ، فلنأمل كل منا في حالته قبل حال غيره و يقارن بين ما ينطق به اللسان و يكذبه الجنان و زاد ابن حجر في كتاب الزواجر ذكر قارون مع فرعون ، و قال إن الكسل في الصلاة لا تكون عادة إلا من هذه الأسباب و الدواعي التي نجدها في هؤلاء ، فإذا كان السبب فيه المال حشر مع قارون و إذا كان السبب الحكم و السلطان حشر مع فرعون ، و إذا كان السبب الوزارة (يعني ملازمة السلطان و مصاحبة أصحاب الجاه) كان مع هامان ، و إذا كان السبب التجارة كان مع أبي بن خلف .

إن هذه الأحاديث و إن كان فيها نظر ، تدلنا على أن عذاب الآخرة أشق و أشد ، و الفرق بين الكافر و العاصي ، أن الأول في النار بكفره ، أما العاصي فينجو من العذاب أخيراً . و لكن هل رضى أن يكوى في نار جهنم لآلاف السنين ؟

قال بعضهم : ورد في الحديث أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله تعالى بخمس خصال يرفع عنه ضيق العيش و عذاب القبر و يعطيه الله كتابه يمينه و يمر على الصراط كالبرق و يدخل الجنة بغير حساب و من تهاون عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة : خمسة في الدنيا و ثلاثة عند الموت ، و ثلاث في قبره ، و ثلاث عند خروجه من القبر ، فاما اللواتي في الدنيا ، فالأولى تنزع البركة من عمره ، و الثانية تمحي سيما الصالحين في وجهه و الثالثة كل عمل يعمله لا يأجره عمره ، و الرابعة لا يرفع له دعا .

إلى السماء ، والحامسة ليس له حق في دعاء الصالحين ، وأما التي
تصيه عند الموت فانه يموت ذليلاً ، والثانية يموت جوعاً ، والثالثة
يموت عطشاً ، ولو سقى بحار الدنيا ما روى من عطشه ، وأما
التي تصيه في قبره فالأولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ،
الثانية يوقد عليه القبر ناراً فيقلب على الجمر ليلاً ونهاراً ،
و الثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من
نار ، وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت
فيقول أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمرني
ربي أن أضربك على تضع صلاة الصبح إلى بعد طلوع الشمس ،
و أضربك على تضع صلاة العصر إلى المغرب فكلماً ضربه يفوض
في الأرض سبعين ذراعاً ، فلا يزال في القبر معذباً إلى يوم القيامة
و أما التي تصيه عند خروجه من القبر في موقف القيامة فشددة
الحساب ، و سحق الرب ، و دخول النار ، و في رواية فانه يأتي
يوم القيامة و على وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات ، السطر الأول :
يا مضيع حق الله ، السطر الثاني : يا مخصوصاً بغضب الله ، الثالث
كما ضيعت في الدنيا حق الله فليس اليوم أنت من رحمة الله ، و ما
ذكر في هذا الحديث من تفصيل العدو لا يطابق جملة الخمس عشرة لأن
المفصل أربع عشرة فقط ، فعمل الراوي نسي الخامسة عشرة ، كذا
في الزواجر لابن حجر المكي ، قلت : و هو كذلك فان أبا الليث
السمرقندي ذكر الحديث في قوة العيون لجعل ستة في الدنيا فقال
الحامسة تمقته الخلاتق في دار الدنيا ، والسادس ليس له حظ في
دعاء الصالحين ثم ذكر الحديث بتمامه ، ولم يعزه إلى حد . و في
تنبه الغافلين للشيخ نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي يقال من

داوم على الصلوات الخمس في الجماعة أعطاه الله خمس خصال ،
 و من تهاون بها في الجماعة عاقبه الله بأثني عشرة خصلة ثلاثة في
 الدنيا ، و ثلاثة عند الموت ، و ثلاثة يوم القيامة ثم ذكر نحوها ،
 ثم روى عن أبي ذر عن النبي ﷺ نحو هذا ، و ذكر السيوطي
 في ذيل اللآلي بعد ما أخرج بمعناه من تخريج ابن التجار في تاريخ
 بغداد بسنده إلى أبي هريرة قال في الميزان : هذا حديث باطل ركه
 محمد بن علي بن عباس على أبي بكر بن زياد النيسابوري ، قلت لكن
 ذكر الحافظ في المنهاج عن أبي هريرة مرفوعاً الصلاة عماد الدين
 و فيها عشر خصال ، الحديث ذكرته في الهندية ، و ذكر الغزالي
 في دقائق الأخبار بنحو هذا آتم منه ، و قال من حافظ عليهما
 أكرمه الله بحمس عشرة إلخ مفصلاً .

فائدة

إني لم أعر على هذا الحديث كاملاً في كتب الحديث المتداولة
 و لكن تلك الأنواع من الثواب و العقاب التي جاء ذكرها في
 هذا الحديث تؤيدها الآثار الأخرى ، و قد جاء في الحديث الأول
 خروجه عن الإسلام بترك الصلاة ، و هو أجلب للعذاب طبعاً ،
 أما أنواع العذاب الأخرى فانها تدخل تحت آية « إن الله لا يغفر
 أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فيا جبذا إذا عفا
 عنا بفضل هذه الآية و نحوها من آيات أخرى و غفر لنا ذنوبنا
 بكرمه و فضله فذلك عين السعادة و الفلاح .

جاء في الحديث أنها ستكون ثلاثة أنواع للميزان و الحساب
أولها ميزان الكفر و الاسلام ، و لا مغفرة فيه ، الثاني حقوق
العباد ينال فيها صاحب الحق حقه إما من عنده أو من عند الله
لطفاً منه و عفواً ، الثالث حقوق الله ، و فيها يفتح الله أبواب
مغفرته و كرمه .

فلنعلم أننا لا نستحق إلا هذه الأنواع من العقاب و العذاب
و لكن رحمة الله أوسع و أشمل .

و قد جاء في الأحاديث ذكر أنواع أخرى من العذاب ،
فمن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ عما
يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم من رؤيا فيقص عليه ما شاء
الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة ، إنه أتاني الليلة آتيان وأنهما
ابتعثاني و أنهما قالوا لي انطلق ، و إنى انطلقت معهما ، و إنا أتينا
على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه لصخرة ، وإذا هو يهوى
بالصخرة لرأسه ، فيثلغ رأسه ، فيندهده الحجر ، فيأخذ فلا يرجع
إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود إليه فيفعل به مثل ما فعل
المرءة الأولى ، قال قلت لهما سبحان الله ما هذا ؟ قال قالوا لي
إنا سنخبرك ، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر
فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه و ينام عن الصلاة المكتوبة .
[الترغيب و التهيب]

و قد ورد مثل هذا المعنى في حديث آخر فعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال ثم أتى يعنى النبي ﷺ ، على قوم ترضح رؤسهم
بالصخرة كلما رضخت عادت كما كانت ، و لا يفتر عنهم في ذلك

شئ قال يا جبرئيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين شأقت رؤسهم
عن الصلاة المكتوبة .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من
فارق الدنيا على الاخلاص لله و عبادته وحده لا شريك له وإقام
الصلاة و إيتاء الزكاة فارقها و الله عنه راض .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال إذا كان
يوم القيامة وجمع الخلائق فى صعيد واحد ، جنهم وإنسهم والامم
جثياً صفوفاً ، فينادى مناد يستعملون اليوم من أصحاب الكرم ليقم
الحامدون لله على كل حال فيقومون فيسرحون إلى الجنة ثم ينادى ثانية
ستعملون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن
المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً و بما رزقناهم ينفقون فيقومون
و يسرحون إلى الجنة ثم ينادى ثالثة ستعملون اليوم من أصحاب
الكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقامة
الصلاة و إيتاء الزكاة فيقومون و يسرحون إلى الجنة فاذا أخذ
هؤلاء الثلاثة منازلهم يخرج عنق من النار فأشرف على الخلائق ، له
عينان بصيرتان و لسان فصيح فيقول إني وكلت بثلاثة إني وكلت
بكل جبار عنيد فيلقتهم من الصفوف كلقط الطير حب السمسم
فينخس بهم فى جنهم ثم يخرج الثالثة ، قال أبو المنهال حسبت أنه
قال إني وكلت بأصحاب التصاوير فيلقطهم من الصفوف فينخس بهم
فى جنهم فاذا أخذ من هؤلاء الثلاثة و من هؤلاء الثلاثة نشرت
الصحف و وضع الميزان و دعى الخلائق للحساب و ذكر أن

إبليس لعنه الله كان يرى في الزمن الأول فقال له رجل يا أبا مرة
كيف أصنع حتى أكون مثلك ، قال ويحك لم يطلب أحد مثل
هذا فكيف تطلب أنت ؟ فقال الرجل إني أحب ذلك فقال له
إبليس إما أن أردت أن تكون مثلي فتهاون بالصلاة ، و لا تبال
من الحلف صادقاً أو كاذباً فقال الرجل : لقد عاهدت الله أن لا
أدع الصلاة ، و لا أحلف يميناً أبداً فقال له إبليس ما تعلم أحد
منى بالاحتيال غيرك ، و أنا عاهدت أن لا أنصح آدمياً قط .
[تنبيه الغافلين للسمرقندي]

و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ
رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي يا محمد قلت ليك رب
وسعديك ، فقال هل تدري فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قلت لا
أعلم فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثدي أو قال في
نحري ، فقلت ما في السماوات و ما في الأرض أو قال ما بين
المشرق والمغرب ، قال لا يا محمد أندرى فيم يختصم الملا الأعلى ،
قلت : نعم في الدرجات و الكفارات ، و نقل الأقدام إلى
الجماعات و إسباغ الوضوء في السبرات ، و انتظار الصلاة بعد
الصلاة ، و من حافظ عليهن عاش بخير و مات بخير . [الترغيب]
و عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول
الله ﷺ الصلاة مرضاة للرب تبارك وتعالى وحب الملائكة وستة
الأنبياء و نور المعرفة و أصل الإيمان و إجابة الدعاء و قبول
الأعمال و بركة في الرزق ، و راحة للأبدان ، و سلاح على

الأعداء ، وكرهية للشيطان وشفيع بين صاحبه و بين ملك الموت
 و سراج في قبره ، و فراش تحت جنبه ، و جواب مع منكر
 و تكبير و أنس في قبره إلى يوم القيامة فإذا كانت القيامة صارت
 الصلاة ظلاً فوقه و تاجاً على رأسه و لباساً على بدنه ، و نوراً
 يسعى بين يديه وسترأ بينه و بين النار ، و حجة للمؤمنين بين يدي
 الرب تبارك و تعالی ، و تقلا في الموازين ، و جوازاً على الصراط ،
 و مفتاحاً للجنة . [تنبيه الغافلين]

و أورد الحافظ ابن حجر في المنبهات عن عثمان رضی الله
 عنه قال من حفظ الصلوات الخمس لوقتها وداوم عليها أكرمه الله
 بتسع كرامات أولها أن يحمه الله و يكون بدنه صحيحاً و تحرسه
 الملائكة ، و تنزل البركة في داره و يظهر على وجهه سبأ الصالحين
 و يلين الله قلبه ، و يمر على الصراط كالبرق اللامع ، و ينجي
 الله من النار ، و ينزله في جوار الذين لا خوف عليهم و لا هم
 يحزنون .

عن أبي هريرة رضی الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
 لا سهم في الاسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له ،
 أخرجه البزار و أخرج الحاكم عن عائشة مرفوعاً و صححه : ثلاث
 أحاط عليهن لا يجعل الله من له سهم في الاسلام كمن لا سهم
 له ، و سهام الاسلام الصوم و الصلاة و الصدقة ، الحديث ،
 و أخرج الطبرانی عن ابن عمر مرفوعاً لا دين لمن لا صلاة له ،
 إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد ، كذا في

الدر المنثور .

فائفة

إن الذين يسمون أنفسهم مسلمين ، و يتظاهرون بالحمة
الاسلامية و يجلون بالوصول إلى مكاتهم الاسلامية العالية يجب
أن يفكروا في تعاليم الرسول ﷺ ، و يتدبروا حياة أصحابه و أفعالهم
و يروا كيف تمسكوا بالدين و عضوا عليه بالواجد ، فلا غرابة
إذ دانت لهم الدنيا ، و خضعت لهم البلاد .



الباب الثاني في فضل الجماعة

كتبنا في أول الرسالة أن كثيراً من الناس يصلون ولكنهم لا يهتمون بالجماعة ، مع أن النبي ﷺ أكد على الجماعة كما أكد على الصلاة ، و في هذا الباب فصلان :

الفصل الأول في فضل الجماعة ، والثاني في الوعيد على من ترك الجماعة .

الفصل الأول في فضل الجماعة

عن ابن عمر رضی الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع و عشرين درجة [رواه مالك و البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى ، كذا في الترغيب] .
إذا كان المرء يصلى ، ويصلى ابتغاء وجه الله فلماذا لا يحضر الجماعة و يصلى في بيته ، و هل هنا عاقل يؤثر ريالاً واحداً على سبعة و عشرين وثمانية و عشرين ريالاً ؟ و مع هذا ، فذلك عين ما نفعله في مجال الدين و ليس السبب في ذلك سوى التفاضى عن أهميته و عدم العناية به ، و الايمان بفائدته في الدارين ، فبينما نجوب كل واد ، و نخوض كل ناد للحصول على دراهم معدودة لا نتجه إلى المنافع الدينية و لو تيسرت وكانت في متناول اليد .

إن سلعة الله التي تعود إلى المصلى بسبعة و عشرين ضعفاً ثقيلة على نفوسنا ، فتحول متاجرنا دون حضور الجماعة ، وأشغالنا

المادية عن أداء الصلاة في أوقاتنا ، أما الذين يعظمون شعائر الله ،
 ويشقون بوعدهم الله ويطمثون إلى ثوابه ، بل يحسبون له كل حساب
 فلا تمنعهم هذه الأعذار الواهية الباردة عن أداء هذا الواجب ،
 وهم الذين قال الله عنهم « لاتبليهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » .
 وقد ذكرت في كتابي « قصص الصحابة » ، ما كان عليه
 أصحاب رسول الله من وجل وإشفاق عند سماع الأذان ، وخين
 إلى الصلاة ، وكان سالم الجداد تاجراً يصفر لونه كلما سمع الأذان ،
 ويتوجه إلى المسجد حالاً تاركاً مكانه وماله ثم ينشد هذه الآيات :
 إذا ما دعا داعيكم قمت ، سرعاً مجيباً لمولى جسل ليس له مثل
 أجيب إذا نادى بسمع وطاعة ، ولي نشوة ليك يامن له الفضل
 ويصفر لوني خيفة و مهابة ، ويرجع لي عن كل شغل به شغل
 و حقم ما لذ لي غير ذكركم ، و ذكر سواكم في في قط لا يحلو
 متى يجمع الأيام بيني وبينكم ، و يفرح مشتاق إذا جمع الشمل
 فن شاهدت عيناه نور جمالكم ، يموت اشتياقاً نحوكم قط لا يسلو
 عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ صلاة الرجل في
 جماعة تضعف على صلاته في بيته و في سوقه خمسة وعشرين ضعفاً
 و ذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا
 يخرجها إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة و حط
 عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تنزل الملائكة تصلي ما دام في مصلاه ما لم
 يحدث ، اللهم صل عليه اللهم أرحمه ، ولا يزال في صلاة ما
 انتظر الصلاة [رواه البخاري و اللفظ له ، و مسلم و أبو داود

و الترمذى وابن ماجه ، كذا فى الترغيب .

فائدة

علمنا من الحديث الأول أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، أما هذا الحديث فهو يشير إلى خمس وعشرين ، و لهذا التفاوت أسباب فى نظر العلماء ، ذكروها فى شروح الحديث ، ومهما كان هذا الاختلاف هو نتيجة اختلاف أحوال الناس ، فمن الناس من يكتب له سبع و عشرون درجة لاختلاصه و فيهم من لا يكسب إلا خمساً و عشرين ، و قال البعض إن ذلك باختلاف الصلوات فى الصلاة السرية خمس و عشرون و فى الصلاة الجهرية سبع و عشرون ، و قال بعضهم إن ذلك لصلاة الفجر وصلاة العشاء فقد تشقان عادة على الناس ، أما الباقى فهو خمس و عشرون ، و قال بعض الشراح : إن ذلك يرجع إلى نزول الرحمة الإلهية وعنايتها الخاصة بهذه الأمة إذ أنها كانت تتدرج دائماً من حسن إلى أحسن فترقت من خمس وعشرين إلى سبع و عشرين .

و أما ما أشار إليه الرسول ﷺ بعد ذلك فهو أولى بالتأمل والاعتبار ويدولنا بوضوح أن الصلاة مع الجماعة كيف تجتمع أكبر نصيب من الحسنات فالذى يتوضأ فى بيته ثم يخرج إلى المسجد ينال ثوابه على كل خطوة بخطوها و يحط عنه سيئاته .

عن جابر رضى الله عنه قال خلت البقاع حول المسجد فأراد

بنو سلة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال بلغني
أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد ؟ قالوا : نعم يا رسول الله
قد أردنا ذلك فقال يا بني سليم دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب
آثاركم ، فقالوا ما يسرنا أن كنا نحولنا ، وفي رواية لمسلم بمعناه ،
و في آخره : إن لكم بكل خطوة درجة . [الترغيب]

عن ابن مسعود قال من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ
على هؤلاء الصلاة حيث ينادى بين فان الله تعالى شرع لنيكم ﷺ
سنن الهدى و إنهن من سنن الهدى و لو أنكم صليتم في بيوتكم كما
يصلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم و لو تركتم سنة نبيكم
لضلتم ، و ما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد
من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه
بها درجة و يحط عنه بها سيئة ، ولقد رأينا و ما يتخلف عنها إلا
مناقم معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى بها يهادى بين الرجلين
حتى يقام في الصف ، و في رواية لقد رأينا و ما يتخلف عن الصلاة
إلا مناقم قد علم نفاقه أو مريض ، إن كان الرجل ليمشى بين
الرجلين حتى يأتي الصلاة ، و قال إن رسول الله ﷺ علنا سنن
الهدى و إن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه -
رواه مسلم و أبو داؤد و النسائي و ابن ماجة ، كذا في الترغيب
و الدر المنثور ، و السنة نوعان : سنة الهدى و تاركها يستوجب
إساءة كالجماعة و الأذان و الزوائد و تاركها لا يستوجب إساءة
كسيرة النبي ﷺ في لباسه و قمره ، كذا في نور الأنوار ، و الإضافة

في سنة الهدى بيانية ، أى سنة هدى و الحمل مبالغة ، كذا في
قر الأقرار .

فائدة

كان الصحابة عليهم رضوان الله يهتمون بالجماعة كل الاهتمام
حتى إن المريض كان يلحق بالجماعة رغم مرضه إذا استطاع و لو
اضطر إلى مساعدة رجلين يحملانه و كيف لا يهتمون ، و لا
يادرون إلى الجماعة ، و قد رأوا سيدنا محمداً ﷺ يهتم بالجماعة
هكذا حين اشتد به المرض .

عن أبي الدرداء قال أحدثكم حديثاً سمعت من رسول الله
ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك و اعدد نفسك في الموقى وإياك دعوة المظلوم فانها
تستجاب ، و من استطاع منكم أن يشهد الصلاتين العشاء و الصبح
و لو جراً فليفعل . [الترغيب]

و عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء و صلاة الفجر و لو يعلون
ما فيها لأتوهما و لو حبوا . [الترغيب]

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ من صلى لله
أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان ، براءة
من النار و براءة من النفاق رواه ، الترمذى ، وقال لا أعلم أحداً
رفعه إلا ما روى مسلم بن قتيبة عن طعمة عن ابن عمر ، و قال

المملى ومسلم : وبقيّة رواه ثقات ، كذا في الترغيب ، قلت : وله شواهد من حديث عمر رفعه : من صلى في مسجد جماعة أربعين ليلة لانقوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقاً من النار ، رواه ابن ماجه و الملفظ له و الترمذى وقال نحو حديث أنس يعنى المتقدم ولم يذكر لفظه و قال مرسل يعنى عمارة الراوى عن أنس لم يدرك أنساً و عزاه في منتخب الكنتز إلى البيهقي في الشعب و ابن عساكر و ابن النجار .

فائدة

يعنى من صلى أربعين يوماً باخلاص وحسن نية بحيث يقبلى الامام من أول الصلاة و لا تقوته التكبيرة الأولى فانه لا يدخل في النار و لا يعسد من المناقين فان المساققين هم الذين يراؤن الاسلام ويضمرون الكفر ، أما عدد الأربعين فان له تأثيراً قوياً في أوضاع الانسان ولذلك نرى أن الانسان يبقى نظفة قبل خلقه إلى أربعين و علقه ومضغة إلى أربعين وهكذا ، فبا لحسن حظ هؤلاء السعداء الذين لا تقوتهم تكبيرة على الأعوام .

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضرها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، رواه أبو داود والنسائي و الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ، كذا في الترغيب ، و فيه أيضاً عن سعيد بن مسيب قال حضر رجل من الأنصار

الموت فقال إني محدثكم حديثاً ما أحدثكموه إلا احتساباً إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء، الحديث، وفيه: فإن أتى المسجد فصلى في جماعة غفر له، فإن أتى المسجد وقد صلوا بعضاً وبقى بعض صلى ما أدرك وآتم ما بقي كان كذلك فإن أتى المسجد وقد صلوا فآتم الصلاة كان كذلك، رواه أبو داود

فائدة

إنه من عظيم نعم الله على عباده وجميل فضله وإحسانه أنه يعطى الأجر على مجرد المحاولة والسعي أدرك الصلاة أم لم يدركها ما دام قد حن إليها وسعى لها سعيها، فإذا قصرنا في نيل هذا الأجر وحصول هذا الثواب وتعدنا عن هذا الأمام والاكرام فإننا بذلك لن نضر الله شيئاً، وقد بدأ من هذا الحديث، أنه لا ينبغي أن يماطل في الذهاب إلى المسجد إذا ظننا أن الصلاة انتهت، حتى نحصل بذهابنا الأجر، أما إذا علمنا يقيناً فلا بأس عن قباث بن أشيم اللبي قال قال رسول الله ﷺ صلاة الرجلين يوم أحدهما صاحبه أركى عند الله من صلاة أربعة تهرى وصلاة أربعة أركى عند الله من صلاة ثمانية تهرى، و صلاة ثمانية يومهم أحدهم أركى من صلاة مائة تهرى، رواه البزار والطبراني بإسناد لا بأس به، كذا في الترغيب، وفي مجمع الروايد رواه البزار والطبراني موثوقون وعزاه في الجامع الصغير إلى الطبراني والبيهقي ورقم له بالصحة، وعن أبي بن كعب رفعه بمعنى حديث الباب، وفيه قصة وفي آخره وكلما كثر فهو أحب إلى الله عز

وجعل ، رواه أحمد و أبو داؤد و النسائي و ابن خزيمة و ابن حبان في صحيحهما و الحاكم و قد جزم يحيى بن معين و الذهبي بصحة هذا الحديث ، كذا في الترغيب .

فائدة

إن بعض الناس يظنون أنه إذا اجتمع نفر في مكان أو في متجر و دكان فيمكن لهم أن يصلوا جماعة هناك و ليس لهم حاجة إلى المسجد و ذلك وهم و خطأ و سوء فهم ، فأنهم بذلك - أولاً - يحرمون ثواب المسجد و يحرمون ثواب كثرة الجماعة ، فإن الجمع الكثير أحب إلى الله من الجمع القليل ، وهنا ناحية أخرى و هي أننا إذا قمنا لصلاة ابتغاء وجه الله و نيل رضاه و جب علينا أن نقوم بها بطريقة مرضية مقبولة عند الله .

عن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله ﷺ بشر المشائين في الظلم إلى المسجد بالنور التام يوم القيامة ، رواه ابن ماجة و ابن خزيمة في صحيحه و الحاكم و اللفظ له و قال صحيح على شرط الشيخين ، كذا في الترغيب ، و في المشكاة برواية الترمذي و أبي داؤد عن بريدة ثم قال رواه ابن ماجة عن سهل بن سعد و أنس ، قلت : وله شاهد في منتخب كنز العمال برواية الطبراني عن أبي أمامة بلفظ : بشر المدلجين إلى المساجد في الظلم بمنابر من نور يوم القيامة يفرح الناس ولا يفرعون ، و ذكر السيوطي في الدر الثور في تفسير قوله تعالى « إنما يعمر مساجد الله » عدة روايات في هذا المعنى .

فائدة

إننا لا نقدر في هذه الدنيا المشى إلى المساجد في الظلم
ولكننا نتطلع على فوائده وثمراته إن شاء الله حين تقوم القيامة
بجمع أهوالها وشدائدها ، إن بعض هذا العناء وبعض هذا التعب
الذى نبعده في ذهابنا إلى المساجد في الظلم سيتحول إلى قبة من نور
و نور ساطع كالشمس يرافقنا أينما سرنا في ظلمات يوم القيامة .

إن كل تعليم من تعاليم الشريعة و توجيه من توجيهاتها يحمل
أجرأ و بركة ويمتأ لا حد له ولا نهاية ، ولكنه في نفس الوقت
يحمل مصالح و حكما عالية للعباد و لا شك أن الوصول إلى كنه
تلك المصالح و الغايات عسير و محال ، و هل يمكن أحداً أن
يطلع على الأسرار الربانية و المصالح الالهية الدقيقة العميقة و لكن
رزقنا حظاً منها على قدر فهمنا و فهمنا ومداركنا ، وقد شرح العلماء
فوائد حضور الجماعة كما فهموها ، وقد أفاض فيها شيخنا أحمد بن
عبد الرحيم الدهلوى في كتابه « حجة الله البالغة » و ملخص
كلامه ما يلي :

« أعلم أنه لا شئ أنفع من غائلة الرسوم من أن يجعل شئ
من الطاعات رسماً فاشياً يؤدي على رؤس الحامل والنيه و يستوى
فيه الحاضر و الباد و يجرى فيه التفاخر و التباهى حتى تدخل في
الارتقاقات الضرورية التي لا يمكن لهم أن يتركوها ولا أن يهملوها
لتصير مؤيداً لعبادة الله والسنة ، تدعو إلى الحق ويكون الذى يخاف
منه الضرر هو الذى يجلبهم إلى الحق و لا شئ من الطاعات أتم

شأناً و لا أعظم برهاناً من الصلاة فوجب إشاعتها فيما بينهم و
الاجتماع لها و موافقة الناس فيها ، و أيضاً فالملّة تجمع ناساً علماء
يقتدى بهم و ناساً يحتاجون في تحصيل إحسانهم إلى دعوة خشيّة
و ناساً ضعفاء البنية لولم يكلفوا أن يؤدوا على أعين الناس تهاونوا
فيها فلا أنفع و لا أوفق بالمصلحة في حق هؤلاء جميعاً أن يكلفوا
أن يطيعوا الله على أعين الناس ليميز فاعلمها من شاركها و راغبها
من الزاهد فيها و يقتدى بعالمها و جاهلها و تكون طاعة الله فيهم
كسليكمه تعرض على طائف الناس ينكر غشها المنكر و يعرف عنها
المعروف و يرى غشها و خالصها ، و أيضاً فلاجتماع المسلمين
راغبين في الله راجعين راهبين منه مسلمين و جوههم إليه خاصية عجيبة
في نزول البركات و تدلى الرحمة كما بينا في الاستسقاء و الحج ،
و أيضاً فراد الله من نصب هذه الأمة أن تكون كلمة الله هي العليا
و أن لا يكون في الأرض دين أعلى من الإسلام و لا يتصور ذلك
إلا بأن يكون سنتهم أن يجتمع خاصتهم و عامتهم و حاضرهم و بادهم
و صغيرهم و كبيرهم لما هو أعظم شعائره و أشهر طاعاته فلهذه
المعاني انصرفت العناية التشريعية إلى شرع الجمعة و الجماعات و الترغيب
فيها و تغليظ النهي عن تركها .

[حجة الله البالغة الجزء الثاني المطبوعة بمصر ص / ٢٣]

الفصل الثاني

في العتاب على من ترك الجماعة

إن الله تعالى وعد بالثواب و الأجر على اتباع أوامره ،
و أنذر بسخطه و عتابه على عصيانه و مخالفة أوامره ، و من فضله
العميم على عباده أنه وعد بأجر غير ممنون و عطاء غير مجذوذ على
الاتباع ، فالعبودية لا تقتضى بطبيعة الحال إلا العتاب و الزجر
بدلاً من الثواب و الأجر ، فإن العبد لا وظيفة له غير امتثال
الأمر ، و الطاعة الكاملة و الاتباع المجرد ، وهو لا يستحق هذا
الفضل و الاحسان و الاكرام و الانعام ، أما العصيان فهو يستحق
عليه - طبعاً - كل نوع من العذاب ، و كل لون من العتاب ،
و أى شئ أكبر جناية من المعصية ، ولم تكن نستحق هذه التنبيهات
أبداً ، ولكن الله حذرنا بلطفه من سوء العاقبة مرة بدمرة ، وأخبرنا
بمضاره و أخطاره ، و موبقاته و مهلكاته ، و ضرب لنا من كل
مثل ، و تنبيه و نصح ، و إنذار و تبشير ، و وعد و وعيد ،
و من أساء بعد ذلك فإنه لا يهلك إلا نفسه ، و ما ربك بظلام
للعييد .

عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من
سمع النداء فلم يمنع من اتباعه عذر ، قالوا : و ما العذر ؟ قال
خوف أو مرض لم تقبل منه الصلوات التي صلى ، رواه أبو داؤد
و ابن جبان في صحيحه و ابن ماجه بنحوه ، كذا في الترغيب ،
و في المشكاة رواه أبو داؤد و الدارقطنى .

فائدة

إن معنى عدم القبول أنه لا ينال ذلك الأجر الذي كان مرتبطاً بهذه الصلوات ، و إن أدى فريضة ، وهو المراد من جميع الآثار والأخبار التي وردت فيها بأن لا تقبل صلاة فلان ، فالحرمان من هذا ليس بشئ هين ، و إلى ذلك ذهب الامام أبو حنيفة ، و قد ذهب عدد من الصحابة و التابعين إلى أن ترك الجماعة بلا عذر حرام وأن حضور الجماعة فرض ، ويرى كثير من العلماء أنه لا صلاة مطلقاً لمن ترك الجماعة .

عن معاذ بن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال الجفاء كل الجفاء و الكفر و النفاق من سمع منادى الله ينادى إلى الصلاة فلا يجيبه ، رواه أحمد و الطبراني من رواية زيان بن فائد ، كذا في الترغيب ، و في مجمع الزوائد رواه الطبراني في الكبير و زيان ضعفه ابن معين و وثقه أبو حاتم و عزاه في الجامع الصغير إلى الطبراني و رقم له بالضعف .

فا أشد هذا الزجر و أنكى هذا التيه إذ سمي هذا الفعل كفراً و نفاقاً ، و قرر أن صدوره عن مسلم مستحيل أو بعيد ، وورد في حديث آخر ما معناه كفى بالمرء شقاء أن يسمع الأذان فلا يستجيبه ، سليمان بن أبي حنمة من كبار الصحابة ، ولد في عهد النبي ﷺ و لكنه لم يرو عنه ﷺ لصغر سنه ، جعله عمر رضي الله عنه أمير السوق .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لقد هممت أن أمر فتيتي فيجمعوا لي حزمًا من حطب ثم آتى قوماً يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم ، رواه مسلم و أبو داؤد وابن ماجه والترمذى ، كذا فى الترغيب ، قال السيوطى فى الدرر: أخرج ابن أبى شيبه و البخارى و مسلم و ابن ماجه عن أبى هريرة رفعه ، أنقل الصلاة على المناقين صلاة العشاء و صلاة الفجر و لو يعلون ما فيها لأتوهما ولو حبواً ، و لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ، الحديث بنحوه .

فائدة

إن النبى ﷺ بكل ما عرف به من رحمة و لين و رافة بأمة و رفق بأحوال عباد الله ، و مع أنه كان لا يرضى بأن يتأذى أحد و يتألم لم يتمالك غضبه فى هذا الأمر ، و أراد بأن يحرق بيوت هؤلاء الذين لا يحضرون الجماعة .

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من ثلاثة فى قرية و لا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة ، فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، رواه أحمد و أبوداؤد و النسائى و ابن خزيمة و ابن حبان فى صحيحيهما و الحاكم ، و زاد رزين فى جامعه ، و إن ذئب الانسان الشيطان إذا خلا به أكله ، كذا فى الترغيب و رقم له فى الجامع الصغير بالصحة و صححه الحاكم و أقره عليه الذهبى .

فائدة

علنا من هذا الحديث أن الذين يشتغلون بالزراعة ينبغي لهم أن يصلوا جماعة إذا كانوا ثلاثة ، إن الفلاحين لا يصلون عادة ، و يظنون أن الزرع و الحرث يمنعهم من الصلاة ، أما المتدينون فهم يصلون صلاة الفذ في غالب الأحوال ، و لو اجتمعوا في وقت الصلاة ، و خلوا مزارعهم استطاعوا أن يصلوا جماعة ، و ينالوا ثواباً كبيراً ، فانهم يحتملون الحر و القر و المطر ، و لا يباليون بشدائد الطقس و مشقة الزراعة لأجل متاع قليل ، و يفقدون هذا الأجر العظيم و الثواب العميم ، و لو أنهم صلوا جماعة في حقولهم و مزارعهم لكان أجلب للثواب ، و أولى بالنفع و الخير ، فعن عقبة ابن عامر قال قال رسول الله ﷺ يجب عليك من راعي غنم في رأس شظية للجبل يؤذن بالصلاة و يصلى فيقول الله عز و جل انظروا إلى عبدي هذا يؤذن و يقيم الصلاة يخاف مني ، قد غفرت لعبدي و أدخلته الجنة .

[رواه أبو داؤد و النسائي]

عن ابن عباس أنه سئل عن رجل يصوم النهار و يقوم الليل و لا يشهد الجماعة و لا الجمعة فقال هذا في النار [رواه الترمذي موقوفاً ، كذا في الترغيب ، و في تنبيه الغافلين روى عن مجاهد أن رجلاً جاء إلى ابن عباس فقال : يا ابن عباس ما تقول في رجل فذكره بلفظه زاد في آخره : فاختلف إليه شهراً يسأله

عن ذلك و هو يقول : هو في النار

فائدة

سلنا أن المؤمن يخرج أخيراً من النار ، ولكن من يدرى كم تطول مدته (أعاذنا الله منها) إن جهال الصوفية يهتمون بالأوراد و النوافل أكثر من حضور الجماعة و الاهتمام بها و يعتبرون هذا من سيما الصالحين ، وعلامات الأبرار و المتقين مع أن كمال التقوى في اتباع السنة فقط .

أخرج ابن مردويه عن كعب الجبر قال و الذي أنزل التوراة على موسى و الإنجيل على عيسى و الزبور على داؤد و الفرقان على محمد ، أنزلت هذه الآيات في الصلوات المكتوبات حيث ينادى بين يوم يكشف عن ساق إلى قوله و هم سالون ، الصلوات الخمس إذا نودي بها ، و أخرج البيهقي في الشعب عن سعيد بن جبير قال الصلاة في الجماعات ، و أخرج البيهقي عن ابن عباس قال الرجل يسمع الأذان فلا يجيب الصلاة ، كذا في الدر المنثور ، قلت : و تمام الآية ، يوم يكشف عن ساق و يدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة و قد كانوا يدعون إلى السجود و هم سالون .

إن الكشف عن الساق لا يكون إلا في يوم القيامة فيقع المسلمون كلهم ساجدين خاشعين بينما يصبح صلب بعضهم كالخشبة فلا يقدرّون على السجدة ، و قد وردت تفسيرات مختلفة لهذا النوع

الأخير فقد روى عن كعب الأحبار وروى عن ابن عباس وغيره بنحوه ، أنهم أناس كانوا يدعون إلى صلاة الجماعة فلا يستجيبون ، و روى البخارى عن أبي سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله ﷺ أنهم من الذين كانوا يصلون رثاء ، والتفسير الثالث أنهم من الكفار الذين لا يصلون مطلقاً ، و التفسير الرابع أنهم من المنافقين ، و الله أعلم و عليه أتم .



الباب الثالث فى الخشوع فى الصلاة

إن هناك أناساً يصلون ، و منهم من يصلون مع الجماعة و يهتمون بها كل الاهتمام ولكن تضرب هذه الصلاة على وجوههم و ترد إليهم لكونها ناقصة ، وكون الصلاة ناقصة أولى من تركها بتأنا ، فان تركها يجر العذاب الأليم ، أما أدائها ناقصة فان ذلك يحرم من الثواب المرجو ، و مهما يكن من شئ فان الشكل الأخير يخلو من التمرد و البغى و الطغيان بخلاف الشكل الأول ، فينبغى للره و قد أنفق بعض الوقت و الجهد و تحمل المشقة و العناء أن يحاول تحسين صلاته وأن يجعلها ما استطاع و جهة مقبولة عند الله ، إن الآية التالية تتعلق بالأضحية و لكنها تنطبق على سائر الأحكام و الأمور و النواحي ، إن ينال الله لحومها و لا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، فكلما كان الاخلاص كان القبول عند الله .

عن معاذ بن جبل أنه قال حين بعث إلى النبي يا رسول الله أوصني قال أخلص دينك يكفك العمل القليل ، و روى عن ثوبان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : طوبى للخلصين ، أولئك مصابيح الهدى تتجلى عنهم كل فتنة ظلماء ، و عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه ظن أن له فضلا على من دونه من أصحاب رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم و صلاتهم و إخلاصهم . [الترغيب]

وقال الله تعالى « فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون » وقد جاءت تفسيرات مختلفة لـ « ساهون » منها أن لا يبالي بأوقاتها و منها أن لا يركز قلبه و قلبه على الصلاة بل يؤديها متشتت البال فلا يعلم كم ركعة صلى ، و قال الله تبارك و تعال يصف المنافقين « و إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس و لا يذكرون الله إلا قليلا » و ذكر في موضع آخر بعض الأنبياء عليهم السلام ثم قال « تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » و معنى النفي في اللغة الضلال والمراد منه الهلاك في الآخرة و ذهب بعض المفسرين أن النفي طبقة في جهنم فيها غسلين و ماء حميم يلقي فيها هؤلاء المضيعون للصلاة ، و جاء في مكان آخر « وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله و برسوله و لا يأتون الصلاة إلا و هم كسالى و لا ينفقون إلا و هم كارهون » .

و يذكر بالعكس منهم المحسنين صلاتهم و الذين يؤدون

حقوقها و شروطها فيقول : « قد أطلع المؤمنون الذين هم في
صلاتهم خاشعون » .

ورد في الحديث أن الفردوس أفضل طبقات الجنة وأعلىها
فن هنا تتفجر أنهار الجنة و العرش العظيم فوقه فإذا سألت الله
الجنة فاسألوا الفردوس ، ويقول في موضع « و إنها لكبيرة إلا
على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون »
ويصف هؤلاء في موضع آخر قائلاً « في بيوت أذن الله أن ترفع
و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغنو و الأصال ، رجال لا تلهيهم
تجارة و لا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة و إيتاء الزكاة يخافون
يوماً تتقلب فيه القلوب و الأبصار ليحزيهم الله أحسن ما عملوا
و يزيدهم من فضله و الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

قال عبد الله بن عباس إن المراد من إقام الصلاة أن يعتدل
في ركوعه وسجوده و يقبل إلى الله إقبالا كلياً و يصل خاشعاً ،
و عن قتادة أن معنى إقام الصلاة المحافظة على الأوقات و إسباغ
الوضوء و الاعتدال في الأركان ، هذا هو المراد من الإقامة حيثما
ورد في القرآن ، و أتى عليهم في موضع آخر فقال : « و عباد
الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً و إذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاماً ، و الذين يبيتون لربهم سجداً و قياماً » ، قال « أولئك
يجزون الغرفة بما صبروا و يلقون فيها تحية و سلاماً خالدين فيها
حسنات مستقراً و مقاماً » ، وقال « و الملائكة يدخلون عليهم من
كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعمت عني الدار ، وزادهم في مكان

آخر و قال « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و
طمعاً و بما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
أعين جزاءاً بما كانوا يعملون » .

إن المتقين في جنات و عيون آخذين ما آتاهم ربهم ، إنهم
كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون و بالأسحار
هم يستغفرون » .

« أمن هو قانت آناء الليل ساجداً و قائماً يحذر الآخرة ،
و يرجو رحمة ربه » .

« قل هل يستوى الذين يعملون و الذين لا يعملون إنما يتذكر
أولو الألباب » .

« إن الانسان خلق هلوعاً ، إذا مسه الشر جزوعاً ، و إذا مسه
الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » .

« و الذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون » .

و هناك آيات كثيرة ذكرت فيها أحكام الصلاة و فضائل
المصلين و الاكرام الذى ينالونه فى الآخرة ، و لا شك أن الصلاة
أغلى من كل شئ ، و لذلك قال النبي ﷺ : قرّة عيني فى الصلاة ،
وجاء على لسان سيدنا إبراهيم خليل الله « رب اجعلنى مقيم الصلاة
ومن ذريتى ، ربنا و تقبل دعائى » ، فانظر إلى هذا النبى الحبيب إلى
ربه الذى لقب بخليل الله كيف يسأل الله أن يرزقه العناية و الاهتمام
بالصلاة و يأمر الله سبحانه حبيبه و سيد أنبيائه فيقول ، و أمر
أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك و العاقبة

للقوى ،

و عن رجل من قريش قال كان النبي ﷺ إذا دخل على
أهله بعض الضيق من الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ : وأمر أهلك
بالصلاة . [الدر المشور]

وكذلك كان الأنبياء عليهم السلام يتوجهون إلى الصلاة كلما
حزبهم أمر ، أما نحن فغافلون عنها لانهم بها أى اهتمام رغم كل
الدعاوى الفارغة ، وإذا نادى مناد للصلاة و دعا إليها أصبح عند
بعضنا موضع سخرية ، و لا نضر بذلك إلا أنفسنا ، أما المصلون
فأكثر صلاتهم ساهية واهية ، فلا نجد فيها تعديل الأركان فضلا
عن الخشوع و الانابة ، مع أن أسوة النبي ﷺ ظاهرة باهرة ،
و عمل الصحابة واضح ثابت ، وقد أوردت أمثلة و نماذج لصلاة
الصحابة في كتابي « قصص الصحابة » ، فلا حاجة إلى إعادتها فأكتفي
هنا بأمثلة من رجال الله و نبذة من أحاديث الرسول ﷺ .

يروى عن الامام أحمد بن حنبل أنه كان يقضى نهاره في
تحقيق المسائل العلية و يصل في ليلة واحدة ثلاث مائة ركعة ، و
كان سعيد بن جبير يختم القرآن في ركعة واحدة ، و حكى عن محمد
بن المنكدر أنه بكى في صلاة التهجد بكاءً حاراً حتى سئل عن ذلك
فقال أمسكتني هذه الآية « وبداهم من الله مالم يكونوا يحتسبون »
وكان خائفاً و جلا عند وفاته ، وقال إنى أخشى من هذه الآية .

وكان ثابت البناني من حفاظ الحديث يبكي كثيراً حين يقوم
أمام ربه فقيل له ذلك يضر عينيك ، فأجاب ما الفائدة في العين إذا

لم يفض ، و كان يدعو الله أن يسمح له باصلاة في القبر إذا
 سمح ذلك لأحد من خلقه ، و يقول أبو سنان : والله حضرت
 جنازته و كنت من الذين دفنوه ، وقد سقطت لبتة من القبر بعد
 أن سويتاه ، فرأيتة قائماً يصلي فقلت لصاحبي ، أنظر هل ترى شيئاً؟
 فقال لي أسكت ، و لما فرغنا من رفعه ، ذهبنا إلى بيته و سألنا
 أخته عما إذا كان عمل ثابت ، فقالت لماذا تسألون ؟ فكيفنا ماجرى ،
 قالت : إنه سهر الليل منذ خمسين سنة ، و كان يدعو في السحر
 و يقول : اللهم إذا سمحت لأحد من خلقك أن يصلي في قبره ،
 فاجعلني منهم .

وكان الامام أبو يوسف يصلي مائة ركعة كل يوم إلى جانب
 أشغاله العلية و مشكلات القضاء قد كان قاضي القضاة .

و كان المحدث الكبير محمد بن نصر يصلي فلا يحس بشئ ،
 و حدث أنه لدغته زنبور في جبينه حتى خرج منه الدم فلم يتحرك
 و لم يتزلزل في الخشوع والخضوع ، ويقال إنه كان يقوم كالخشب
 لا يتحرك مطلقاً ، و كان يقي بن مخلد يختم القرآن في ثلاث عشرة
 ركعة من الوتر و التهجد ، و كان هناد تليذه المحدث يقول إنه
 كان بكاءً ، حدث مرة أنه درسنا بعد صلاة الفجر ، ثم قضى
 حوائجه و توضأ و قام للصلاة حتى كان الزوال ، ثم ذهب إلى
 بيته ، و خرج عند صلاة الظهر وصلى بنا ، و ظل يشتغل بالصلاة
 حتى قام لصلاة العصر ، ثم جلس يتلو القرآن حتى غربت الشمس
 و رجعت بعد صلاة المغرب ، و سألت أحد جيرانه عن عبادة

الشيخ فقال هذا دأبه منذ سبعين سنة ، و إذا رأيته في الليل
استغربت أكثر .

ويحكى عن مسروق أنه كان يطيل صلاته حتى تورمت ساقاه ،
و كانت زوجته جالسة ورامه ترى لحاله و تبكى ، و يقولون عن
سعيد بن المسيب أنه صلى العشاء والفجر بوضوء واحد لمدة خمسين
سنة ، و حكى عن أبي المعتمر أنه واطب على هذا أربعين سنة ،
و نقل الامام الغزالي عن أبي طالب المكي أنه ثبت عن أربعين
تابعياً بطريق التواتر أنهم كانوا يصلون صلاة الفجر بوضوء العشاء
و استقام بعضهم على ذلك أربعين سنة

أما ما نقل عن الامام أبي حنيفة فهو معلوم و مشهور ، و
ذلك أنه صلى الفجر بوضوء العشاء لمدة أربعين أو خمسين سنة ،
و هذا الاختلاف في الرواية مرده إلى علم الناقلين والرواة ، فن
عشر على أربعين روى هذا و من اطلع على خمسين روى ذاك ،
وكان يقبل لساعة في الظهر ، بناءً على ما جاء في الحديث ، و حكى
عن الامام الشافعي أنه كان يختم ستين ختمة في الصلاة في شهر
رمضان و يقول رجل مكث عند الامام الشافعي لعدة أيام إنه لم
يكن ينام في الليل إلا قليلا ، و كان الامام أحمد يصلي ثلاث مائة
ركعة كل يوم ، فلما ضرب بالسياط انتقص هذا العدد فأصبح مائة
و نصف ، و كان عمره إذ ذاك ما يقارب ثمانين سنة ، و كان
أبو عتاب السلي يقوم الليل و يبكي و يصوم في النهار و مكث
على هذا أربعين سنة .

وهناك ألوف مؤلفة من الفحاح والأمثلة تمثل هؤلاء السعداء
تزخر بها كتب التاريخ ، و يستعصى الاحاطة بها على الباحث و
المؤرخ ، وفي ما ذكرناه كفاية ومقنع ، رزقنا الله اتباعهم وحسن
الافتداء بهم بلطفه وكرمه ، وفيما يلي بعض ماورد في هذا الباب بعض
الأحاديث و الآثار .

١ - عن عمار بن ياسر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن
الرجل لينصرف و ما كتب له إلا عشر صلواته ، تسعها ، ثمنها ،
سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها [رواه أبو داؤد
وقال المنذرى فى الترغيب : رواه أبو داؤد والنسائى و ابن حبان
فى صحيحه بنحوه ، وعزاه فى الجامع الصغير إلى أحمد و أبى داؤد
و ابن حبان ورقم له بالصحيح ، وفى المنتخب عزاه إلى أحمد أيضاً ،
وفى الدر المنثور أخرج أحمد عن أبى اليسر مرفوعاً : منكم من صلى
الصلاة كاملة و منكم من صلى النصف و الثلث و الربع حتى بلغ
العشر ، قال المنذرى فى الترغيب رواه النسائى بإسناد حسن و اسم
أبى اليسر كعب بن عمرو السلى شهد بدرأ .

يريد أن الاخلاص و الخشوع هو مقياس الاجر و الثواب
فى الحقيقة و جاء فى حديث أن للقرضنة عند الله وزناً فكلما نقص
منه حوسب ، و جاء فى حديث آخر أن أول ما يرفع من الناس
الخشوع فلا يوجد خاشع فى قوم .

٢ - روى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ فمن صلى الصلاة
لوقتها وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها و خشوعها و ركوعها

ويعودها خرجت وهي يضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظني ،
 و من صلاها لغير وقتها ، و لم يسبح لها وضوءها و لم يتم لها
 خشوعها و لا ركوعها و لا سجودها خرجت و هي سوداء مظلمة
 تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما
 يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه ، رواه الطبراني في الأوسط
 كذا في الترغيب و الدر المنثور وعزاه في المنتخب إلى البيهقي في
 الشعب و فيه أيضاً برواية عبادة بمعناه و زاد في الأولى بعد قوله
 « كما حفظني » ثم أصد بها إلى السماء و لها ضوء و نور ففتحت
 له أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله فتشفع لصاحبها و قال في
 الثانية و غاقت دونها أبواب السماء ، و عزاه في الدر إلى البراز
 و الطبراني ، و في الجامع الصغير حديث عبادة إلى الطيالسي ،
 و قال : صحيح .

فهنيئاً للذين يحسنون صلاتهم حتى تدعو لهم هذه العبادة و
 تشفع لهم عند الله ، أما صلاتنا في هذا الزمان فلا علاقة لها بهذه
 الصلاة المطلوبة ، فإذا ركع واحد لم يقم كما ينبغي أن يقوم بل سجد
 استجلاً وقر فيها كنفرة الغراب ، فهل يكون لهذه الصلاة مصير
 غير هذا المصير ؟ و هل يحق لنا أن نشكو إلى الله على ذهاب
 شوكتنا بعد أن ضيعنا صلاتنا ، وهذا هو سر انحطاط المسلمين في
 هذا الزمان ، وورد في أثر عن النبي ﷺ أن مثل من لا يقيم صلبه
 في صلاته كمثل حبل حملت فلما دنا نفاسها اسقطته فلا هي ذات
 حل و لا هي ذات ولد

و جاء في حديث : رب صائم ليس من صيامه إلا الجوع
و العطش و رب قائم ليس له إلا السهر .

و عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبي ﷺ مر
على أصحابه يوماً فقال : هل تدرّون ما يقول ربكم تبارك و تعالى
قالوا الله و رسوله أعلم ، قالها ثلاثاً ، قال و عزّى و جلالى لا
يصلها أحد لوقتها إلا أدخلته الجنة و من صلاها بغير وقتها إن
شئت رحمته و إن شئت عذبه . [الترغيب]

٣ - عن أبي هريرة رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ
يقول إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ،
فإن صلحت فقد أفلح و أجمع ، و إن فسدت خاب و خسر .
و إن انتقص من فريضة قال الرب انظروا هل لعبدى من تطوع
فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك ،
رواه الترمذى ، و حسنه النسائى و ابن ماجه و الحاكم و صححه ،
كذا فى الدر ، و فى المنتخب برواية الحاكم فى الكنى عن ابن عمر
أول ما افترض الله على أمتى الصلوات الخمس ، وأول ما يرفع من
أعمالهم الصلوات الخمس ، الحديث بطوله بمعنى حديث الباب و فيه ذكر
الصيام و الزكاة نحو الصلاة ، و فى الدر أخرج أبو يعلى عن أنس
رفعه : أول ما افترض الله على الناس من دينهم الصلاة ، و آخر
ما يبقى الصلاة و أول ما يحاسب به الصلاة ، يقول الله انظروا
فى صلاة عبدى فإن كانت تامة كتبت تامة و إن كانت ناقصة قال
انظروا هل له من تطوع ، الحديث فيه ذكر الزكاة و الصدقة ، و فيه أيضاً

أخرج ابن ماجه والحاكم عن تميم الدارى مرفوعاً : أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلته ، الحديث . و فى آخره ثم الزكاة مثل ذلك ثم تؤخذ الأعمال حسب ذلك ، و عزاه السيوطى فى الجامع إلى أحمد و أبى داود و الحاكم و ابن ماجه و رقم له بالصحيح .
علينا من هذا الحديث أنه ينبغى للمؤمن أن يكون لديه رصيد من النوافل ليكون عدته حين تنقص به الفريضة إن هناك رجالاً يقولون شغل علينا الفريضة فمالنا للنوافل ؟ فهى للصالحين و أولياء الله ، الحق أننا إذا أدينا الفريضة كاملة غير منقوصة فكانت فيها كفاية ، و لكن هل فى وسعنا وهل من اليسور أن تؤدى حقها فلا نغنى من النوافل لا يكال ما تنقص و سد ما عوز من الصلوات المكتوبة ، و كان دأب النبي ﷺ أنه أول ما كان يعلم من أسلم الصلاة .

٤ - عن عبد الله بن قرط قال قال رسول الله ﷺ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، و إن فسدت فسدت سائر عمله ، رواه الطبرانى فى الأوسط و لا بأس بإسناده إن شاء الله ، كذا فى الترغيب ، و فى المنتخب برواية الطبرانى فى الأوسط أيضاً عن أنس بلفظه ، و فى الترغيب عن أبى هريرة رفعه للصلاة ثلاثة أثلاث : الطهور ثلث ، ركوع ثلث ، و السجود ثلث فن أداها بحمقها قبلت منه و قبل منه سائر عمله ، رواه البزار و قال لا فعله مرفوعاً إلا من حديث المغيرة بن مسلم ، قال الحافظ : وإسناده حسن ، و أخرج مالك فى الموطأ أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله أن أهم أموركم عندى الصلاة

من حفظها أو حافظ عليها حفظ دينه و من ضيعها فهو لما سواها
أضيع ، كذا في الدر المنثور
و ذلك هو معنى الآية إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
التي سيأتي ذكرها .

عن عبد الله بن قتادة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ
أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته ، قالوا يا رسول الله كيف
يسرق صلاته قال لا يتم ركوعها و لا سجودها ، رواه الدارمي ،
و في الترغيب رواه أحمد و الطبراني و ابن خزيمة في صحيحه و قال
صحيح الاسناد ، و في المقاصد الحسنة حديث إن أسوأ الناس سرقة .
رواه أحمد و الدارمي في مستدبرهما من حديث الوليد بن مسلم عن
الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن قتادة عن أبيه
مرفوعاً ، و في لفظ بجذف إن ، و صححه ابن خزيمة و الحاكم
و قال إنه على شرطهما و لم يخرجاه لرواية كاتب الأوزاعي له عنه
عن يحيى بن أبي سلية عن أبي هريرة و رواه أحمد أيضاً والطائلسي
في مستدبرهما من حديث علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي
سعيد الخدري به مرفوعاً ، و رواية أبي هريرة عند ابن منيع ،
و في الباب عن عبدالله بن مغفل ، و عن الثعمان بن مرة عند مالك
مرسلاً في آخرين ، و قال المنذري في الترغيب بحديث ابن مغفل
رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة باسناد جيد و قال بحديث أبي هريرة
رواه الطبراني في الأوسط و ابن حبان في صحيحه و الحاكم و قال
صحيح الاسناد ، قلت : و حديث أبي قتادة و أبي سعيد ذكرهما

السيوطى فى الجامع ورقم بالصحيح .

هذا المعنى ورد فى عدة أحاديث : فأنظر أولاً إلى شناعة السرقة ثم انظر إلى هذا القسم الخاص من السرقة الذى هو أسوء الأقسام ، فعن أبى الدرداء قال كنا مع رسول الله ﷺ فشنص بصره إلى السماء ثم قال هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شئ فقال زياد بن ليلى يا رسول الله و كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فو الله لنقرئه نساءنا و أبنائنا فقال ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأعدلك من قتها .

أهل المدينة هذا التوراة والإنجيل عند اليهود و النصارى فإذا يعنى عنهم فلقبت عبادة بن الصامت فقلت له ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء ؟ - وأخبرته - فقال : صدق ، وإن شئت لأحدثك بأول علم يرفع من الناس الخشوع ، يوشك أن تدخل المسجد فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً ، و عن حذيفة قال أول ما تفقدون من دينكم الصلاة .

[الدر المنثور]

و قد أكد هذا المعنى و أهم به الشيخ أحمد السرهندى مجدد الألف الثانى فى رسائله غاية الاهتمام ، وكان فيما كتب « إنه لابد من ضم الأصابع عند السجدة ، و تفريقها عند الركوع فالشريعة لم تأمر بذلك عبثاً ، فيجب العناية بمثل هذه الآداب البسيطة ، ويقول إن النظر إلى موضع السجدة أثناء القيام ، والنظر على الأقدام عند الركوع ، ووضع الأنف مع الجبهة على الأرض ، والنظر على الأيدي عند القعدة له تأثير خاص فى كسب الخشوع ،

و ينال به المصلي سكينته وطمأنينة في صلاته ، فان كانت هذه فائدة
بعض الآداب العادية البسيطة فما بالك برعاية السنن والآداب الهامة؟
٦ - عن أم رومان والدة عائشة قالت رأيتني رأيتني أبو بكر الصديق
أميل في صلاتي فوجرتني زجرة كدت انصرف من صلاتي قال
سمعت رسول الله يقول إذا قام أحدكم في الصلاة فليسكن أطرافه
لا يتميل يتميل اليهود فان سكوت الأطراف في الصلاة من تمام
الصلاة أخرجه الحكيم الترمذي من طريق القاسم بن محمد عن أسماء
بنت أبي بكر عن أم رومان ، كذا في الدر ، و عزاه السيوطي
في الجامع الصغير إلى أبي نعيم في الحلية و ابن عدي في الكامل ،
و رقم له بالضعف و ذكر أيضاً برواية ابن عساكر عن أبي بكر
من تمام الصلاة سكوت الأطراف .

إن هذا الأمر بالسكون والاعتدال ورد في عدة آثار فقد
روى عن محمد بن سيرين قال نبت أن رسول الله ﷺ كان إذا
صلى يرفع بصره إلى السماء فنزلت « الذين هم في صلاتهم خاشعون »
و أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن سيرين أيضاً قال كان أصحاب
رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة و يلتفتون
يميناً و شمالاً فأنزل الله « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون »
فقالوا برؤسهم فلم يرفعوا أبصارهم بعد ذلك في الصلاة و لم يلتفتوا
يميناً و لا شمالاً .

أخرج ابن مردويه عن ابن عمر في قوله « الذين هم في
صلاتهم خاشعون » قال كانوا إذا قاموا في الصلاة أقبلوا على صلاتهم

و خضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم ، و غسلوا أن الله يقبل
عليهم فلا يلتفتون يمينا و لا شمالا .

وعن علي أنه سئل عن قوله « الذين هم في صلاتهم خاشعون »
قال الخشوع في القلب ، وأن تلين كتفك للرب المسلم ، و أن لا
تلتفت في صلاتك .

وعن ابن عباس في قوله « الذين هم في صلاتهم خاشعون »
قال خائفون ساكنون .

و عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله
تعوذوا بالله من خشوع النفاق ، قالوا يا رسول الله و ما خشوع
النفاق ؟ قال خشوع البدن و تفاق القلب .

و عن أبي الدرداء قال استعذوا بالله في خشوع النفاق ،
قيل له و ما خشوع النفاق قال أن ترى الجسد خاشعاً و القلب
ليس بخاشع .

عن قتادة قال : الخشوع في القلب هو الخوف و غض
البر في الصلاة .

و أخرج الحكيم الترمذى عن أبي هريرة عن رسول الله
ﷺ أنه رأى رجلا يبعث بلحيته في صلاته فقال لو خشع قلب
هذا ، خشعت جوارحه . [الدر المنثور]

و أخرج البخارى و أبو داود و النسائى عن عائشة قالت
سألت رسول الله عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس
يختلسه الشيطان من صلاة العبد .

و عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ ليتبين قوم
يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أولاً ترجع إليهم .

[الدر المنثور]

و قد روى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أن الخنوع
هو السكون في الصلاة، وجاء في حديث « صلوا صلاة مودع » .
و عن عمران بن حصين قال سأل النبي ﷺ عن قول الله
تعالى « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر » فقال من لم تنه
صلاته عن الفحشاء و المنكر فلا صلاة له ، أخرجه ابن أبي حاتم
و ابن مردويه ، كذا في الدر المنثور .

عما لا شك فيه أن الصلاة نعمة كبيرة ، و أنها تنهى عن
الفحشاء و المنكر إذا صلاها المؤمن على وجهها الصحيح ، و إذا
كان الأمر بالعكس فعناه أن الصلاة ناقصة و لم تصل إلى درجة
الكمال .

علنا من هذا أن الذى وقع فى المعاصى و الرذائل ينبغى له
أن يهتم بالصلاة حتى تزول عنه أدران الرذائل نفسها ، إن مقاومة
رذيلة بعد رذيلة و تتبعها عسير و يحتاج إلى وقت طويل و الصلاة
كفيلة بالقضاء على جميع هذه الرذائل و السيئات جملة واحدة ،
فسأل الله أن يرزقنا حسن الصلاة و تمامها و كمالها

عن جابر قال قال رسول الله ﷺ أفضل الصلاة طول
القنوت أخرجه ابن أبي شيبة و مسلم و الترمذى و ابن ماجه ، كذا
في الدر المنثور ، وفيه أيضاً : عن مجاهد فى قوله تعالى « وقوموا

فه قانتين ، قال من القنوت الركوع والحشوع ، و طول الركوع
 يعنى طول القيام و غض البصر و خفض الجناح و الرهبة لله ،
 وكان الفقهاء من أصحاب محمد ﷺ إذا قام أحدهم في الصلاة يهاب
 الرحمن سبحانه أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يشد بصره أو يعث
 بشئ من أمر الدنيا إلا ناسياً حتى ينصرف ، أخرجه سعيد بن
 منصور و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر ، و الأصهباني
 في الترغيب و الترهيب في شعب الايمان ، و هذا آخر ما أردت
 إيراده في هذه العجالة و الله ولى التوفيق ، و تد وقع الفراغ
 منه ليلة التروية من سنة سبع و خمسين بعد ألف و ثلاث مائة ،
 و الحمد لله أولاً و آخرأ .

قد وردت تفسيرات مختلفة لآية « قوموا لله قانتين، منها أن
 المراد بها ساكتين ساكنين، فقد كان الناس يتكلمون في الصلاة في
 أول عهدهم حتى نزلت هذه الآية .

قال العارفون و المشايخ إن في الصلاة اثني عشر ألف بركة
 ضمها الله سبحانه في اثني عشر جزءاً، فلا بد من رعاية هذه الأجزاء
 حتى تتم الصلاة و تعطى ثمرتها المرجوة وفائدتها المطلوبة . الأول ،
 العلم: فقد روى عن النبي ﷺ ما معناه «إن العمل القليل مع العلم
 أفضل من كثيره مع الجهل . الثاني ، الوضوء . الثالث : اللباس ،
 الرابع : الوقت ، الخامس التوجه إلى القبلة ، السادس : النية ،
 السابع : التكبيرة الأولى ، الثامن القيام في الصلاة ، التاسع : تلاوة
 القرآن المجيد ، العاشر : الركوع ، الحادي عشر : السجدة ، الثاني

عشر : القعدة ، و تكميل هذه الأجزاء منوط بالاخلاص و لكل
جزء من هذه الأجزاء ثلاثة أجزاء ، فالعلم له ثلاثة أجزاء ، وهو
أن يطلع على الفرائض و السنن و يعرف كم في الوضوء و الصلاة
من الفرائض و كم فيها من السنن ، و أن يعرف كيف يتخلل
الشیطان بوسوسته و مكروهه ، و للوضوء ثلاثة أجزاء ، الأول أن
يطهر قلبه عن الضغينة و الحسد ، الثاني أن يطهر جوارحه عن
المعصية ، والثالث أن لا يسرف في استعمال الماء ولا يقصر ، ولللباس
ثلاثة أجزاء ، أن يكون من وجه الحلال أن يكون طاهراً أن يكون
مطابقاً للسنة بعيداً عن الزهو و الخيلاء ، وللوقت ثلاثة أشياء أن
يهم بأوقات الصلاة ، و يضبط ساعته ، أن يترقب الأذان ، أن
يستحضر الصلاة في كل وقت حتى لا تفوت أوانها ، وفي التوجه
إلى القبلة ثلاثة أشياء : أن يتوجه إلى القبلة بظاهر البدن ، أن
يتوجه إلى الله بباطنه و قلبه فهو سبحانه جل و علا كعبة القاب و كعبة
الآمال ، أن يقبل إليه إقبالا كلياً و يخشع له خشوعاً تاماً ، وفي
النية ثلاثة أجزاء : أن يعرف صلاته ، أن يشعر أنه يقوم أمام الله
العليم البصير ، و أن الله يعرف أسراره و سرايره .

وللكبيرة الأولى ثلاثة أجزاء : أن يعنى بصحة اللفظ ، أن يرفع
يديه إلى شحمة أذنيه (كأنه نبذ كل شئ من الدنيا وراء ظهره)
أن يشعر بجلال الألوهية و عظمتها حين يكبر .

و للقيام ثلاثة أجزاء : أن ينظر إلى موضع السجدة ، وأن
علم ببصره و بصيرته أنه يقف أمام ربه ، وأن لا يلتفت يمناً ولا

شمالاً ولا يتأيل . فان مثل من يانفت في صلاته كمثل رجل استطاع أن يحضر أمام السلطان بعد عشاء كبير و تزلف طويل ، فلما وقف أمامه و أقبل إليه السلطان ظل يانفت يميناً و شمالاً ، و ينظر هنا و هناك ، و للتلاوة ثلاثة أجزاء ، أن يتلو ترتيلاً ، و يتأمل في معانيها و آياتها ، و يعمل بما فيها ، و للركوع ثلاثة أجزاء ، أن يسوى ظهره في صلاته (حتى يستوى خصره بعجزه) و أن يضع أصابعه على الركبة منفصلة ، و يسبح بخضوع و إنابة و تعظيم .

و للسجدة ثلاثة أجزاء ، أن يحاذي يديه أذنيه في السجدة ، أن يرفع مرقبيه عن الأرض . و أن يسبح في السجدة مستحضراً جلال الله و عظمته ، و للتعدة ثلاثة أجزاء ، أن يرفع رجله اليمنى و يجلس على رجله اليسرى ، أن يقرأ التشهد برعاية معناه فان فيه الصلاة على النبي ، و الدعاء للمؤمنين ثم يسلم يميناً و شمالاً على الملائكة و المؤمنين المصلين ، و للاخلاص ثلاثة أجزاء أيضاً ، أن لا يريد من الصلاة غير وجه الله . أن يعلم أنها بتوفيق الله ، أن يرجو عليها الأجر و الثواب .

الحقيقة أن الصلاة تحوى جانباً كبيراً من الخير و البركة و السعادة ، تأمل في تسيحانه تر عجباً . و كلها إظهار للعبودية و الخضوع ، لأن رفع الأعناق آية الكبر ، و إخضاعها آية الطاعة و الانابة و الاخبات ، فالركوع يعنى أن العبد يقول إنه خضع للأوامر الالهية لا يبغي عنها بديلاً ، و يقول إن هذا الجسم العاصى حاضر بين يديك ، تخضعت جوارحي أمام عظمتك و جلالك ،

لك الكبرياء وحدك لا شريك لك ، و هكذا فى تسبيح السجدة
فهو إقرار بعظمة الله و تزهه عن كل عيب ، و فيها وضع الرأس
على الأرض الذى هو من أشرف أعضاء الانسان و تشمل على
أعز ما فى جسم الانسان مثل العين والأذن ، والأف واللسان ،
و كأن المؤمن فى هذه السجدة يقول إني ألقى أمامك أشرف
الأشياء عندي و أغلاما لدى ، رجاء فضلك و عفوك و كرمك
و كانت الخطوة الأولى أو الظاهرة الأولى لهذا الخضوع فى وقوفه
أمام الله سبحانه متأدبا خاشعاً عاقداً يديه على السرة ، زاد فى هذا
الخشوع بالركوع حتى وضع جبهته أخيراً على التراب ، غاية فى
التذلل ، و إظهاراً للاقتدار إلى الله ، و هذه الروح تسرى فى
سائر أجزاء الصلاة ، و هى الهيئة الصحيحة و الحقيقية للصلاة ،
و هى الصلاة التى ترتقى بالمؤمن إلى سعادات الدين والدنيا ، فسأل
الله أن يهبى و إياكم هذه النعمة بكرمه و لطفه .

إن سهر الليالى فى الوجد و الشوق أو القلق و الألم ، عم
فى هذه الأمة و كثرت أمثالها حتى استعصى الاحاطة بها ، و لكننا
ابتعدنا عن هذه اللذة و المتعة الروحية حتى بدأنا نشك فيها ، إن
إنكار هذه الأمثلة و الفاذج التى بلغت حد التواتر يعنى الإنكار
بالتاريخ كله إنا نرى هواة السينما و المسرح كيف يسهرون الليالى
بدون تعب أو كسل فلماذا تؤمن بلذة المعاصى ، و تنكر لذة الطاعات
مع أن الطاعة تراقبها النصرة الالهية ومدد الغيب ، و السر الوحيد
فى شبهاتها و إنكارنا أننا لم نذق حلاوتها و الطفل لا يعرف لذة

للشباب بطبيعة الحال ، والقوز بهذه اللذة منوط بتوفيق الله وجميل لطفه بالعباد .

و أخيراً فقد قال العارفون : إن الصلاة هي في الحقيقة مناجاة مع الله ، ولا يمكن مع الغفلة ، بخلاف العبادات الأخرى مثل الزكاة ، فإن حقيقتها إنفاق المال ، وهو يشق على النفس عادة مهما كانت الزكاة مع الغفلة شقت على النفس ، وه كذا الصوم ، والامتناع عن الشهوات فهما كان الصوم مع الغفلة اشتدت وطأتها على النفس لأن وظيفته كسر الشهوة ، أما الصلاة فأكثرها ذكر وتلاوة ، فإذا كانت مع الغفلة لم تبق مناجاة مع الله ، بل أصبحت كهذيان محوم ينطق لسانه بشق العبارات من غير أن يفهم مغزاها ، من غير عشاء و من غير فائدة ، هكذا الصلاة إذا أصبحت عادة ولم تبق عبادة ، كانت حركة لا شعورية ، كما يتكلم النائم أحيانا وهو لا يعرف ما قال ولا ينتفع به ، والله سبحانه وتعالى لا يلتفت إلى مثل هذه الصلاة التي لا إرادة فيها ولا نية ، فلا بد أن نصلى بغاية الاهتمام و نركز عليها همتنا و إزادتنا ما استطعنا ، ولكن هنا نقطة هامة ، وهي أن لا ندع الصلاة أبداً وعلى أى حال إذا قارناها بأحوال أسلافنا و مواجيدهم ، فذلك من كيد الشيطان فانه يوسوس في الصدور أن ترك الصلاة أولى من أداؤها ناقصة ، لأن عذاب تارك الصلاة أنكى و أشد ، و أتقى كثير من العلماء بكفر من يترك الصلاة متعمداً ، وقد فضلنا القول في هذا الموضوع

في الباب الأول من الكتاب ، كما يجب أن لا تدخر ونسأ في
تحسين الصلاة و أداء حقها ، و تقليد أسلافنا فيها و الله سبحانه
المسؤل أن يرزقنا هذه الصلاة المقبولة ولو مرة واحدة في العمر ،
و يجب الإشارة في الختام إلى أن التوسع في أحاديث الترغيب والترهيب
و الفضائل جازز عند المحدثين رضى الله عنهم أجمعين ، و هم تسامحوا
ببعض الضعف في الرواية إذا لم يتجاوز الحد ، أما حكايات
العارفين و الصوفية و المشايخ فهي من باب التاريخ ، و التاريخ
- طبعاً - لا يناقض الحديث وهو أخط منه درجة و أحقر منه
شأناً ، و ما توفيق إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب ، ربنا ظلمنا
أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين .

ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا و لا تحمّل
علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا و لا تحمّلنا مالا طاقه
لنا به ، و اعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على
القوم الكافرين ، و صلى الله تعالى على خير خلقه سيد الأولين
و الآخرين و على آله و أصحابه و أتباعهم و حملة الدين المتين
برحمتك يا أرحم الراحمين

محمد زكريا الكاندهلوى

٧ محرم ١٣٥٨ هـ



الفهرس

(۳)	تقديم الكتاب
[۱۰]	الباب الأول الفصل الأول
[۱۱]	ما جاء في فضل الصلاة الفصل الثاني
[۲۲]	في بيان الوعيد على من ترك الصلاة الباب الثاني
[۴۶]	في فضل الجماعة الفصل الأول في فضل الجماعة الفصل الثاني
[۵۶]	في العتاب على من ترك الجماعة الباب الثالث
[۶۱]	في الخشوع في الصلاة الفهرس

ادوات اشاعت و دینیات (پرائیویٹ) لمیٹڈ

۱۶۸/۲ - جھاباؤس - حضرت نظام الدین، نئی دہلی ۱۱۰۰۱۳ (انڈیا)

حَيَاةُ الصَّحَابَةِ

لِلْعَلَمَةِ الْحَلَمِ الْقَفِيَةِ الْمُجِدِّ مَوْلَانَا الشَّيْخِ مُحَمَّدِ تَوْكَانِ دَهْلَوِيِّ

هَذَا كِتَابٌ حَافِلٌ لِقِصَصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ
نَشَرُوا دَعْوَتَهُ، فَصَدَقُوا مَا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي
سَبِيلِهِ. وَهُوَ كِتَابٌ يَلْبَسُ جَذْوَةَ الْإِيمَانِ وَالْتِزَاجِيَّةَ وَيَبْذُلُ النَّفْسَ
فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِهِ. وَالْحَقُّ أَنَّ خَيْرَ ذَخِيرَةٍ تَدْخُرُ
تَحْفَتًا تَقْتَنِي نَفْعَ اللَّهِ بِهِ الْمُسْلِمِينَ عَامَةً.

الاعلام

- يعطى الخصم الوافى لباعته الحجة
 - الرجاء ان تكتبوا العنوان الكامل بخط واضح مع ذكر الميناء والمصرف (البنك)
 - ولا بد لطلب الكتب من رسالة الاعتماد (L.C.) فى البنك
- او ارسال بينك ڈرافٹ — الثمن : —
- الجزء الاول - / ، الجزء الثانى - / ، الجزء الثالث - / .

اور اشاعت دینیات (پرائیویٹ) لمیٹڈ

۱۹۸/۲ - جھاباؤس حضرت نظام الدین نئی دہلی ۱۱۰۰۱۳ (انڈیا)

فَضَائِلُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ

تأليف

العلامة المحمدية الشيخ محمد زكريا بن الشيخ الكبير محمد بن الفقيه محمد حجي الكاظمي

اداء اشاعت دينيات (پرائيوٹ) لمیٹڈ

۱۶۸/۲ - جھانوس حضرت نظام الدین، نئی دہلی ۱۱۰۰۱۳ (انڈیا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم »
قرآن كريم

الطبعة الأولى

عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

فهرس الكتاب

الصفحة	المضمون
١	تقديم الكتاب
١١	مقدمة المؤلف
١٥	آداب التلاوة و شروطها
١٧	الآداب الظاهرة
١٨	الآداب الباطنة
٣٢	شروط فهم معاني القرآن
٤٨	البيت الحرب
٥١	القراءة في المصحف أفضل من القراءة في غير المصحف
٥٢	ذكر الموت و تلاوة القرآن جلاء للقلوب
٥٤	القرآن شرف هذه الأمة و بهاؤها
٥٦	التلاوة نور في الأرض و ذخرة في السماء
٥٩	تلاوة القرآن ودراسة تجلب السكينة
٦٢	أفضل ما يتقرب به إلى الله
٦٥	أهل القرآن
٧٠	حقوق القرآن و تلاوته
٧٤	هل تلاوة القرآن أفضل أم الاستماع إلى قراءة الآخر

الصفحة	المضمون
٧٧	الجمهر بالقرآن و الاسرار به
٧٩	الصيام و القرآن يشفعان
٨٢	عادات السلف في ختم القرآن
٨٤	شفاعته القرآن أقوى من شفاعته الأنبياء و الملائكة
٩٠	تذييل و تكميل
٩٠	سورة الفاتحة
٩٣	سورة يسين
٩٥	سورة الواقعة
٩٦	سورة الملك و الم السجدة
٩٨	الحال المرتحل
٩٩	القرآن أشد تفصيلاً من الابل في عقلها
١٠١	الاكتساب بالقرآن يعود وبالا يوم القيامة
١٠٥	خاتمة المطاف
١٠٨	علاقة الأحاديث المذكورة بطبائع الانسان
١٢١	الخاتمة
١٢٣	الحجة ملاك العمل
١٢٩	تكلمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم الكتاب

بقلم فضيلة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي
الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين
محمد و آله و صحبه أجمعين و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين ،
أما بعد فقد قال كاتب هذه السطور في كتابه «الأركان الأربعة»
تحت عنوان فضل الصلاة و القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ و ختم
النبوّة ، ما نقله هنا :

« كانت النبوّة شمساً وهاجّة تشرق على هذا العالم ، و تملأ
النفوس و القلوب نوراً و حرارة ، و قوة و حياة ، و تربطها
بخالقها ربطاً قوياً و ثيقاً ، في أقل وقت و أكثر عدد ، و تنقل -
من أراد الله به الخير - من حضيض الجهل و الغواية ، و الغفلة
و البطالة ، و سوء المعرفة و الضلالة ، إلى ذرى العلم و الحكمة ،
و الطموح و علو الهمة ، و إلى أقصى مدارج الوصول و الكمال ،
و إلى أعلى منازل القرب و الولاية .

واتصلت بعثاتهم و دعواتهم صلوات الله عليهم حتى كانت بعثة

محمد ﷺ ، على فترة من الرسل ، فكانت شخصيته هي أقوى شخصيات
الرسول ، و كانت دعوته هي أتم الدعوات ، و كانت صحبته هي
الأكبر الأعظم الذى يحول العداء الشديد حياً و تفاقياً ، و البعد
عن الله والوحشة منه ، قرباً منه و أنساً به و وصولاً إليه ، وكان
الناس يشعرون فى صحبته كأنما يمر بهم التيار الكمبرباني ، و كانوا
ينتقلون فى لحظات ، من الشك فى الدين ، و الظن و التخمين ،
إلى أعلى درجات الايمان و اليقين ، و كان وجوده ﷺ فى أمته
أقوى سبب الاتصال بالله تعالى . و قطع منازل القرب والولاية .
ولكن الله تعالى قدر لهذه الحياة الكريمة نهاية كما قدر للحياة
غيره ، و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل (١) ، و أكمل
به دينه ، و آتم به نعمته فقال : « اليوم أكملت لكم دينكم
و آتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً (٢) ، و ختم به
الأنبياء و الرسل ، ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول
الله و خاتم النبيين (٣) ، و انقطع اتصال السماء بالأرض لوحى
جديد ، أو رسالة جديدة ، فكان لا بد أن يملأ هذا الفراغ الذى
يتركه انقطاع النبوات ، و انتقال آخر الأنبياء و خاتم الرسل من

(١) سورة آل عمران ١٤٤ (٢) سورة المائدة ٣

(٣) سورة الأحزاب ٤٠

هذه الدنيا ، و يربط الخالق بالحق ربطاً وثيقاً مباشراً ، و يملأ صدورهم إيماناً ، و حكمة و قوة روحية ، و يشعل عاطفتهم ، و يلهب جذوة قلوبهم ، و يصلون به أعلى درجات الايمان واليقين ، و منازل القرب و الولاية .

و كان ذلك العوض و الخليفة هو الكتاب المعجز الخالد الذى يتدفق بالحياة و القوة ، و الذى لا تبلى جدته ، ولا تنقضى عجائبه ، « و الصلاة » التى تزخر بالقوة و الحيوية كذلك ، و لها من الفضل و التأثير فى ربط الصلة بالله و الوصول إليه ، و تقطع منازل القرب و الولاية ، ما ليس لشيء آخر فى الدين و بهما وصل المخلصون و المجاهدون من هذه الأمة فى كل عصر وجيل إلى مكانة فى الايمان واليقين، والعلم والمعرفة، والربانية والروحانية ، والقرب والولاية ، لا يصل إليها ذكاء الأذكيا، و قياس العقلاء و الحكماء ، و ما زالوا فى عدد يفوت العد و الاحصاء ، ولا يزالان يفيدان النمو و الحياة ، والجدة والنشاط ، و الروحانية الصافية الدافقة فى نفوس هذه الأمة و أجيالها ، تستغنى بهما هذه الأمة عن نبوة جديدة و بعثة جديدة ، و تعيش متصلة بالله مرتبطة به فى كل دور من أدوار حياتها ، و فى كل عهد من عهود التاريخ ، تستمد لنفسها من القرآن و الصلاة ، رابطة قلبية ، و قوة روحية ، و تمد إلى العالم

المعاصر ، يد الدلالة و الهداية ، و لذلك يقول الله تعالى : • و
جاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين
من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا
ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا
الصلاة و آتوا الزكاة ، و اعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى
و نعم النصير (١) ، (٢) .

و ظلت الأمة متمسكة بهذين الركنين الوثيقين ، عاضة عليهما
بالنواجذ ، يتوارثهما الأجيال بعد الأجيال ، و سيظل ذلك هكذا
حتى يرث الله الأرض و من عليها .

و كان القرآن هو الأصل والمصدر و الأساس لهذا الدين ،
فنه انبثقت الشريعة ، وانبثقت العقائد ، و العبادات ، و الأخلاق ،
و الفضائل ، و انبثقت الحياة الاسلامية كلها ، و هو الجبل الممدود
بين الرب و عباده و الرباط الوثيق ، من استمسك به فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها .

و قد عرفت هذه الأمة بغيره على هذا الكتاب لم تعرف
لاى أمة على كتابها قديماً و حديثاً و شدة شغف به بلغت حد
الغرام و الهيام ، و حرص على تلاوته و حفظه ، و تقان في سبيلها

(١) سورة الحج ٢٨ (٢) الأركان الأربعة ص ٨٧ - ٨٩

و تذوق بلفظه و معانيه ، و تفنن في خدمته ، من ضبط و إتقان
للمهجاته و شرح و إيضاح لكلماته ، و تفسير آياته ، و كشف
القناع عن وجوه إعجازه . و استنباط الاحكام الفقهية ، و استخراج
اللطائف العلية ، و النكت البلاغية . و الفوائد الاجتماعية و الحقائق
الروحية ، لا يصل إلى مداه الأذكياء و فطنة العقلاء بسهولة و يسر
و لا يقدر قدره إلا من استعرض المكتبة الاسلامية الكبرى التي
يرجع الفضل في تكوينها ، و توسيعها ، و ترزينها إلى القرآن ، فلو لا
القرآن لما كان نحو و صرف ، و لاعلم غريب و اشتقاق ، و لاعلم
البلاغة ، و لا دونت هذه المعاجم و كتب الفروق و أسرار
العربية التي لا يوجد لها نظير في أي أمة و في أي لغة ، فضلا عن
علم التفسير و أصوله و علم القراءة و التجويد ، الذي يتأسس على
القرآن ، فقد نشأت هذه العلوم كلها ثم توسعت و تضخمتم في
سبيل القرآن ، و في سبيل معرفة معانيه . و فهم أغراضه ، و صيانه
عن التحريف و اللحن ، و عبث العابثين ، و دجل الدجالين و
تحريف المخرفين ، كما وقع ذلك للصحف الأولى و شهد بذلك
تاريخ العلم و الدين و كان كل ذلك تفسيراً لقوله تعالى : « إن
علينا جمعه و قرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه (١) »

(١) اقرأ ذلك في رسالة الفوز الكبير في أصول التفسير لشيخ
الاسلام ولي الله الدهلوي .

والتعبد به و التافس في ذلك والمنايرة على هذا العمل و عدم
الشغور بالتعب و الكلال و السأمسة و الملل ، ما ورد في ذلك
من الفضائل و أحاديث الترغيب و ما أعد الله لقرائه و لجامعه في
صدره و لتعلمه و معلمه ، و لناشره و خادمه من جزيل الثواب ،
و عظيم الأجر ، و المنزلة الرفيعة عند الله ، و زلني في الآخرة ،
و الحرمه و الوجاهة في الدنيا ، و ما ضمن الله له من الرضا و
المثوبة و وعد عليه من الرحمة و المغفرة . و لم يعرف في علم
الأخلاق و النفس و في تاريخ الأمم و المجتمعات باعث أقوى من
باعث « الايمان و الاحتساب » ، و الطمع في الأجر و الثواب عند
النفوس المؤمنة و الأمم المتدينة ، و قد عرف العلماء و المعلمون
و المربون و المصلحون ، قيمة هذا الدافع و قوة هذا الباعث فألقوا
في فضائل الأعمال ، و العبادات ، و الأخلاق . و المعاملات ،
كتاباً كثيرة كان لها فضل كبير في إثارة هذا الدافع النبيل و تقويته
و تغذيته أشهرها كتاب « الترغيب و الترهيب » للعلامة المنذرى
(م ٥٦٥٦) و قد تناوله العلماء بالتفحيم و التاخييص ، و اعتنوا به
في كل عصر و مصر .

و حذر على هذه الأمة أن يضعف هذا الدافع و أن تجف
منابعه و أن ترهد الأمة - لا قدر الله - في حفظ القرآن و قرأته

و التعب به و التذوق به و التشبع منه و الاشتغال به آناه الليل
و النهار و التنافس في حفظه و ضبطه و الاكثار من قراءته، و لا
يكون ذلك إلا إذا جهات هذه الفضائل ، و قل عليها و ضعفت
الدعوة إليها ، و انقطع نشرها و إذاعتها ، و ظهرت دعوة المثبتين
المعوقين عن القرآن ، الصادين عن سبيله ، المستخفين بفضلها ، المبولين
لخطب التعليم العصري ، و الحاجات الاقتصادية و ما يستلزم ذلك
من صرف جميع القوى و الأوقات لتحصيل التعليم العصري و علوم
المعاش ، و القائلين بأن حفظ القرآن في الصغر يكل الذهن و يحمده
القرينة و يرفق القوى مع أن الواقع عكس ذلك ، و قد أثرت
هذه الدعوة في جميع البلاد الاسلامية بما فيها البلاد العربية التي
كانت مهبط الوحي و منزل القرآن و معلمة العالم كله .

وقد أفرغ ذلك شيخنا العلامة محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوى
و ألقى مضجعه ، فحسب لذلك كل حساب ، فقد عرف بشدة غيرته على
القرآن و شغفه به و كثرة تلاوته له ، عرف ذلك من عرف سيرته
و عاشره ، خصوصاً من علم كيف يقضى رمضان ، أو قرأ ما كتبناه
عنه في تقديمنا لمقدمة « أوجز مسالك » ، وقد كان متأماً لهذا الواقع
إذ اقترح عليه أحد الشيوخ الكبار الذين « أمرهم حكم و طاعتهم
غنم » ، أن يؤلف كتاباً في فضائل القرآن يعيد هذا الخيط بين قلوب

القراء وهذا الكتاب ، ويرفع همهم ، ويشحذ عزائمهم على حفظ
هذا الكتاب ، وقراءته ، والتقرب به إلى الله ، والتنافس في ذلك
و استهانة كل خطب لأجله فشط لهذا التأليف الذي كان مسوراً
له بحكم اشتغاله بتدريس الحديث و التأليف في مقاصده و لسعة
اطلاعه على مصادر هذا الموضوع و مراجعه و بحكم ذوقه القرآني
الذي امتاز به بين أقرانه فكان نتيجة كل ذلك هذا التأليف المبارك
الذي تشرف بتقديمه ، وقد كان السر في تأثيره أنه صدر عن ذوق
و إخلاص ، و عمل ، فهو لا يدعو إلى شئ لا يعمل به و لا
يحث على شئ لا يتذوقه و يؤمن به .

وقد مضى على هذا التأليف نحو نصف قرن وهو يعاد طبعه
في الهند مرة بعد مرة ويكثر انتشاره في الأوساط الدينية وحلقات
التعليم و جماعات التبليغ و قد شعر بعض تلاميذه و المشرفين على
حركة الدعوة التي تسمى بـ"التبليغ" ، وهي منتشرة الآن في كثير
من الأقطار العربية، بمسئس الحاجة إلى نقله إلى اللغة العربية حتى
يعم الانتفاع به في البلاد العربية التي ضعفت فيها الدعوة إلى تحفيظ
القرآن و العناية به في العهد الأخير بتأثير العوامل التي ذكرناها
سابقاً ، وإذا كانت هنالك مدارس و كتابات تعلم القرآن ولا تزال

(١) فرغ المؤلف من تأليفه في ذي الحجة ١٣٤٨ هـ .

العناية قائمة بحفظ القرآن ، فلا شك أنها في حاجة إلى تغذية إيمانية
ومشجعات دينية ، فان علم الفضائل قد ضعف منذ أمد بعيد في العالم
الاسلامى و أثر ذلك في العمل .

و قد قام بتحقيق هذا الغرض الشريف وإيجاز هذا المشروع
ابن أختى العزيز السيد واضح رشيد الحسى الندوى تقريباً به إلى
الله و حباً لمؤلف هذا الكتاب و تقديرأ له ، و حرصاً على أن
يكون مساهماً في هذا العمل الجليل وأن يكون له ثواب الدلالة إلى
الحق ، والاعانة على المعروف ، والتعاون على البر والتقوى ، فقام
بذلك خير قيام وهو كاتب بالعربية، متذوق للغتين الأردية والعربية
قد تجلت مقدرته الكتابية و إجادته في مقالاته التى يكتبها في مجلة
« البعث الاسلامى » و صحيفة « الرائد » و براعته في الترجمة في
نقله لكتاب « الدين والعلوم العقلية » للأستاذ الكبير مولانا عبدالبارى
الندوى ، وآتمه في مدة قليلة ، وقد قرأت هذه الترجمة حرفاً حرفاً
واستحسنتها وها هى الآن ماثلة للطبع ، نفع الله بها المسلمين وشرح
بها صدور المؤمنين ، ورفع بها هم القاصرين ، والله لا يضيع أجر
المحسنين .

أبو الحسن على الحسى الندوى

لخس بتين من جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ

دار عرفات ، زاي بريلي - الهند

مقدمة المؤلف

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى خلق الانسان وعلمه البيان ، و أنزل له القرآن
و جعله موعظة و شفاءً و هدى و رحمة لذوى الايمان ، لاريب
فيه ، و لم يجعل له عوجاً ، و أنزله قيباً حجة نوراً لذوى الاتقان ،
و الصلاة و السلام الأمان الأكلان على خير الخلائق من الانس
و الجن ، الذى نور القلوب و القبور نوره ، و رحمة للعالمين ظهوره
و على آله و صحبه الذين هم نجوم الهداية و ناشرو الفرقان ، و على
من تبعهم بالايمان ، و بعد فيقول المفتقر إلى رحمة ربه الجليل عبده
المدعو بزكريا بن يحيى بن إسماعيل : هذه العجالة أربعونة فى فضائل
القرآن ألقها ممثلاً لأمر من إشارته حكم و طاعته غم (١) .
و من أنعم الله تعالى الخاصة التى تميزت بها مدرسة مظاهر
علوم بهارنפור (الهند) دائماً الحفلة السنوية التى تعقد لتقديم تقرير
إجمالى عن المدرسة ، و لا يهتم فيها بدعوة الخطباء و أعيان الهند

(١) بقلم المؤلف نفسه .

لحضور الحفلة مثلما يتم بدعوة أهل الله وأوليائه، وأصحاب القلوب
الناظرة و المشايخ البررة الذين يؤثرون العزلة و الخلوة .

و قد انقضى العهد الذى كان حجة الاسلام الشيخ محمد قاسم
النانوتوى ؛ و قطب الارشاد الشيخ رشيد أحمد الكنگوهى، ينوران
القلوب باشتراكهما فى الحفلات، إلا أن المنظر البهيج الروحانى لا يزال
يتجلى فى العيون الذى كان يجتمع فيه خلفاء مجدى الاسلام و
شموس الهداية و الرشد : الشيخ الجليل محمود حسن المعروف بشيخ
الهند ، و الشيخ عبد الرحيم ، و مولانا خليل أحمد ، و مولانا
أشرف على التهانوى ، فكان اجتماعهم و التقاؤهم مبعث نور و مطلع
رشد، و منبع هداية للقلوب تنفجر منه يتابع الروحانية لتروى غليل
القلوب الظمأى .

لقد حرمت المدرسة فى العهد الراهن هذه الدور الهادية ولكن
خلفاءهم الصادقين لا يزالون يفيضون المشتركين فى الحفلة بأنوارهم .
فاذا كان أحد يحضر حفلة المدرسة ليستمع إلى خطب رنانة
و مقالات رائعة ، فانه سوف لا يجد متعة لقلبه و فكره ، ولكن
الذى يحضرها سعيماً وراء علاج قلبه و كبده المكرومة ، فانه لا بد
من أن يجد دواء لقلبه و أيضاً لخاطره ، فله الحمد و المنة .

و قد شرف فى عام ١٣٤٨ الشيخ المرئى الحافظ محمد يسين

التجيدوى فأغدق بالعطف و اللطف . و التشجيع على هذا العبد
الفقير من المنن مالا أستطيع أن أشكر عليها حق قدرها ، و يكنى
علما أن الشيخ المذكور هو من خلفاء الشيخ الكنگوهى ، و ذلك
يفنى عن ذكر تجرده للعبادة و الذكر ، و صفاته الأخرى المميزه
و بعد انتهاء الحفلة شرف منزلى ، و أمرنى برسائه الكريمة العاطفة
العزيرة بأن أجمع أربعين حديثاً بترجمتها فى فضائل القرآن الكريم
و أقدمها إليه ، و أنه إذا انحرفت عن امتثال أمره فإنه سيطلب
من عمى و مثيل أبى و خليفة شيخى ، الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى
بأن يؤكد هذا الأمر و يصر على الامتثال به ، و على أى حال
إنه يريد أن أقوم بهذا الواجب ، و من حسن الصدق وصلت هذه
الرسالة المفخرة أثناء غيابى فى السفر ، و كان عمى موجوداً فأضاف
إليها أمره و تأكيده ، فلم يبق لدى أى عذر و مجال لأقدم حجة
عدم كفايتى للقيام بهذا العمل ، و قد كان من أعذارى، اشتغالى بشرح
موطأ الامام مالك ، و لكن الأوامر العالية الراشدة اضطرنى إلى
تأجيل هذا العمل لبعض الوقت ، وها أنا ذا أقدم مااستطعت إليه
امتثالاً لأمر الشيخ العظيم ، و التمس العذر و العفو على الزلات
التي أصبحت لزاماً لعدم كفايتى و صلاحيتى .

و رجاء الحشر فى سلك من قال فيهم النبي ﷺ . من حفظ

على أمي أربعين حديثاً في أمر دينها ، بعنه الله فقيهاً و كنت له
يوم القيامة شافعاً و شهيداً ، قال العلقمي : الحفظ ضبط الشيء و
منعه من الضياع فتارة يكون حفظ العلم بالقلب و إن لم يكتب ،
و تارة في الكتاب و إن لم يحفظه بقلبه ، فلو حفظ في كتاب ثم
نقل إلى الناس دخل في وعد الحديث ، و قال المناوي قوله : من
حفظ على أمي ، أى نقل إليهم بطريق التخريج و الاسناد ، وقيل
معنى حفظها أن ينقلها إلى المسلمين ، و إن لم يحفظها و لا عرف
معناها ، وقوله « أربعين حديثاً صحاحاً أو حسناً ، قيل أو ضعافاً
يعمل بها في الفضائل » انتهى .

فله در الاسلام ما أسره ، و لله در أهله ما أجود ما
استنبطوا رزقى الله تعالى وإياكم كال الاسلام و ما لا بد من التنبيه
عليه أتى اعتمدت في التخريج على المشكاة و تخرجه و شرحه المرقاة
و شرح الاحياء للسيد محمد بن المرتضى ، و الترغيب للندرى و ما
عزوت إليها لكثرة الأخذ عنها و ما أخذت عن غيرها عزوة
إلى مأخذه ، و ينبغي للقارى مراعاة آداب التلاوة عند القراءة (١) .

(١) - بقلم المؤلف نفسه .

آداب التلاوة و شروطها

قبل أن نبدأ الكلام في الموضوع لا بد من إيراد بعض شروط
وآداب قراءة القرآن ، لأن سوء الأدب يحرم الانسان عن الوصول
إلى غايته و فضل ربه ، و خلاصة الآداب أن القرآن الكريم كلام
للعبود ، و الألفاظ التي تكلم بها الحبيب و المطلوب .

و كل من كانت له علاقة بالحب و الغرام ، يعرف أهمية
و تأثير رسالة الحبيب ، و كلامه ، و كتابته ، على القلب المغرم به ،
فلا يمكن وضع آداب أو فرض قيود على انفعال هذا القلب و
اقتنانه بهذا الكلام ، أو الرسالة ، فللحب آداب و انفعالات خاصة ،
فاذا كان القلب يتصور الجمال الحقيقي و الأنعم غير المتناهية فان الحب
سيتموج فيه و يغلبه ، ثم إنه كلام لأحكام الحماكين و سلطان
السلطين ، و قانون لذلك الجبار و القهار الذي لا شريك له في
أمره و لا يقدر أحد مهما كانت قوته ، أن يسايره و كل من كان
له علم أو خبرة بالبلاط المكي ، يستطيع أن يقدر ما تحمل الأوامر
السلطانية من هبة و أثر على القلوب ، ولما أن الكلام الالهي كلام
للحبيب و الملك في آن واحد يجب أن يعامل معاملة الحب

و الاجلال معاً .

لقد كان عكرمة - رضى الله عنه - كلما يفتح القرآن الكريم للتلاوة ، يغمى عليه و يجرى على لسانه ، هذا كلام ربي ، هذا كلام ربي ، و هذه هي الآداب الجملة و التفاصيل المختصرة التي ذكرها المشايخ ، التي سأفسرها تفسيراً للقارئين .

و خلاصة الآداب أن يقرأ العبد كلام المنان و المنعم الحقيقي ككلام ، أو عامل بل كعبد يتلو كلام ربه ، و قد ذكر إنه ما دام الانسان يعتبر نفسه مقصراً في آداب القراءة ، يترقى في مدارج القرب و كل من يرى نفسه بعين العجب و الرضا ، يتعد عن الرقي .

يجب على القارئ أن يجلس بعد الوضوء و السواك في مكان منعزل و يتلوه بحضور القلب و الخشوع و الشوق الذي يتطلبه ذلك الوقت كأنه يسمع ربه و خالقه تعالى كلامه ، فإذا كان يفهم المعاني فيجب عليه أن يدعو للرحمة و المغفرة عندما يتلو آيات الوعيد و الرحمة ، ويستعذ بالله ، و يسأله المغفرة عند ما يتلو آيات العذاب و الوعيد ، لأنه لامناص منه و لا ملجأ منه إلا إليه ، و يسبح له على آيات التنزيه و التقديس ، فإذا كان لا يشعر بالبكاء في التلاوة ، فليحاول ذلك .

و أذ حالات الغرام لمفرم شكوى الهوى بالمدمع المهراق

ثم إنه إذا كان لا يقصد حفظه ، عليه أن لا يعجل به ،
وليضع المصحف الشريف على وسادة ، أو كرسي ، أو مكان مرتفع
و لا يخاطب أحداً و لا يتكلم معه أثناء التلاوة ، فإذا اضطر
لحاجة ، فلا يترك المصحف مفتوحاً ، و يبدأ القراءة من جديد
و ليتعود ، و الأفضل أن يتلو القرآن إذا كان يتلوه في جمع من
الناس المشغولين بأعمالهم سرأ ، و إلا فالأفضل تلاوته جهرأ .
ذكر المشايخ ستة آداب ظاهرة و ستة باطنة .

الآداب الظاهرة :

- ١- التوجه إلى القبلة بغاية من الاحترام متروئناً .
- ٢- عدم التحجيل بالتلاوة ، و الترتيل و التجويد .
- ٣- البكاء و لو بالتكلف .
- ٤- التنبه لآيات العذاب ، و آيات الرحمة و قدرها حق قدرها .
- ٥- يستحب التلاوة جهرأ ، و لكن إذا كان القارى يخشى الرياء أو إيذاء مسلم فعليه أن يتلو سرأ .
- ٦- تحسين الصوت أو القراءة بحسن الصوت ، و قد وردت أحاديث كثيرة في تلاوة القرآن بحسن الصوت .

الآداب الباطنة :

- ١- تعظيم القرآن من القلب و احترامه .
- ٢- تصور عظمة و جلال الله عز و جل و كبريائه في القلب .
- ٣- إخلاء القلب و تطهيره عن الوسوس و الرية .
- ٤- التدبر في المعاني و التلذذ بقراءة القرآن ، و قد مضى النبي ﷺ ليلة كاملة و هو يردد الآية « إن تعذبهم فأنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » (١) و قضى سعيد بن جبير ليلة كاملة و أصبح على آية « و امتازوا اليوم أيها المجرمون » (٢) .
- ٥- أن يتابع الآيات التي يتلوها و يصرف قلبه إلى معانيها، مثلا إذا كان يتلو آية رحمة فيفعم قلبه بالسرور والابتهاج ، وإذا تلا آية عذاب يخشى قلبه و يرتعد .
- ٦- أن يوجه أذنيه و يصغى إلى الله تعالى و هو يتكلم إليه ، و يقفى الله تعالى و إياكم لمراعاة هذه الآداب وتلاوة القرآن

بها

[مسألة] يجب حفظ القرآن بقدر يمكن به تأدية الصلاة، وحفظ القرآن بكامله فرض كفاية ، فإذا لم يبق من المسلمين - و العباد

بأنه - من يحفظ القرآن فان جميع المسلمين سيكونون مسؤولين عنه .
و ذكر الملا علي القارى - رحمه الله - نقلاً عن الزركشى
« وإذا لم يكن في البلد أو القرية من يتلو القرآن أمموا بأسرهم ، (١) .
و من معطيات هذا العهد الذى يعمه الضلال و الجهل ، و
يسود المسلمين تهاون فى جميع أمور الدين أن حفظ القرآن يعتبر
أمراً غير مجد ، و يعتبر حفظ هذه الألفاظ و تكرارها حماقة ،
و إضاعة للوقت و إرهاقاً للخاطر ، و لو كان الأمر يقتصر على
هذا التقصير الدينى وحده لتكلمت عليه ، و لكن الأمر قد تفاقم
تفاقماً ، و تجاوز الحدود ، فكل عمل أصبح اليوم مرضاً ، و كل
خيال يجر إلى الباطل .

قال الله المشتكى و الله المستعان .

[١] عن عثمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« خيركم من تعلم القرآن و علمه » .

(رواه البخارى و أبوداؤد و الترمذى و النسائى و ابن ماجه)
هذا فى الترغيب و عزاه إلى مسلم أيضاً و لكن حكى الحافظ فى
الفتح عن أبى العلاء أن مسلماً سكت عنه .
وردت هذه الرواية فى معظم كتب الحديث بالواو، كما ذكرنا

(١) المرقاة .

أعلاه ، و في هذه الحالة يستحق الفضيلة من تعلم القرآن ثم علمه
الآخرين، ولكن وردت هذه الرواية في كتب أخرى به أو، أيضاً
و في تلك الحالة تكون الفضيلة للتعليم أو التعليم ، سواء تعلم القرآن
أو علمه فلكليهما الخير و الفضيلة على سواء .

و حيث إن القرآن هو أصل الدين فيتوقف الدين على بقائه
و نشره ، و لذلك لا تخفى فضيلة تعلمه وتعليمه ، و لا يحتاج هذا
الأمر إلى أى توضيح إلا أن أنواعه تختلف ، و كالمعلم القرآن
لمعانيه و مقاصده ، و أذاها تعلم ألفاظه فقط ، و يؤيد قول النبي
ﷺ الذي ذكرته رواية أخرى هذا الحديث ، فروى عن سعيد بن
سليم مرسلًا: «من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى
فقد عظّم ما صغر الله ، و صغر ما عظم الله .»

و لا شك أن الكلام الالهي هو أفضل الكلام كما تدل عليه
الأحاديث القادمة ، فلا بد إذاً أن تكون تلاوته وتعليمه أفضل من
قراءة و تعلم سواء ، و قال العلامة علي بن سلطان محمد القارى
المعروف بالمللا على الهروى (م ١٠١٤ هـ) علم من الحديث «من
قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه (١)»
و قال سهيل القشرى رحمه الله « علامة حب الله حب

(١) رواه الحاكم كذا في المرقاة .

القرآن ، (١) ، و ذكر صاحب شرح الاحياء فيمن يظلمهم الله عز
و جل تحت عرشه يوم القيامة من يعلون أطفال المسلمين القرآن ،
و كذلك من يتعلون القرآن من الطفولة ثم يواظبون على تلاوته
في الكبر .

[٢] عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الرب
تبارك وتعالى من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتي ، أعطيته أفضل
ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله
على خلقه » . (رواه الترمذى والدارمى و البيهقى فى الشعب) .
أى إن الرجل الذى لا يحمد وقتاً بسبب حفظ القرآن أو
تعله أو فهمه لدعاء آخر فان الله تعالى سيعطيه أفضل مما يعطى
الداعين ، و من تجارب الدنيا أن الرجل يوزع الحلويات ، فان
الشخص الذى يقوم بأعماله ولا يستطيع الحضور بسببها لنيل نصيبه
يخصص له نصيبه ، و جاء فى رواية أخرى : « أعطيته أفضل ما
أعطى الشاكرين » .

[٣] عن عقبه بن عامر قال خرج رسول الله ﷺ و نحن فى
الصفة فقال : « أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق
فيأتى بناقتين كوماوين فى غير إثم ولا قطبعة رحم ، قتلنا يا رسول

(١) إحياء العلوم .

الله كلنا نحب ذلك ، قال : « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين و ثلاث خير له من ثلاث و أربع خير له من أربع و من أعدادهن من الابل » .
(رواه مسلم و أبوداؤد)

الصفة اسم لمكان معين في المسجد النبوي الشريف كان مجلس الفقراء من المهاجرين ، و قد كان عدد أصحاب الصفة يختلف ، يزيد و ينقص في مختلف أيام السنة ، و ذكر العلامة السيوطي مائة اسم و واحد و صنف رسالة خاصة بأسمائهم ، و بطحان و العقيق مكانان بالقرب من المدينة المنورة حيث كانت تقوم سوق الابل ، وكانت الابل محببة إلى العرب وخاصة الناقة الكوماء ، والمراد من « غير إثم » أن الحصول على شئ بدون جهد إما أن يكون بالسلب أو النهب أو عن طريق الاستيلاء على مال لقريب في الارث أو بسرقة وغيره ، ففي رسول الله ﷺ هذه الأمور ، فيقصد الحديث أن تعلم بعض الآيات من القرآن الكريم أفضل من الحصول على شئ بدون جهد و إثم ، ولا شك أن حكومة الأقاليم السبعة فضلا عن بعير أو بعيرين زائلة عاجلا أو آجلا بالموت الذي يسلب كل شئ قهراً ، و لكن أجر تعلم آية من الآيات القرآنية أو آيتين دائم لا يزول ، إنك تستطيع أن تجرب ذلك في الحياة العادية ،

فتلا تمنح أحداً روية واحدة فيفرح بها ويشكره ، و تعطى شخصاً
ألف روية وتقول له احفظها كأمانة لوقت معين و سأخذها منك
بعد عودتي ، فان هذه الأمانة لا تزيد إلا مؤنة وعبئاً لا يستفيد
منها ، فيقصد الحديث الشريف في الواقع التبيه إلى الفارق بين
الباقي و الفاني ، ليتدبر الانسان في جميع حركاته و سكناته و يدقق
النظر هل يصرف حياته على كسب أشياء باقية أو يقضيها في الحصول
على مكاسب فانية ، ثم الحسرة على الذين يكسبون لهم ويلاباقياً .
و يحتمل في تفسير الجملة الأخيرة للحديث « و من أعدادهن
من الابل ، ثلاثة معان ، الأول : إنه ﷺ ذكر ذلك إلى أربعة
بالتفصيل ثم ذكر بالأجمال ما فوقها ، أى إن كل شخص يكسب بقدر
تعلمه من الآيات ، وفي هذه الصورة يكون المراد من الابل الجنس ،
سواءً كان بعبيراً أو ناقة ، والمراد ما فوق الأربعة لأنه ﷺ ذكر
إلى عدد الأربعة تصريحاً .

و المعنى الثاني أنه ذكر للأعداد المذكورة سابقاً ، والمقصود
منه أن الرغبات تختلف ، فأحد يفضل البعير و الآخر يفضل الناقة .
فذكر النبي ﷺ أن كل آية خير من الناقة ، وإذا كان أحد يفضل
البعير فان كل آية خير له من البعير كذلك .
و المراد الثالث : أن هذا البيان بان لنفس العدد الذى ذكر

سابقاً ، و ليس بيان للعدد الزائد عن الأربعة ، و لا يقصد منه ما ذكر في المعنى الثاني أن الآية الواحدة خير من بعير أو ناقة ، بل المراد هنا أن الآية خير من مجموع البعير و الناقة أى زوج البعير فتساوى إذاً كل آية الزوج من البعير و الناقة ، و قد رجح والدى - نور الله مرقدہ - هذا المعنى لأن فيه زيادة في الفضيلة ، و لو أنه لا يراد منه أن أجر الآية الواحدة يستطيع أن يتساوى مع إبل أو زوجة ، فليس المراد منه سوى التمثيل والتشبيه ، و قد ذكرت أن ثواب الآية الواحدة الدائم و الخالد خير من حكومة الأقاليم السبعة التي ستزول و تفتى .

قال الملا على القارى : • التمس بعض أصحاب من التجار من الشيخ أبى الحسن البكرى أن يمكث في جدة لبعض الوقت بعد نزوله من السفينة لكي تزداد ببركة دعائه تجارتهم وكانوا يكونون بأن يحصل لخدم الشيخ بعض منافع بضاعتهم ، فأبى و أتى بأعذار ساترة للأسرار ، فما فهموا و ألحوا و بالغوا في المسألة مع الإصرار ، فقال الشيخ • ما مقدار فائدة ربحكم في هذا السفر و كم أكثر ما يحصل لكم من النتيجة و الأثر ؟ فقالوا يختلف باختلاف الأحوال و تفاوت الأموال ، و أكثر الربح أن يصير الدرهم درهين ، و يكون الواحد اثنين ، فتبسم الشيخ و قال : إنكم تتعبون هذا التعب

الشديد لهذا الربح الزهيد فتحن كيف ترك مضاعفة الحسنات بالحرم
و هي حسنة بمائة ألف ، (١) .

الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة .

[٤] عن عائشة رضی الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :
« الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن
و يتتبع فيه و هو عليه شاق له أجران » .

(رواه البخارى ومسلم و أبو داؤد والترمذى والنسائى وابن ماجه)

إن الماهر بالقرآن هو من يجيد حفظه و يحسن قراءته ، ثم

إذا كان يفهم معانيه و مطالبه فهو أفضل درجة و أعلى مكانة ،

و المقصود من قوله « مع السفارة الكرام البررة » أنهم أيضاً نقله

القرآن الكريم من اللوح المحفوظ ، و هذا الماهر أيضاً ناقله

و مبلغه ، فكان كليهما ينهج نهجاً واحداً ، أو أنهما سيجتمعان في

الحشر و يستحق المتتبع فيه أجرين ، أجرأ على قراءته ، و أجرأ

آخر على الصعوبة التي يتحملها والجهد الذي يبذله في قراءته ولكنه

لا يدل على أفضليته في المنزلة على الماهر بالقرآن بأن الفضيلة التي

وردت للماهر تفوقها بحيث إنه يجتمع بالملائكة المقربين بل المقصود

منه أنه يستحق الأجر بسبب التمتع ، فلا يجب أن يترك أحد قراءة

القرآن بهذا العذر ، وذكر العلامة على القارى - رحمه الله - نقلاً

(١) المرقاة « كتاب فضائل القرآن » .

عن الطبراني و البيهقي « من قرأ القرآن وهو يتفلسف منه فله أجره
مرتين ، و من كان حريصاً عليه و لا يستطيعه و لا يدعه بعنه الله
يوم القيامة مع أشرف أهله (١) .

[٥] عن ابن عمر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ
لا حسد إلا على اثنين ، رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل
و آناء النهار ، و رجل آتاه مالا فهو ينفق منه آناء الليل و آناء
النهار . (رواه البخاري و الترمذي و النسائي)

إن آيات القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الكثيرة تدل
عموماً على معصية الحسد ، و عدم جوازه مطلقاً ، ولكن الحديث
المذكور أعلاه يفيد بجواز الحسد على رجلين ، وحيث إن الأحاديث
و الروايات ضد الحسد كثيرة و وافية فإن العلماء فسروا هذا الحديث
تفسيرين ، أحدهما : أن الحسد المذكور في الحديث هو في الواقع
بمعنى الغبطة ، و الفرق بين الحسد و الغبطة أن الحاسد يتمنى برؤية
نعمة على شخص أن تزول هذه النعمة سواءً يحصل له هذه النعمة
أم لا ، و الغابط يتمنى الحصول على هذه النعمة بدون أن يتمنى
زوالها من الآخر ، وحيث إن الحسد حرام بالاجماع استنبط العلماء
من هذا الحديث أنه محمول على الغبطة مجازاً و هو مباح في الأمور

(١) المرقاة .

الدينية ومستحب في الأمور الدينية ، و المفهوم الآخر أن يستعمل
في بعض الأحيان كلمة على سبيل الفرض و التقدير ، أى لو كان
الحسد مباحاً على أى شئ ، لكان هذان الأمران من هذه الأشياء .

[٦] عن أبي موسى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله
ﷺ مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ، ريحها طيب و
طعمها طيب ، و مثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح
لها و طعمها حلو ، و مثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحظلة
ليس لها ريح و طعمها مر ، و مثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل
الريحانة ، ريحها طيب و طعمها مر .

(رواه البخارى و مسلم و النسائى و ابن ماجه)

المقصود من هذا الحديث تشبيه شئ غير محسوس بشئ
محسوس لكى يسهل على الذهن تبيين الفرق بين قراءة القرآن وعدم
قراءته ، و إلا فالظاهر أنه لا علاقة بين حلاوة الكلام الالهى و
نفعته ، و بين الأترجة و التمر ، ولو أنها توجد نكات عديدة فى
التشبيح بهذه الأشياء تتعلق بالعلوم النبوية ، و تشير إلى علو علوم
النبي ﷺ و سعتها ، فمثلاً تحدث الأترجة فى الفم رائحة طيبة و
تصفى المعدة و تقوى الهضم و فيها منافع أخرى كثيرة ، و هذه
هى المنافع التى تتناسب مع قراءة القرآن مناسبة كبيرة ، فمثلاً رائحة

الفم الطيبة ، وتصفية الباطن والقوية الروحانية هي المنافع التي يجدها القرآن و تلاوته ، و بين هذه المنافع ، و المنافع التي ذكرت عن الأترجة شبه كبير ، و علاقة خاصة ، و قيل إن الأترجة تأثيراً خاصاً آخر و هو أن الجن لا يدخل بيتاً فيه أرج ، (١) فإذا صح ذلك فإن الشبه بينها وبين القرآن يزداد ويتقوى مزيداً ، وقد سمعت عن بعض الأطباء أن الأترجة تقوى قوة الحفظ والوعى ، و قد روى عن علي - كرم الله وجهه - في الاحياء أن ثلاثة أشياء تقوى الحفظ .

(١) السواك (٢) الصوم (٣) تلاوة القرآن .

و ذكر أبو داؤد عند اختتام هذا الحديث كلاماً مفيداً للغاية وهو مثل المجلس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شئ أصابك من ريحه ، و مثل المجلس السوء كمثل صاحب السكر إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه .

إنه حقاً أمر هام يجب الاهتمام به ، و لينظر كل منا إلى جلسائه ورفقائه و بيته التي يعيش فيها ، إلى أية طبقة ينتمون .
[٧] عن عمر بن الخطاب - رضی الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع

(١) كذا في المرقاة .

به آخرين .
 (رواه مسلم)
 إن الذين يؤمنون به و يعملون به ، فان الله سبحانه و تعالى
 يرفعهم و يعزهم . و الذين لا يعملون به فان الله سبحانه و تعالى
 يذلهم ، و يشيت ذلك من كلام الله تعالى أيضاً فقال : • يضل به
 كثيراً و يهدى به كثيراً ، (١) و قال في موضع آخر : • و نزل
 من القرآن ما هو شفاء و رحمة للؤمنين و لا يزيد الظالمين إلا
 خساراً ، (٢)

و قد روى عن النبي ﷺ : • أكثر منافق هذه الأمة
 قراؤها ، (٣) و ذكر عن بعض المشايخ في الاحياء • إن العبد ليفتح
 سورة فتصلى عليه الملائكة للرحمة حتى يفرغ منها ، و أن العبد
 ليفتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها ، فليل له و كيف ذلك • فقال
 إذا أحل حلالها و حرم حرامها صلت عليه و إلا لعنته ، (٤) .
 و قال بعض العلماء • إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه و
 هو لا يعلم ، يقول • ألا لعنة الله على الظالمين ، وهو ظالم نفسه ،
 و ألا لعنة الله على الكاذبين ، و هو منهم ، (٥) .
 يقول عامر بن واثلة : إن عمر - رضی الله عنه - استعمله

(١) البقرة ٢٦ (٢) الاسراء ٨٢

(٣ - ٤ - ٥) إحياء علوم الدين •

نافع بن عبد الحارث على مكة المكرمة و سأله يوماً من استعمله
على أهل الوادي فقال ابن أبرى : فسأل عمر بن الخطاب من ابن
أبرى ؟ فقال مولى من موالينا ، قال : « فاستخلفت عليهم مولى ؟
فقال : « إنه قارى' لكتاب الله عز وجل و إنه عالم بالفرائض ،
قال عمر - رضى الله عنه - أما إن نبيكم ﷺ قد قال : « إن
الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً و يضع به آخرين ، (١) .

[٨] عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ قال : « ثلاث تحت
العرش يوم القيامة ، القرآن يحاج العباد ، له ظهر و بطن ، و
الأمانة ، والرحم تنادى : ألا من وصلنى وصله الله و من قطعنى
قطعه الله ، رواه فى شرح السنة .

المراد من كون هذه الأشياء تحت العرش كمال قربها من
العرش ، الالهى العظيم ، و معنى حجة القرآن أن الذين يراعونه
حق رعايته و يقدرونه حق قدره و يعملون به فان القرآن سيكون لهم
حجة أمام الله سبحانه ، و يشفع لهم ، و يرفع درجاتهم ، و ذكر
الملا على القارى' رواية للترمذى : « إن القرآن الكريم يقول لله :
« يا رب حلّة فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول يا رب زده فيلبس
حلّة الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنه فيرضى عنه ، (٢) .

(٢) المرقاة .

(١) صحيح مسلم

فاذا كان رضى الحبيب فى الدنيا أعلى جائزة و مكرمة لا
تفوقها نعمة فأى نعمة تكون أفضل من رضى الله سبحانه فى
الآخرة ، و إن الذين خانوا القرآن و قصرُوا فى قرأته يطالبهم
القرآن فىه و يسألهم عما فعلوا فى أمره •
ذكر صاحب شرح الاحياء أن الامام الاعظم أبا حنيفة -
رحمه الله - قال إن من حق القرآن أن يختم مرتين فى عام
واحد .

فليعتبر الآن أولئك الذين لا يتلون القرآن و لو عذراً و
لا يهتمون به ، و يفكرون ماذا يجيبون هذا الخصم القوى ، فكل
نفس ذائقة الموت و لا مناص من الموت •

و المعنى الظاهرى لظاهر القرآن و باطنه أن له معنى ظاهراً
يفهمه كل شخص ، و آخر باطناً لا يستطيع أن يفهمه كل شخص
و هذا ما يشير إليه قول رسول الله ﷺ •

من قال فى كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ (١) ، وقال
بعض المشايخ : إن المراد من الظاهر ، ألفاظه التى يتساوى كل
شخص فى تلاوتها ، والمراد من الباطن معانيه و مطالبه ، التى تختلف
و تتفاوت حسب الاستعداد و الفهم •

(١) أبو داؤد •

شروط فهم معاني القرآن : قال ابن مسعود - رضى الله عنه -

إذا أردتم العلم فأنثروا القرآن ، فإن فيه علم الأولين و الآخرين ،
و لكن يجب مراعاة الشروط و الآداب في فهم معاني القرآن
الكريم ، وقد عم في عهدنا أن كل شخص يتعلم بضع كلمات عربية
بل بدون تعلمها يكتب بقرأة تراجم القرآن باللغة الأردية و يتكلم
برأيه في القرآن ، و قد ذكر رجال الفن أنه ينبغي إتقان خمسة
عشر علماً للتفسير ، و أذكرها هنا ملخصاً للضرورة العاجلة ليعلم
أنه ليس من استطاعة كل شخص أن يتوصل إلى بطن كلام الله .

أولاً : اللغة ، ليعرف معنى المفردات في القرآن ، ويقول مجاهد
- رضى الله عنه - : لا يجوز لمن يؤمن بالله و اليوم الآخر أن
يقول كلمة في القرآن الكريم بدون علم لغة العرب ، فلا يكفي علم
بضع لغات ، و قد يحدث أن بعض الألفاظ تشترك في المعنى ، و
هو لا يعرف إلا بضع معان ، وفي الواقع يقصد من ذلك اللفظ
المعين معنى آخر .

ثانياً : علم النحو ، لأن تغير الاعراب يغير المعنى كلياً ، ويتوقف
علم الاعراب على علم النحو .

ثالثاً : علم الصرف ، لأن اختلاف الصيغ يغير المعاني ، و يقول
ابن فارس من فاته علم الصرف فقد فاته الكثير ، و ذكر

العلامة الزخشرى فى عجوبات التفسير أن رجلا تلا الآية • يوم ندعو كل أناس بأمامهم • فسرهما لعدم علمه بالصرف • يوم ندعو كل أناس بأمامهم • لأنه حسب الامام الذى كان كلمة مفردة ، أنه جمع الام ، فلو كان طالماً بالصرف لعرف أن الام لا يجمع بالامام .
رابعا : معرفة الاشتقاق ، لأن الكلمة المشتقة بمادتين تختلف معنى ، مثلا المسيح ، فانه مشتق بالمسح أيضا و معناه اللس ، و مس شى بيد مبللة ، واشتقاقه الآخر المساحة .

خامسا : علم المعانى ، الذى يوضح تركيب الكلام بحيث المعنى .
سادسا : علم البيان ، الذى يكشف ظهور الكلام وخفائه وتشبيهه و كنياته •

سابعا : علم البديع ، الذى يدل على حسن الكلام من ناحية التعبير ، و هذه الفنون الثلاثة تعرف بعلم البلاغة ، و هى أهم علوم التفسير ، و كلام الله تعالى إعجاز بكامله ولا يمكن معرفة هذا الإعجاز بدون معرفة علم البلاغة •

ثامنا : علم القراءة ، لأن اختلاف القراءة يبدى اختلاف المعانى و تكشف منه ترجيح معنى على المعنى الآخر •

تاسعا : يجب الحصول على علم العقائد ، لأن فى القرآن الكريم آيات لا يصح انطباق معناها الظاهر على الله سبحانه و تعالى

فيحتاج إلى تأويلها مثلاً • يد الله فوق أيديهم • •
عاشراً : علم أصول الفقه ، لمعرفة طرق الاستدلال والاستنباط.
الحادى عشر : معرفة أسباب النزول لأن أسباب النزول تكشف
المعنى أكثر إيضاحاً ، و في بعض الأحيان يتوقف علم المعنى
الحقيقي على أسباب النزول أيضاً •

الثاني عشر : علم الناسخ و المنسوخ لتمييز الأحكام المنسوخة عن
العمل بها •

الثالث عشر : علم الفقه ، لأن الاحاطة بالجزئيات توصل إلى
الكليات •

الرابع عشر : معرفة تلك الأحاديث النبوية التي تفسر الآيات المجملة.
و بعد هذه الشروط الأربعة عشرة ، علم آخر وهو الشرط
الخامس عشر و هذا العلم هو من العلوم الموهوبة ، التي يخصص الله
بها أفراداً معدودين من عباده يشير إليهم هذا الحديث الشريف :
• من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم • •

وقد أشار إليه سيدنا علي - كرم الله وجهه - عندما سئل (١)

هل عندكم من رسول الله ﷺ شئى سوى القرآن ، فقال لا ، و
الذي خلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عبداً فهما في كتابه

(١) الاحياء •

و قال ابن أبي الدنيا - رضى الله عنه - إن علوم القرآن و ما يحصل منها ، بحر لا ساحل له ، و إن هذه العلوم التي ذكرت هي بمثابة آلة للفسر ، فاذا حاول أحد تفسير القرآن بدون نيل هذه العلوم فإنه لا يفسر إلا برأيه و هو محذور ، و قد كانت العلوم العربية بالنسبة للصحابه - رضوان الله أجمعين - حاصلة طبعاً ، و قد اقتبسوا العلوم الأخرى من مشكاة النبوة ، يقول العلامة السيوطي : لعلك تحسب أن الحصول على العلم الوهبي خارج عن قدرة العبد ، ولكنه ليس كذلك ، بل إنه الطريقة إلى الحصول عليه هو الحصول على تلك الأسباب و الوسائل التي يرتب الله تعالى عليها هذا العلم مثلاً العمل بالعلم ، و الرغبة عن الدنيا .

و في « كيمياء سعادت » ، للإمام الغزالي : إن تفسير القرآن لا يتيسر لثلاثة أشخاص ، الأول : الرجل الذي لا يعرف العلوم العربية ، الثاني : الرجل الذي يصر على معصية كبيرة ، أو بدعة ، لأن المعاصي و البدع تسودان قلبه ، و بذلك يعجز عن معرفة القرآن ، و الثالث : الرجل الذي يؤمن بالظاهر في قضية عقيدة ، و تنفر من طبيعته من آية من القرآن الكريم التي تخالف عقيدته ، فلا ينال هذا الشخص أيضاً نصيباً من فهم القرآن ، اللهم احفظنا منهم .

[٩] عن عبدالله بن عمرو - رضى الله عنه - قال : قال رسول
الله ﷺ : « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ، ورتل كما كنت
ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها ، »
(رواه أحمد و الترمذى و أبو داؤد و النسائى و ابن ماجه
و ابن حبان فى صحيحه)

و المراد الظاهر من صاحب القرآن حافظه ، و قد شرحه
الملا على القارىء بالتفصيل أن هذه الفضيلة خاصة للحافظ ، و لا
يدخل فيها القارىء ، و سببه الأول أن كلمة صاحب القرآن تشير
إليه ، ثانياً أنه جاء فى رواية فى مسند أحمد « حتى يقرأ شيئاً معه »
و هذه الكلمة أكثر توضيحاً لاختصاصه بالحافظ ، و لو أنه يحتمل
اشتراك ذلك القارىء الذى يتلو القرآن بكثرة فى هذه الفضيلة ، و
فى المرقاة أن هذا الحديث لا يعنى القارىء الذى يعلنه القرآن ،
و يشير ذلك إلى الحديث الذى جاء فيه « رب نال للقرآن و
القرآن يلعبه » فإذا كانت عقائد شخص غير مستقيمة فان تلاوة القرآن
لا تدل على قبوله ، وقد وردت مثل هذه الأحاديث بكثرة عن الخوارج .
وذكر الشيخ عبد العزيز - رحمه الله - عن الترتيل فى تفسيره
أن الترتيل فى اللغة هو القراءة بوضوح و صفاء ، و فى الشرع
الشريف : إنه يعنى مراعاة عدة أشياء فى التلاوة ، و منها تصحيح

المخارج عند النطق لكيلا تختلط الطاء بالهاء ، و الضاد بالظاء ،
ثانياً : الوقوف الكامل في مواضع الوقوف ، لكي لا تختلط مواضع
الوضع بالقطع للكلام ، ثالثاً الاشباع في الحركة و هو إظهار
الحركات مثل الكسرة ، و الضمة ، والفتحة ، رابعاً : رفع الصوت
قليلاً ، لكي تصل كلمات القرآن الكريم إلى آذان الآخرين بوضوح
وتؤثر في القلوب ، خامساً : تحسين الصوت و تصحيحه لكي يوجد
التأثير على القلب لأن الصوت الخاشع يؤثر على القلب سريعاً ، و
يقوى الروح ، ويزيد التأثير به ، ولذلك قال الأطباء إنه إذا أريد
بتأثير قلب بالدواء فلا بد أن يمزج هذا الدواء بما له رائحة طيبة ،
لأن القلب يجذبه بسرعة ، و إذا أريد إيصال أثر دواء إلى الكبد ،
فليخلط بالحلوى لأن الكبد تميل إلى الحلوى ، فيعتقد هذا العبد أن
استعمال الروائح و البخور بصفة خاصة يقوى تأثير القرآن عند
التلاوة على القلب ، سادساً ، إبداء التشديد و المد لأنه يزيد عظمة
القرآن و يعين في إيجاد التأثير ، سابعاً : الاهتمام بآيات الرحمة و
العذاب حتى قدرها كما سبق ذكره في أول الكتاب .

هذه هي الشروط السبعة التي يجب الالتزام بها و التي تعتبر
لوازم الترتيل ، و ليس المقصود منها سوى فهم القرآن و تدبره ،
وقد سأل أحد أم المؤمنين أم سلمة - رضی الله عنها - كيف كانت

قراءة النبي ﷺ عنه ففسرت قرأته ﷺ حرفاً حرفاً ، أى أنه كان ﷺ يظهر جميع الحركات كلياً (١) و يستحب قراءة القرآن بالترتيل ، و لو كان لا يفهم المعنى .

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - . لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ البقرة و آل عمران تديراً . (٢) .

و استدل الشراح و المشايخ من الرواية المذكورة أنها تعنى إقرأ آية آية من القرآن و تدرج درجة درجة بها ، لأن الروايات تفيد بأن أدراج الجنة على قدر آى القرآن ، فيرتقى الانسان حسب حفظه من القرآن ، و يصل إلى مأواه بقدرها ، و كل شخص يتقن القرآن بكامله يصل إلى الدرجة العليا .

قال العلامة على القارى - رحمه الله - : . جاء فى حديث من أهل القرآن فليس فوقه درجة ، فالقراء يتصاعدون بقدرها ، قال الدانى - رحمه الله - : . أجمعوا على أن عدد آى القرآن ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا فيما زاد ، فقبل ٢٠٤ و ١٤ ، وقيل

(١) عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً ، رواه الترمذى .
(٢) الاحياء .

١٩ ، و ٢٥ و ٣٦ (١) .

وفي شرح الاحياء عن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - :
كل آية في القرآن درجة ، فيقال للقارى : ارق في درجتها على قدر
ما كنت تقرأ من آى القرآن . .

و يرى العبد الضعيف أن الحديث المذكور يقصد شيئاً آخر ،
فإن كان صواباً فمن الله ، و إن كان خطأً فمضى و من الشيطان ،
و الله و رسوله منه بريئان .

و حاصل ما أقصد أن الحديث المذكور لا يعنى ذلك الرقى
من الدرجات الذى ذكر باعتبار الآيات أى درجة لكل آية لأن
هذا المراد لا يتصل بالقراءة بالترتيل ، فاذا قرأت آية ارتفع قارؤها
إلى درجة فهو عام سواء أكانت القراءة بالترتيل أو بدون الترتيل ،
فاعتقد أن المراد من هذا الحديث كما يبدو رقى آخر باعتبار الكيفية ،
التي تترب بقدر الترتيل أو بغيره في القراءة فلا يستطيع أن يقرأ
القرآن إلا بالترتيل الذى كان يقرؤه به في الدنيا ، ثم يرتقى به .
و ذكر الملا على القارى حديثاً يقول : « فاذا قام صاحب القرآن
بقراءته آناه الليل و آناه النهار ذكره و إن لم يقم به نسيه (٢) » .
فليرحم الله فان فينا كثيراً من الناس من يحفظون القرآن بأمر

(١) المرقاة « فضائل القرآن » (٢) عن الرازمي المرقاة .

والديهم و شوقهما الدينى ولكنهم يضيعون هذه النعمة العظيمة لقلة
اهتمامهم بها فى الكبر فى الحياة الدنيا نفسها و بالعكس ورد فى
الحديث الشريف : من قرأ القرآن ثم مات قبل أن يستظهره أتاه
ملك يعمله فى قبره و يلقى الله و قد استظهره ، (١) .

إن عطاء الله جزيل لا ينقصه شئ فهل من نائل ؟

كل حرف من القرآن حسنة و الحسنة بعشر أمثالها .

[١٠] عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : « من قرأ
حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، و الحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول
الم حرف ، و لكن ألف حرف ، و لام حرم ، و ميم حرف . »
(رواه الترمذى و قال حديث صحيح غريب اسناداً ، و الدارى)

و المقصود من الرواية أن الاعتبار فى كلام الله هو باعتبار
الأجزاء على عكس الأعمال الأخرى التى يعتبر فيها للجزاء كل عمل ،
فكل جزء من الأجزاء فى تلاوة القرآن يعتبر عملاً بمفرده ، فيعد
كل حرف منها حسنة ، و وعد الله تعالى لكل حسنة « من جاء
بالحسنة فله عشر أمثالها » و هذا هو أدنى درجة ، قد قال الله
سبحانه : « و الله يضاعف لمن يشاء » و بمقتضى الحديث النبوى
الشريف « ألف حرف ، و لام حرف ، و ميم حرف ، تساوى

(١) رواه البخارى وغيره كما فى المرقاة .

ألم ثلاثين حسنة ، واختلف العلماء في أن المراد بـ « ألم » هو مفتاح
البقرة أو سورة الفيل « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ،
فإن كان المراد منه مفتاح سورة البقرة فالظاهر منه أن الحروف
المكتوبة منفصلاً هي المعتبرة ، لحيث أنها في الكتابة ثلاثة أحرف ،
استحقت ثلاثين حسنة ، وإن كان المراد منه مفتاح سورة الفيل
تصبح ألم البقرة تسعة أحرف ، وتصير الحسنات عليها تسعين
حسنة ، وفي رواية للبيهقي « لا أقول بسم الله حرف ، ولكن
باء و سين و ميم ، و لا أقول ألم و لكن الألف و اللام و
الميم ، أي إنها أحرف منفصلة .

[١١] عن معاذ الجهني قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ
القرآن و عمل بما فيه ألبس والذاه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن
من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم ، فاطنكم بالذي عمل
بهذا . » (رواه أحمد و أبو داؤد و صحيحه الحاكم)

و المفهوم من الحديث أن من بركة قراءة القرآن و العمل
به أن والدي القاري سيتوجان بتاج يفوق نوره ضوء الشمس
كثيراً إذا كانت الشمس داخل البيت ، فإذا كانت الشمس و هي
تطلع بعيدة عن الأرض ، تنشر ضوءها و تشرق بها الأرض ، فما
تكون قوة ضوءها و مدى انتشارها إذا أتت داخل البيت و قربت

منه ، ويصف الحديث قوة وضوء الناج الذي يلبسه والدا القارى .
و يرجع قوته و ضوؤه على قوة و ضوء الشمس الطالعة والمشرقة
داخل البيت ، فاذا كان الوالدان يستحقان هذا الأجر العظيم ، فما
يكون الأجر للقارى نفسه، ويمكن تقدير أجره على هذا الأساس ،
فاذا كان ذلك أجر الطفيلين و نعمهم فلا بد من أن يكون أجر
الأصل أفضل منه أضعافاً . فقد استحق الوالدان هذا الأجر لأنهما
كانا سيدين لوجوده أو تعليمه .

وفى التشبيه بالشمس فى البيت إشارة إلى أمر لطيف بالاضافة
إلى قوة الضوء و صفائه ، و هو أن الشئ الذى يحده الانسان
بجانبه دائماً يورث فى نفسه الأذى وعدم الكلفة ، فيتبدل إذا قرب
الشمس الوحشة التى يشعر بها الانسان بسبب بعدها بالأنس والألفة
و فى هذه الحالة يشير هذا التمثيل علاوة على الضوء و صفائه ، إلى
الموانسة أيضاً ، و إلى وجود الصلة معها ، فان الشمس رغم عموم
الارتفاع بها ليست ملك أحد ، فاذا وهبت نفسها لأحد فله أعظم
افتخار الانسان بها .

و روى الحاكم عن بريدة - رضى الله عنه - قول النبي
ﷺ : من قرأ القرآن و تعلم وعمل به أبس والداه يوم القيامة
تاجاً من نور ضوؤه مثل ضوء الشمس و يكسى والداه حلتين لا

يقوم لها الدنيا ، فيقولان بيم كسينا هذا ؟ فيقال بأخذ ولدكما
القرآن ، (١) .

و في جمع الفوائد عن الطبراني عن أنس رفعه « من علم
ابنه القرآن نظراً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، و من
علمه آياً ظاهراً ، بعثه الله يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر ،
ويقال لابنه ، اقرأ ، فكلما قرأ آية رفع الله اللآب بها درجة حتى
ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن » .

إن قراءة الولد للقرآن يجلب لوالده هذا الثواب و الفضائل ،
و لكن لا تنهى المسألة هنا ، بل يجب في هذا الصدد الانتباه إلى
جانب آخر أيضاً ، و هو الحسran الذي يكسبه الانسان بأعراضه
عن كسب هذه الفضيلة ، فاذا حرم أحد أحد أبنائه تعلم الدين -
لا قدر الله - حرصاً على كسب المال القليل والنفع الضئيل ، و جرياً
وراء كسب مادي طفيف ، فإنه لا يحرم نفسه هذا الأجر الدائم
القائم بحسب ، بل إنه متحمل مسؤولية حرمان ولده عند الله ، وإبعاد
فلذة كده عن هذه النعمة خشية أنه يتعلم الدين أو حفظ القرآن
سيظل عالة و مفتقراً إلى قطع الخبز في المساجد ، فلا ينس أحد

(١) رواه الحاكم و قال صحيح على شرط مسلم كما في الترغيب
« باب فضائل القرآن » .

أنه بهذا العمل ، يجعل ابنه عرضة للصائب الخالدة ، والشقاء الدائم
بالإضافة إلى ما يكسب لنفسه ، و ما يتحمل من مسؤولية خطيرة
و عواقب ، بمقتضى الحديث الشريف « كلّم راع و كلّم مسؤل
عن رعيته ، فليسأل كل امرء عن رعيته و العالة عليه ، عن نصيه
في تعليم أولاده و رعيته الدين ، طبعاً يلزم اتخاذ إجراءات لازمة
للالتزام بالنظافة إلا أنك إذا علمت ولدك الدين و خلقت فيه
الصلاح ، فانك تطلق نفسك عن المسؤولية و تؤمن لنفسك نصيباً من
الأجر الذي يكسبه ولدك بالأعمال الصالحة ما دام حياً ، و يدرج
في كتابك من الثواب و الأجر ، و يرفع من درجاتك لسبب
دعائه و استغفاره لك .

و لكن إذا غلبت الدنيا و الطمع فيها ، و حرمت ولدك
عن نيل العلم الديني طمعاً في بضعة نفود ، فانك لا تتحمل الويل
لهذا العمل فحسب ، بل إنك لا تنجو من وبال أعماله السيئة
و الفسق و الفجور و الذنوب التي يكسبها ولدك في حياته ، فارحم
نفسك بالله فان الدنيا و حياتها زائلة لا محالة و سينهي الموت كل
مضنية مهما عظمت و تفاقمت ، و لكن المضنية التي لا موت بعدها
هي خالدة ، و لا نهاية لها .

[١٢] عن عقبه بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

لوجعل القرآن في إهاب ثم ألقى في النار ما احترق. (رواه الترمذى)
ذهب مشايخ الحديث في هذا الحديث مذهبين، فيرى بعضهم
أن المراد من الإهاب هو الإهاب العام، لأى حيوان، و المراد
من النار هى النار الدنيوية، و فى هذه الحالة يعتبر ذلك من
معجزات النبي ﷺ التى كانت خاصة لزمانه، كما كانت معجزات
الأنبياء الآخرين خاصة لزمانهم و المراد الآخر أن المقصود من
الإهاب هو جلد الانسان، و المراد من النار الجحيم، و فى ضوء
هذا المعنى يكون هذا الحكم عاماً غير مقيد بأى عصر و جيل، و
معناه أن كل من حفظ القرآن إذا وضع فى الجحيم بسبب ذنوبه،
فإن النار لن تؤثر فيه، و قد ورد أيضاً فى إحدى الروايات كلمة
«ما مسته النار» و تؤيد هذا المفهوم التالى رواية أبى أمامة التى نقلها
العلامة على القارىء من شرح السنة «احفظوا القرآن فإن الله لا
يعذب بالنار قلباً و عى القرآن» (١)، و هذا الحديث واضح فى
مفهومه و نص عليه.

فليتدبر فى هذه الفضائل أولئك الذين يعدون حفظ القرآن
إضاعة للوقت، و عملاً غير مجد، فإن هذه الفضيلة تكفى فى حد
ذاتها أن تحمل كل شخص على أن يفدى بنفسه لحفظ القرآن، فهل

(١) المرقاة .

من إنسان لا يذنب و لا يستحق بذنوبه النار .

وقد ذكر صاحب شرح الاحياء في قائمه من يظلمهم الله يوم
القيامة عن علي - رضى الله عنه - برواية الدبلى أن حاملى القرآن
أى حفاظه ، سيكونون فى ظل الله مع الأنبياء و الصالحين .
[١٣] عن علي قال قال رسول الله ﷺ من قرأ القرآن فاستظمه ،
فأحل حلاله و حرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من
أهل بيته كلهم قد وجبت له النار .

(رواه أحمد و الترمذى و قال هذا حديث غريب
و حفص بن سليمان الراوى ليس هو بالقوى ،
يضعف فى الحديث ، رواه ابن ماجه و الدارمى)

إن كل مؤمن سيدخل الجنة إن شاء الله ، و لو بعد معاقبة
على سيئات أعماله ، و لكن هذه الفضيلة تخص الحفاظ باعتبار
ابتداء دخولهم ، و إن العشرة الدبلى تقبل فيهم شفاعته هم الفساق
و الفجار الذين ارتكبوا الذنوب من الكبائر ، فلا شفاعة فى حق الكفار
قد قال الله سبحانه و تعالى : إنه من يشرك بالله فقد حرم الله
عليه الجنة و ما واه النار ، و ما للظالمين من أنصاره ، (١) و قال
فى موضع آخر : ما كان للنبي و الذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين

(١) سورة آل عمران .

ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم، (١).
 فان النصوص في هذا الأمر واضحة بأن المشركين لا يغفر لهم
 و لذلك أريد من شفاعة الحفاظ أو تلك المسلوبون الذي وجب
 دخولهم في النار بمعاصيهم ، فيجب على كل من يريد العتق من النار
 إذا لم يكن حافظاً للقرآن ، أو لا يقدر على حفظه أن يسعى إلى
 أن يحفظ القرآن أحد أقربائه على الأقل ، لكي يستطيع أن
 ينجو بفضل من العتاب على ذنوبه و سيئاته ، وما أكبر فضل الله
 على الانسان (٢) الذي والده و عمه و جده و خالم جميعهم حافظون
 للقرآن « اللهم زد فرد » .

[١٤] عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله
 ﷺ تعلموا القرآن ، فاقرووه فان مثل القرآن لمن تعلم فقرأ و قام
 به كمثل جراب محشو مسكا ، تفوح ريحه كل مكان ، و مثل من
 تعلمه فرقد و هو في جوفه كمثل جراب أو كئى على مسك .

(رواه الترمذى و النسائى و ابن ماجه و ابن حبان)

يعنى الحديث أن الذى قرأ القرآن و اهتم به ، و تلاه في
 صلوات الليل ، فثله مثل الجراب المحشو بالمسك الذى تفوح رائحته
 في كل مكان ، فاذا نام هذا الحفاظ أو لم يقدر على قراءته بغفلته ،

(١) سورة التوبة (٢) حضرة الشيخ محمد زكريا مؤلف الكتاب.

فإن القرآن الذى فى صدورهم هو المسك ، إلا إن هذه الغفلة سببت
فى حرمان الآخرين من رائحته ، و على أى حال إن قلبه يحوى
هذا المسك .

البيت الخرب

[١٥] عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال قال رسول الله ﷺ :
« إن الذى ليس فى جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب » .

(رواه الترمذى وقال هذا حديث صحيح
و رواه الدارمى و الحاكم و صححه)

إن فى تشبيه القلب بالبيت الخرب نكتة لطيفة و هى أن البيت
إذا خلا من السكان يسكنه الجر و العفارىت ، و هكذا القلب
إذا خلا من القرآن ، فيزداد عليه تسلط الشياطين ، و يحث هذا
الحديث على حفظ القرآن و يؤكده ، فوصف القلب الذى لا يحفظ
شيئاً من القرآن بأنه بيت غير معمور ، وقال أبو هريرة - رضى الله
عنه - إن البيت الذى يتلى فيه القرآن ، اتسع بأهله و كثر خيره
و حضرته الملائكة و خرجت منه الشياطين . و إن البيت الذى
لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله و قل خيره و خرجت

منه الملائكة و حضرته الشياطين (١) و روى عن ابن مسعود -
رضى الله عنه - يروى البعض عن النبي ﷺ إن أصفر البيوت
يبت ليس فيه شئ من كتاب الله (٢)

[١٦] عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبي ﷺ قال قراءة
القرآن في الصلاة أفضل من قراءة القرآن في غير الصلاة ، وقراءة
القرآن في غير الصلاة أفضل من التسبيح و التكبير ، و التسبيح
أفضل من الصدقة ، و الصدقة أفضل من الصوم ، و الصوم جنة
من النار . (رواه البيهقي في شعب الايمان)

إن أفضلية التلاوة على الأذكار ظاهرة لأن القرآن كلام إلهي
و قد علم أن كلام الله أفضل من كلام الآخرين كفضل الله على
العباد ، ووردت روايات أخرى أيضاً تدل على فضل ذكر الله
على الصدقة ، وفضل الصدقة على الصوم كما يتضح من هذه الرواية
إلا أنه وردت أيضاً روايات أخرى يبدو منها فضل الصوم ، و
لكن ذلك يرجع إلى أحوال مختلفة ، ففي بعض الظروف يكون
الصوم أفضل و في الأخرى الصدقة أفضل ، حسب أحوال الناس
و بالنسبة لبعض الناس الصوم أفضل ، و حيث إن الصوم جنة من
النار و هو آخر ما ذكر في هذه الرواية ، و اعتبر أدنى درجة ،

(١) الاحياء ، فضائل القرآن ، (٢) تلخيص المستدرک .

فا تكون إذا درجة قارىء القرآن الذى ذكر أولاً ، وتقل صاحب
الاحياء عن على - كرم الله وجهه - إن الذى قرأ القرآن و هو
قائم فى الصلاة فانه سيجزى على كل حرف بمائة حسنة و الذى
قرأه قاعداً فى الصلاة فانه يجزى بخمسين حسنة ، و من قرأه
خارج الصلاة متوضئاً يجزى بخمس و عشرين حسنة ، و من قرأه
بدون وضوء بعشر حسنات ، و من لا يقرأ بل ينصت إلى من
يقرأ القرآن فانه يجزى على كل حرف بحسنة ،

[١٧] عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله
ﷺ : «أوجب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجرد فيه ثلاث خلفات
عظام سمان ، قلنا نعم ، قال : ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم فى
صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان ، (رواه مسلم)
و قد سبقت رواية فى مثل هذا المعنى فى حديث (رقم ٣)
وحيث إن هذا الحديث يذكر قراءة القرآن فى الصلاة وهى أفضل
من القراءة فى غير الصلاة فشبهت بالخلفات العظام السمان ، وحيث
إن هناك عبادتين ، الصلاة و التلاوة ، فكان الجزاء عليها بالناسخ
وجملها وقد ذكرت فى شرح حديث (رقم ٣) أن المراد من مثل
هذه الأحاديث هو التمثيل فقط ، وإلا فان أجر آية واحده خير
من ألف ناقة فانية .

القراءة في المصحف

أفضل من القراءة في غير المصحف

[١٨] عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده قال قال رسول الله ﷺ قراءة الرجل القرآن من غير المصحف ألف درجة و قراءته في المصحف تضعف على ذلك إلى ألفي درجة .
(رواه البيهقي في شعب الإيمان)

سبق ذكر الفضائل التي تخص بحفاظ القرآن ، و إن فضل القراءة في المصحف على القراءة في غير المصحف الذي جاء في هذا الحديث يرجع إلى ازدياد التدبر والتفكر فيه علاوة على ما يتضمن ذلك من عدة عبادات أخرى من النظر في القرآن و مسه ، وغير ذلك ، فأعتبر ذلك من الأفضل ، و لما أن الروايات تختلف في مفاهيمها ، اختلف العلماء في تفضيل القراءة في المصحف ، والقراءة بدون المصحف ، فترى جماعة منهم أنه بموجب الحديث المذكور أعلاه و باعتبار أن القراءة في المصحف مأمونة من الخطأ فان القراءة في المصحف أفضل ، و إن الجماعة الأخرى منهم التي تضع الأحاديث الأخرى بالاعتبار ترى أن القراءة بدون المصحف ، تزيد الخشوع ، وتجنب الرياء ، وقد كانت عادة النبي ﷺ الشريفة

أن يقرأ من حفظه ، فتعتقد هذه الجماعة أن القراءة من الحفظ أفضل ، و قضى الامام النووي رحمه الله في هذه المسألة أن الفضيلة هي باعتبار الرجال وأحوالهم ، فلبعض القراءة من المصحف أفضل ، إذا كانت القراءة فيه تزيد خشوعاً و تدبراً فيه وتفكيراً ، و من يحصل له التدبر في القرآن بالقراءة حفظاً ، فالأفضل له أن يقرأ من حفظه .

و أثر الحافظ ابن حجر - رحمه الله - من فتح الباري هذا التفصيل و ذكر أن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - كان يكثر القراءة في المصحف ، ففرق مصحفين ، و ذكر صاحب شرح الاحياء قلا عن عمرو بن مأمون : « من نشر مصحفاً حين يصلى الصبح قرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا . » و قيل إن قراءة القرآن في المصحف تفيد البصر ، و روى أبو عبيدة حديثاً مسلسلاً روى فيه كل راوٍ فيه إنه كان يشكو عينه فصحه أستاذه بالقراءة في المصحف ، و كان الامام الشافعي يفتح المصحف للقراءة أحياناً بعد العشاء و كان يطبقه عند صلاة الفجر .

ذكر الموت و تلاوة القرآن جلاء للقلوب

[١٩] عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : إن هذه القلوب

۱۳۳۰ هـ ق

(۱) ...

...
...
...

(۱) ...
...
...
...

...

...
...
...
...
...

(...)

...
...

و لكن الموعظة و الدعوة تفيدان من نصت إليهما و يقبلهما ، و
ليكن الذى يهمل الدين كله و يحسب أن الدين يعترض فى سبيل
التقدم فمن ينصحه و كيف ينصحه ، و أنى له الذكرى ؟ .
وقال الحسن البصرى - رحمه الله - إنكم اتخذتم قراءة القرآن
مراحل و جعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحل ،
و إن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل
و نفذونها بالنهار . . .

القرآن شرف هذه الأمة وبهاؤها

[٢٠] عن عائشة - رضى الله عنها - قالت قال رسول الله ﷺ
إن لكل شئ شرفاً يتباهون به و إن بهاء أمتى و شرفها القرآن .
(رواه فى الخلية)

إن الناس يعززون و يتمجدون بأبائهم و أجدادهم وأسرتهم
و إن شرف و وسيلة افتخار هذه الأمة هو الكلام الالهمى و قرآته
و حفظه و تعلمه ، و العمل به ، بل كل ما يتصل به هو سبب
للافتخار ، و لم لا افتخار ككلام الحبيب ، و أمر السيد و المولى
فلا يساوى فى هذا الشرف أكبر شرف الأرض ثم إن جميع
الكلمات و أسباب الشرف الدنيوية زائلة يوماً أو عاجلاً ولكن

شرف القرآن شرف دائم و خالد لا ينهى ، و يكفى كل وصف
مهما صغر ، من أوصاف القرآن للافتخار ، فضلا عن كونه جاهماً
و كاملاً للأوصاف المتعددة ، مثل حسن التأليف ، حسن السياق ،
و تناسب الألفاظ ، و ارتباط الكلام ، و الاعلام بالأحداث
الماضية و القادمة ، و لوم الناس بما لا يستطيعون أن يكذبوه ولو
أرادوا ذلك ، كعدم استطاعة اليهود لقتى الموت رغم دعواهم للحجة ،
و تأثر الناس بما يسمعون و عدم سامة من القراءة ، فان تكرار
أى كلام مهما كان محبباً إلى القلوب مثل رسالة الحبيب الذى يفتن
به ، يورث الكلل فى النفس إذا قرئت عشر أو عشرين مرة ، أو
أربعين مرة على الأكثر ، فانه لا محالة يكل و يسم منها ، ولكن
خذ أى مجموع آيات من القرآن ، و اقرأه مائة مرة أو أربع مائة
مرة ، ثم واطب على تلاوته طول حياتك ، فلا تكل ولا تمل ،
و إذا اعترض شئ فانه سيكون مؤقتاً ، و سيزول قريباً ، و كلما
كثرت من قرأته تجددت لك الطراوة ، و الحلاوة ، و اللذة ،
و هذه هى الأمور التى إذا وجد وصف واحد من أوصافها فى
أى كلام ، و لم توجد بكاملها ، فانه سيكون مبعث افتخار ، و
مدعاة للغيرة ، فاذا وجد فى كلام جميع هذه الصفات على وجه
الكامل ، فكم يكون هذا الكلام باعثاً على الافتخار و معجزاً ؟

فلنفكر بعد ذلك في أحوالنا المحنة . فكم منا من يفخر بكونه من حافظ القرآن أو ينظر إلى حافظ القرآن بعزة و شرف ، فانا نفتخر و تنباهى بالشهادات العلمية العالية والألقاب والعظمة الدنيوية و حياتها ، و المتاع الذى يسلبه الموت ، فالى الله المشتكى .

التلاوة نور فى الأرض و ذخر فى السماء

[٢١] عن أبي ذر - رضى عنه - قال قلت يا رسول الله أوصنى قال عليك بتقوى الله ، فانه رأس الأمر كله ، قلت يا رسول الله زدنى قال عليك بتلاوة القرآن ، فانه نور لك فى الأرض و ذخر لك فى السماء . . (رواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث طويل)

إن التقوى فى الحقيقة أساس لجميع الأمور ، فاذا وجد فى أى قلب خوف الله لا يصدر منه معصية و لا يواجه أى نوع من العسر والضيق . ومن يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحسب . .

علم من الروايات السابقة أن التلاوة نور ، و قد ذكر فى شرح الاحياء عن أبي نعيم أن باسطاً ذكر عن النبي ﷺ أن البيوت التى يتلى فيها القرآن الكريم ، تلمع لأصحاب السماء كما تلمع لأصحاب الأرض كواكب السماء و قد ذكر هذا الحديث فى الترغيب وغيره

من الكتب الأخرى إلى هذا الحد ، ولكنه حديث مختصر ، أما أصل الرواية فإنها طويلة ذكرها الملا علي القاري عن ابن حبان وغيره من المحدثين بالتفصيل ، و نقلها السيوطي باختصار و لو أن هذا الجزء من الحديث يناسب هذا الموضوع الذي يعنى به هذا الكتاب إلا أن الحديث بكامله هام و مفيد ويشتمل على مواضع هامة فنقل الحديث بكامله .

• عن أبي ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم قال: كانت أمثالا كلها، أيها الملك المسلط المبطل المغرور إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثك لتردعنى دعوة المظلوم فإني لا أردما و لو كانت من كافر ، يقول العبد الفقير إن رسول الله ﷺ كان عندما يؤمر أحداً من أصحابه أو يستعمله ينصحه بين نصائح أخرى • و اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، •

و على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ثلاث ساعات يناجى فيها ربه، ساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها من صنع الله تعالى، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب ، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا ثلاث، تزود لمعاد أو لمرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم ، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه

مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه ، و من حسب كلامه من عمله قل
كلامه إلا فيما يعنيه ، قلت يا رسول الله فما كان صحف موسى ؟
قال « كانت عبراً لكليهما » .

عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن أيقن بالنار
ثم هو يضحك ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجبت لمن
رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها ، عجبت لمن أيقن بالحساب
غداً ثم لا يعمل .

قلت : يا رسول الله أوصني ، قال : « أوصيك بتقوى الله
فإنها رأس الأمر كله » قلت يا رسول الله زدني ، قال « عليك
بتلاوة القرآن و ذكر الله تعالى فإنه نور لك في الأرض و ذخرة
لك في السماء » . قلت يا رسول الله زدني ، قال « إياك و كثرة
الضحك فإنه يميم القلب و يذهب بنور الوجه » .

قلت يا رسول الله زدني ، قال « عليك بالجهاد فإنه رهبانية
أمتي » قلت يا رسول الله زدني ، قال « أحب المساكين و جالسهم »
قلت يا رسول الله زدني ، قال « انظر إلى من هو تحتك و لا تنظر
إلى من هو فوقك ، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك »
قلت يا رسول الله زدني ، قال « ليردك عن الناس ما تعلمه من
نفسك و لا تجرد عليهم فيما تأتي و كفى بك عيباً أن تعرف من الناس

تجهلهما من نفسك و تجد عليهم فيما تأتي ، ثم ضرب يده على
صدرى ، فقال يا أبا ذر ، لا عقل كالنديير و لا ورع كالكف
و لا حسب كحسن الخلق ، (١) .

تلاوة القرآن ودراسته تجلب السكينة والرحمة

[٢٢] عن أبي هريرة - رضى الله عنه - إن رسول الله ﷺ
قال : ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله . يتلون كتاب الله
و يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة و عشيتهم الرحمة و
حفهم الملائكة وذكروهم الله فىمن عنده . (رواه مسلم وأبو داود)
وردت فى هذا الحديث فضيلة الكتائب و المدارس بصفة
خاصة التى تشمل أنواعاً كثيرة من الأكرام ، و كل نوع من هذا
الأكرام يبلغ من الأهمية مبلغاً يكون رخيصاً إذا حصل بتضحية
الحياة بكاملها ، فضلا عن الحصول على نعم متعددة مثله ، و خاصة
الفضيلة الأخيرة وهى ذكر الله فىمن عنده ، فهو نعمة من نعم الله
التي لا يمكن أن يقارن بها أى شئ آخر .

و ورد ذكر نزول السكينة فى الروايات المتعددة ، و قد
ذكرت فى تصديقه أقوالاً متعددة للحدثين ، و لا يوجد فيه خلاف

(١) المرقاة .

يثبت به التعارض بل إنه يمكن أن يراد به مجموعة جميع الأقوال ،
فروى عن علي - كرم الله وجهه - في السكينة أنه ربح خاصة
وجها مثل وجه الانسان ، و روى العلامة سدي - رحمه الله -
أنه اسم لطاسة في الجنة ، مصنوعة من الذهب تغسل فيها قلوب
الأنبياء ، و قال بعض إنها رحمة خاصة ، و قد آثر الطبري أن
المراد منها سكينة القلب ، و قال آخرون أن المراد بها الطمأنينة ،
و فسرها الآخرون بالوقار ، و قال البعض إنها الملائكة ، و فيها
أقوال أخرى ، و قال الحافظ في فتح الباري : إن السكينة تنطبق
على الجميع ، و يرى النووي إنها شئ يجمع الطمأنينة و الرحمة ،
و تنزل مع الملائكة ، و قد جاء في القرآن الكريم « فَأَنْزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، و قال في موضع آخر « هو الذي أنزل السكينة في
قلوب المؤمنين ، و في موضع آخر « فيه سكينة من ربكم ، ووردت
عدة آيات في ذكرها و بشرت عدة روايات بها .

و حكى صاحب الاحياء أن ابن ثوبان - رضی الله عنه -
وعد أحد أقربائه بأن يفطر معه ، ولكنه وصل في اليوم الثاني
عند الصبح ، فشكى قريبه إليه فقال لولم أكن وعدتك به لما قلت
لك ، ما كان المانع ، فقد تأخرت بغير قصد ، حتى جاء وقت
صلاة العشاء ، فدار بخلدي أن أصلي الوتر مع صلاة العشاء ، لأن

الموت ليس ليطمئن به ، لعل أموت في الليل ، فنفوتني و إذ كنت
أقرأ دعاء القنوت ، رأيت حديقة خضراء في الجنة ، كان فيها كل
نوع من الزهور ، فشغلت بها حتى أصبحت ، و قد رويت مائة
من مثل هذه القصة التي تذكر أحوال الصالحين ، و لكنها تظهر
فقط عندما يتم الانقطاع عن ماسوى الله ، و تتم الانابة إليه وحده .
تفيد روايات متعددة بحف الملائكة فوردت قصة مفصلة لأسد
بن حضير - رضى الله عنه - في كتب الحديث أنه أحس عند
تلاوة القرآن كأن ظلة تخيم عليه ، فقال النبي ﷺ تلك الملائكة دنت
بصوتك ، فكانت الملائكة لكثرة الازدحام تبدو مثل السحابة ، و
أحس صحابي آخر بسحابة ، فقال النبي ﷺ إنها السكينة ، أى الرحمة
التي تنزل للقرآن ، و قد ذكر صحيح مسلم هذا الحديث بمزيد من
التفصيل ، و فيه مواضع أخرى ، وفي ختام الحديث أضيفت هذه
الجملة ، من بطأ به هممه لم يسرع به نسبه ، فان أى صاحب نسب
شريف متورط في الفسق و الفجور لا يستوى في أى حال من
الأحوال هو و مسلم رذيل و منحط النسب . إذا كان صالحاً و
تقياً ، إن أكرمكم عندكم الله أتقاكم .

أفضل ما يتقرب به إلى الله

[٢٣] عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ إنكم لا ترجعون إلى

الله بشئ أفضل مما خرج منه يعنى القرآن .

(رواه الحاكم وصححه أبو داؤد ، فى مراسيله عن

جبير بن نفير و الترمذى عن أبى أمامة بمعناه)

تأكد من عدة روايات أنه لا يتقرب العبد إلى الله تعالى

بشئ أكثر مما يتقرب منه بالقرآن الكريم ، و قال الامام أحمد

بن حنبل « رأيت الله عز وجل فى المنام فقلت يارب ما أفضل

ما تقرب به المتقربون إليك فقال بكلامى يا أحمد ، قال قلت بفهم

أو بغير فهم ، قال بفهم أو بغير فهم ، (١) . فان كليهما موجب

للتقرب ، إن توضيح هذا الحديث الشريف و شرح كون التلاوة

أقرب و أفضل طريق للوصول إلى الله سبحانه مستنبط من تفسير

بقية السلف حجة الخلف الشيخ عبد العزيز الدهلوى بن الشيخ ولى

الله الدهلوى - نور الله مرقدهما - و حاصله أن السلوك إلى الله

أى مرتبة الاحسان هى استحضار الله سبحانه و تعالى فى القلب

والذى يمكن حصوله بثلاثة طرق (الأول) التصور الذى يعرف فى

(١) إحياء علوم الدين .

عرف الشرع بالتفكير والتدبر ، وعند المشايخ بالمراقبة (الثاني) ذكر
 اللسان (الثالث) تلاوة القرآن الكريم، وحيث إن الطريقة الأولى هي
 ذكر القلب فبقى طريقان: أولها الذكر العام، سواء كانت ذكراً قلبياً
 أو لسانياً، والثاني، التلاوة فكل لفظ يطلق على الله سبحانه وتعالى
 و يكرر مرات ، و هو حاصل الذكر ، فإنه يسبب في التوجه و
 الالتفات إلى هذه الذات للدركة فكأن هذه الذات تكون مستحضرة
 و الاستحضار الدائم هو المعية ، و هي التي يعينها هذا الحديث
 القدسي « لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبته فكنت
 سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها .
 (الحديث) يعنى الحديث الشريف ، أن العبد إذا تقرب إلى الله
 بكثرة العبادة فيصبح الله تعالى حامى أعضائه و تصحح الأذن والعين
 و غيرهما من الأعضاء الأخرى تبعاً له ، و ذكر كثرة التطوع
 من العبادات لأن العبادات المقروضة محدودة و معينة فلا يمكن أن
 يضاف إليها أو يزداد فيها ، والشرط في ذلك هو دوام الاستحضار
 كما علم ، و لكن هذه الطريقة للتقرب خاصة لذات ذلك الحبيب
 وحده فإذا أراد أحد أن يسبح لأحد غيره ثم يحصل له ذلك
 التقرب فهو مستحيل ، لأنه يشترط لمثل هذا التقرب أن يوجد
 فيمن يراد التقرب إليه شيئان، أحدهما أن يكون عليه محبطاً لأذكار

الذاكرين القلبية و اللسانية و لو ذكره في مختلف الأزمان و مختلف
الأوقات ، و الثاني أن يكون قادراً على التجلي في إدراك الذاكر
و شغله ، و حيث إن هذين الشرطين لا يتوافران إلا في هذا
وحده ، فلا يمكن حصول التقرب بالطريق المذكور إلا بهذه
الذات ، و إليها يشير الحديث المذكور « من تقرب إلى شبراً
تقرب إليه ذراعاً (الحديث) إن هذه التشبيهات كلها للتفهم فقط
و إلا فإن الله سبحانه و تعالى متبرئ عن المشى و غير ذلك من
الأعمال الأخرى ، فالمقصود من ذكر هذه التمثيلات الاظهار أن
الله سبحانه و تعالى يتوجه و ينزل إلى من يذكره و يلتصقه أكثر
من طلبهم و سعيهم و لم لا يشرفهم بنزوله فإنه اقتضاء لكرم الكريم
فاذا كان في ذكر الذاكرين دوام، كان في توجه و نزول المولى الكريم
دوام ، و لما أن الكلام الالهي ذكر كلياً و لا تخلو آية من آياته
من الذكر و التوجه إلى الله فوجدت هذه الصفة فيه أيضاً ، ولكنه
يتميز بصفة خاصة و تزيد التقرب و هي أن كل كلام يحمل فيه
صفات المتكلم و أثره و بما يشاهد أن تكرار أشعار الفساق و الفجار
تحدث أثراً خاصاً ، و أشعار الأتقياء البررة تحدث آثاراً أو ثماراً
أخرى ، و لذلك يحدث الغلو في دراسة المنطق و الفلسفة في القلب
النخوة و الكبر و تحدث كثرة مزاوله الحديث الشريف التواضع

و يتساوى في ذلك الفارسية و الانجليزية من حيث اللغة ، و لكن المصنفين الذين تدرس كتبهم يخلفون آثاراً مختلفة على الدارسين من حيث اختلافهم فتترتب ثمارها عليهم، و خلاصة القول إن الكلام يحمل آثار المتكلم فلا بد من أن يؤلف تكرار الكلام الالهي و إعادته آثار متكلمه في قلب القارى ، و المناسبة الطبيعية معه ، ثم إن من عادة كل مصنف أن يميل طبعاً إلى من يهتم بتأليفه و يلتفت إليه بجراء جلته ، فمن البديهي إذاً أن تميل العناية الالهية إلى من يردد الكلام الالهي و يتدارسه و هو في حد ذاته سبب للتقرب ، و ليرزقني الله المولى الكريم و إياكم هذا اللطف الكريم .

أهل القرآن

[٢٤] عن أنس - رضی الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ
إن لله أهليين من الناس ، قالوا من هم يا رسول الله ، قال أهل
القرآن هم أهل الله و خاصته ، .

(رواه النسائي و ابن ماجه و الحاكم و أحمد)

إن أهل القرآن هم الذين يشتغلون بالقرآن و دراسته كل وقت
و يخصصون به ، فالظاهر اعتناهم أهل الله و خواصه ، و قد تبين ذلك
من البحث السابق أنهم في حين اشتغالهم الأبدى بكلام الله يجعلون

لهم الألفاظ الالهية ، و كل من يجالس أحداً ويرافقه يعتبر من أهله و خواصه ، فهل هناك شرف أعلى من هذا الشرف أنهم يجهد قليل منهم يصحون أهل الله و يعدون عياله و ينالون شرف خواصه ، فكم يبذل الانسان من مجهود ، و يتحمل من تعب ، و مكروه ليدخل البلاطات الدنيوية و ينال العضوية فيها ، و كم من التضحيات المالية و الجسدية تبدل لنيل هذا الشرف الضئيل الفاني ، فلا يتردد في مدهانته و مجاملة الناخبين ، و لومة اللائمين ، و الاهانات و الذلة ، و يعتبر ذلك شرفاً و رفعة ، و يعتبر الجهد و الجهد في دراسة القرآن عملاً تاماً لا يجدى فشتان بين الثرى و الثريا .

[٢٥] عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ ما أذن الله لشئى أذن النبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن و يجهر به . (رواه البخارى و مسلم و اللفظ له ، و أبو داؤد و النسائى و الترمذى)

علم أن الله تبارك و تعالى يخص القرآن بعنايته ، و حيث إن الأنبياء يبالبغون بمراعاة آداب التلاوة بين القارئ فالظاهر أن الله تعالى يلتفت إليهم بوجه خاص فاذا أضيف إليه تحسين الصوت يضاعف له الأجر و العناية الالهية ، و بعد الأنبياء يلتفت إلى من

يلونهم في الفضيلة باعتبار الأفضل فالأفضل .

[٢٦] عن فضالة بن عبيد قال قال رسول الله ﷺ : لله أشد

أذناً إلى قارىء القرآن من صاحب القينة إلى قينته .

(رواه ابن ماجه و ابن حبان و الحاكم ، كذا
في شرح الاحياء ، قلت : و قال الحاكم صحيح على
شرطهما ، و قال الذهبي منقطع)

و من الطبيعي أن يلتفت المرء إلى صوت الغناء ، و لكن لا
يلتفت إليه المتدينون لأن الدين ينهى عنه ، و إذا كانت المغنية جارية
ملوكة لأحد ، فلا حرج في سماع غنائها له شرعاً ، فإلتفت إذاً إليه
التفاناً كلياً ، إلا أنه ينبغي عند قراءة القرآن أن لا يتلوه أحد
بصوت أشبه بالغناء ، و قد ورد في الحديث الشريف ما ينهى عنه ،
ففي حديث « إياكم و لحون أهل العشق » و قال المشايخ : إن
القارىء يمثل هذا الحق فاسق ، و السامع عاص ، و لكن إذا
قرئ بدون الاعتناء بقواعد الغناء و مراعاتها ، بصوت حسن فهو
مطلوب و مرغوب فيه .

و قد حثت عدة أحاديث على القراءة بحسن الصوت لجاء في
رواية « زينوا القرآن بأصواتكم » ، (١) .

(١) عن البراء بن عازب ، رواه أحمد و أبو داؤد كما في المرقاة .

و ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني - رحمه الله - في الغنية :
• روى أن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - مر ذات يوم
في موضع من نواحي الكوفة ، و إذا الفساق قد اجتمعوا في دار
رجل منهم و هم يشربون الخمر و معهم مغن يقال له زاذان ، كان
يضرب بالعود و يغنى بصوت حسن ، فلما سمع ذلك عبد الله بن
مسعود قال : ما أحسن هذا الصوت ، لو كان بقراءة كتاب الله
تعالى كان أحسن ، و جعل رداءه على رأسه ففضى ، فسمع ذلك
الصوت زاذان ، فقال من هذا ؟ قالوا : كان عبد الله بن مسعود
صاحب رسول الله ﷺ ، قال وإيش قال ، قالوا : قال: ما أحسن
هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله كان أحسن ، فدخلت الهيبة
في قلبه ، وقام وضرب بالعود على الأرض ، فكسره ، ثم أدركه ،
و جعل المنديل على عنق نفسه ، و جعل يبكي بين يدي عبد الله ،
فاعتقه عبد الله و جعل يبكي كل واحد منهما ، ثم قال عبد الله :
كيف لا أحب من أحب الله ، فتاب من ضربه بالعود ، و جعل
ملازماً عبد الله ، حتى تعلم القرآن و أخذ الحظ الوافر من العلم
حتى صار إماماً في العلم ، (١) .

و خلاصة القول أن وردت عدة روايات في التوبه بالتلاوة

(١) المرقاة .

بحسن الصوت ، و في نفس الوقت تمنع هذه الروايات من التلاوة بصوت غنائى ، كما سبق ذكره .

قال حذيفة قال النبي ﷺ : « اقرأوا القرآن بلحون العرب و أصواتها ، و إياكم و لحون العشق و لحون أهل الكتائب ، و سيجئى بعدى قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء و النوح و لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم و قلوب الذين يعجبهم شأنهم » (١) .
و يقول الطائوس - رحمه الله - : سأل أحد رسول الله ﷺ كيف قارىء القرآن بصوت حسن ، فقال : « إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن إذا سمعتموه يقرأ حسبتهموه يخشى الله » (٢) .
يعنى تشعر بالرعب بقراءته .

من أنعم الله على الإنسان أنه لا يكلف إلا بوسعه . و قد ورد في الحديث الشريف « ملك موكل بالقرآن فن قرأه من أعجمى أو عربى فلم يقومه قومه الملك ثم رفعه قواما » .
(الشيرازى فى الألقاب عن أنس ، جامع الصغير ص ١٣٨ ج ٢)
اللهم لا أحصى ثناء عليك .

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان « المرقاة » (٢) رواه ابن ماجة .

حقوق القرآن وتلاوته

[٢٧] عن عبيدة الملقى قال قال رسول الله ﷺ : « يا أهل القرآن لا تتوسدوا القرآن ، و اتلوه حق تلاوته من آناه الليل والنهار و افشوه و تغنوه و تديروا ما فيه لعلمكم تفلحون ، ولا تعجلوا ثوابه ، فان له ثواباً » . (رواه البيهقي في شعب الایمان)
يتضمن الحديث عدة أمور يجب رعايتها .

١ - لا تتوسدوا القرآن ، و لعدم التوسد مفهومان ، أحدهما أن التوسد خلاف للآداب و الاحترام ، و ذكر ابن حجر أن التوسد بالقرآن و مد الرجل إليه و استدباره و دوسه و غير ذلك من سوء الأدب ، حرام ، و المفهوم الثاني أنه كناية عن الغفلة كما يوضع القرآن فوق الوسادة للبركة ، أو كما يشاهد في بعض المقابر أن القرآن يوضع على وسادة أو كرسي مقبلا للقبر ، فإنه إساءة إلى القرآن لأن حقه التلاوة .

٢ - « و اتلوه حق تلاوته » أي كثرة التلاوة بمراعاة آدابها ، فقد أشار إليه القرآن نفسه فقال : الذين آتيناكم الكتاب يتلونه حق تلاوته ، فيجب أن يقرأ بغاية من الاحترام و الأدب و المحبة كما يقرأ أمر سلطان أو رسالة حبيب .

٣- « و افشوه ، أى بالحطاب و الكتابة ، و الرغبة فيه ،
و الاشتراك العمل ، و بكل طريق يمكن لانشائه و نشره ، إن
النبي ﷺ يأمر بافشاء القرآن و نشره ، و لكن المتورين في هذا
العهد و التقديمين يهملونه و يتجاهلونه ، ثم لا ينجحون في دعواهم
المتطاولة بحب الرسول و حب الاسلام .

إن الله تعالى يأمر بنشر كلامه و نحن نضع عقبات في سبيله
و لا نألو جهداً في الصد عنه ، فساعد في تنفيذ قوانين التعليم
الاجبارى لكي يلتحق أطفالنا بالمدارس الابتدائية ، و نسخت على
أن معلى المكاتب الاسلامية البدائية يضيعون أعمار أطفالنا فلا ترضى
بارسال أطفالنا إليهم ، و لنفرض أنهم مقصرون في مجهوداتهم
و لكن هل يتقدمكم تقصيرهم عن المسؤولية أو يرفع عنكم فريضة نشر
القرآن ، ففي مثل هذه الظروف تعود المسؤولية إليكم فلا بد أن
تحملوها و سيكونون مسؤولين عن تقصيرهم وإهمالهم ، ولكن عملهم
لا يبرر نقل الأطفال عن المكاتب القرآنية إلى المدارس الرسمية
الابتدائية ، فتصدر إنذارات إلى الوالدين لارغامهم على تحويل
أطفالهم من التعليم القرآنى و حفظ القرآن ، و في هذه الصورة
يعود وبالهم إليكم ، أليس ذلك بمثابة معالجة السل بالسم ، فتدبروا
هل يحمل جوابكم أى وزن يوم القيامة إذ تقولون أنكم سحتم

الأطفال عن دراسة القرآن قهراً لأن المعلمين في المكاتب كانوا لا يحسنون التعليم ، و كانوا مقصرين فيه .

إن تعليم ثلاثة الأرباع لمجرد الحصول على وظيفة رسمية أو للعمل في دكان تاجر أو يقال يحمل هذه الأهمية و يولى به هذا الاهتمام ، و يعامل تعليم القرآن بهذا الإهمال ، فتعليم القرآن عند الله أهم من أى تعليم آخر .

٤- « و تفنوا به » كما سبق في الحديث السابق .

٥- « و تدبروا ما فيه » نقل صاحب الأحياء عن التوراة .

« يا عبدى أما تستحي منى يأتيك كتاب من بعض إخوانك و أنت في الطريق تمشى ، فتعدل عن الطريق و تقعد لأجله ، و تقرأه و تدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شئ منه ، و هذا كتابي أنزله إليك أنظر كم فصلت فيه من القول ، و كم كررت عليك لتأمل طوله و عرضه ثم أنت معرض عنه ، أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك ، يا عبدى يقصد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك ، و تصفى إلى حديثه بكل قلبك ، فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو مات إليه أن كف ، و ها أنا ذا مقبل عليك و متحدث لك و أنت معرض بقلبك عنى ،

أجملنى أهون عندك من بعض إخوانك ، (١) .

و قد سبق الكلام عن التدبير فى المقدمة و فى شرح حديث

رقم ٨٠٠ .

٦- « و لا تعجلوا ثوابه ، فان له ثواباً ، أى لا تأخذوا

على التساوة أجراً ، لأن له أجراً عظيماً فى الآخرة ، فاذا أخذ

عليها أجر فى الدنيا فان مثله مثل من يشتري الودعات (٢) بالتقود

و قد قال ﷺ : إذا عظمت أمتى الدينار و الدرهم نزع عنها هيبة

الاسلام، و إذا تركوا الأمر بالمعروف حرموا بركة الوحي ، أى

فهم القرآن ، كذا فى الاحياء ، اللهم احفظنا .

[٢٨] عن واثلة رفعه « أعطيت مكان التوراة السبع و أعطيت

مكان الزبور المثين ، و أعطيت مكان الانجيل المثاني و فضلت باللفصل ،

(لآحمد و الكبير ، كذا فى جمع الفوائد)

تعرف السور الأولى فى القرآن بالطول ، ثم تآتى السور

الاحدى عشرة ، و تعرف بالمئين تتلوها عشرون سورة و هى المثاني

و بعدها إلى ختم القرآن يعرف باللفصل ، و هذا هو القول المشهور

و قد اختلف فى بعض السور هل تدخل فى الطول أو المئين أو

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢) مناقيف صغار تخرج من

البحر ، كان أهل الهند يستعملونها فى البيع و الشراء .

المثاني أو المفصل ، و لكن لا يؤثر هذا الاختلاف في مقصود الحديث الشريف ، فان المقصود منه أنه يوجد في القرآن الكريم نظائر جميع الكتب السماوية المنزلة المشهورة ، و إن المفصل في القرآن هو ميزة القرآن ، و لا يوجد له نظير في الكتب الأولى

هل تلاوة القرآن أفضل أم الاستماع إلى قراءة الآخر؟

[٢٩] عن أبي سعيد الخدري قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين ، و إن بعضهم ليستر ببعض من العرى ، و قارىء يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ ، فقام علينا ، فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارىء فسلم ، ثم قال : ما كنتم تصنعون ؟ قلنا نستمع إلى كتاب الله تعالى . فقال : الحمد لله الذى جعل من أمى من أمرت أن أصبر نفسى معهم ، قال فجلس وسطنا ليعدل بنفسه فينا ، ثم قال بيده هكذا فتعلقوا و برزت وجوههم له ، فقال : « أبشروا يا معشر صحابيك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة ، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمس مائة سنة . (رواه أبو داؤد)

و المعنى الظاهر للعرى « غير العورة » ، فان مجرد أى جزء آخر من الجسم غير العورة فى جمع من الناس يبعث على الخجل ،

و الحياء ، ولذلك كانوا يستترون لكيلا يبدو جسمهم ، و حيث
لأنهم كانوا مشغولين لم يظهر عليهم وصول النبي ﷺ ، فلما برز
رسول الله ﷺ و قام فيما بينهم ، علموا ذلك ، فسكت القارى .
وإنه تسامل النبي ﷺ كان كما يبدو إظهاراً لسروره و إلا
فانه كان قد رأى أنهم يقرأون ، إن يوم القيامة يساوى ألف سنة
• و إن يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون ، ولذلك يذكر يوم
القيامة حينما يذكر بـ « غداً » كما يظهر و يراد منه الغد ، و لكنه
كله باعتبار الغالب ، و عامة المؤمنين ، وقد ورد للكافرين « في يوم
كان مقداره خمسين ألف سنة » و لخواص المؤمنين يظهر هذا اليوم
قصيراً ، و قد جاء أنه يبدو لبعض المؤمنين مثل الوقت الذى تودى
فيه ركعتا الفجر .

إن فضائل قراءة القرآن كما ورد في الأحاديث كثيرة ، و
كذلك وردت فضائل الاستماع إلى القرآن في روايات كثيرة ، و
هل فضيلة أكبر من أن النبي ﷺ أمر بأن يشترك في مثل هذا
الاجتماع ، كما تدل عليه الرواية السابقة ، و قد أفتى بعض العلماء
أن الاستماع إلى القرآن أفضل من قرأته ، لأن قرأته تطوع ،
و سماعه فرض ، و الفرض أعلى من النفل .

يستنبط في هذا الحديث مسألة أخرى أيضاً ، و فيها خلاف

بين العلماء ، وهى أن الفقير الصابر على فقره الذى لا يظهر فقره على الآخرين ، خير أو الغنى الشاكر الذى يؤدى حقوقه ، فان الحديث المذكور يفيد بأفضلية الفقير الصابر .

[٣٠] عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة و من تلاها كانت له نوراً يوم القيامة .

(رراه أحمد عن عيادة بن ميسرة و اختلف في توثيقه عن الحسن عن أبي هريرة و الجمهور على أن الحسن لم يسمع عن أبي هريرة) .

تكلم المحدثون في هذا الحديث باعتبار سنده ، ولكن مضمون الحديث يتأكد من عدة روايات أخرى و هو أن سماع القرآن أيضاً يوجب أجراً كبيراً و حتى إن البعض قالوا إن سماعه أفضل من القراءة .

روى عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال له « اقرأ على القرآن » قال فقلت « اقرأ عليك ، و عليك أنزل » فقال « إنى لأشهى أن أسمع من غيرى » فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيداً » رفعت رأسى أو غمزنى رجل ، فرفعت رأسى

لله (١) رواه مسلم .

في الآية الأولى من سورة البقرة في قوله تعالى ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا مَنَاجِرُ وَلَا تَرْتَعِبُ فِيهَا مِنْكُمْ﴾ .
 في قوله تعالى ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا مَنَاجِرُ وَلَا تَرْتَعِبُ فِيهَا مِنْكُمْ﴾ .
 في قوله تعالى ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا مَنَاجِرُ وَلَا تَرْتَعِبُ فِيهَا مِنْكُمْ﴾ .
 في قوله تعالى ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا مَنَاجِرُ وَلَا تَرْتَعِبُ فِيهَا مِنْكُمْ﴾ .
 في قوله تعالى ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا مَنَاجِرُ وَلَا تَرْتَعِبُ فِيهَا مِنْكُمْ﴾ .
 في قوله تعالى ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا مَنَاجِرُ وَلَا تَرْتَعِبُ فِيهَا مِنْكُمْ﴾ .
 في قوله تعالى ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا مَنَاجِرُ وَلَا تَرْتَعِبُ فِيهَا مِنْكُمْ﴾ .
 في قوله تعالى ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا مَنَاجِرُ وَلَا تَرْتَعِبُ فِيهَا مِنْكُمْ﴾ .

(١) رواه البخاري في صحيحه .
 (٢) رواه الترمذي في صحيحه .

• في قوله تعالى ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا مَنَاجِرُ وَلَا تَرْتَعِبُ فِيهَا مِنْكُمْ﴾ .
 عن ابن عباس رضي الله عنهما [١٨]

في قوله تعالى ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا مَنَاجِرُ وَلَا تَرْتَعِبُ فِيهَا مِنْكُمْ﴾

• في قوله تعالى ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا مَنَاجِرُ وَلَا تَرْتَعِبُ فِيهَا مِنْكُمْ﴾ .
 رواه ابن عباس رضي الله عنهما .
 (١) رواه مسلم في صحيحه .

يستحب الاسرار بها ، و قد استدل كثير من العلماء على الاسرار
بالتلاوة من حديث الصدقة المذكور أيضاً ، و روى البيهقي في
شعب الايمان ، و لو أن الرواية باعتبار أصول المحدثين ضعيفة ،
عن عائشة - رضی الله عنها - : يفضل عمل السر على عمل العلانية
بسبعين ضعفاً ، (١) .

و روى جابر عن النبي ﷺ : لا يجهر بعضكم على بعض ،
فان ذلك يوذى المصلي ، رواه الخطيب عن جابر (كذا قال العراقي
في الباقوت) .

• سمع سعيد بن مسيب ذات ليلة في مسجد النبي ﷺ عمر
بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته ، وكان حسن الصوت فقال
لغلامه : اذهب إلى هذا المصلي فراه أن يخفض صوته ، فقال الغلام
إن المسجد ليس لنا ، و للرجل فيه نصيب ، فرفع سعيد صوته و
قال أيها المصلي إن كنت تريد الله بصلاتك فاخفضه و إن كنت
تريد الناس فانهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً فسكت عمر و خفف
ركعته ، (٢) .

و كذلك روى عن النبي ﷺ القراءة جهراً ، و في شرح
الاحياء روايات و أحاديث عن كليهما .

(١) أحاف السادة ج ٤ (٢) الاحياء .

الصيام و القرآن يشفعان

[٣٢] عن جابر عن النبي ﷺ: القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من جعله أمامه ، قاده إلى الجنة و من جعله خلف ظهره ساقطه إلى النار . (رواه ابن حبان والحاكم مطولا وصححه)

إن شفاعة القرآن مقبولة عند الله في حق من يشفع له و يوصل إلى الجنة من يحاج في حقه ، و قد سبق تفصيل ذلك في شرح حديث « رقم ٨ » ، أن القرآن يحاج عند الله في حق من يهتمون بأدابه لرفع درجاتهم ، و يطالب المقصرين في حقه بمحقوقه ، فيوصل من جعله أمامه أى اتبع القرآن و جعله دستوراً له ، إلى الجنة ، و من جعله خلفه أى لم يتبعه فان مصيره إلى النار ، و يرى هذا العبد أن الاعراض عن القرآن و عدم الاهتمام يمكن أن يدخل في مضمون الحديث ، فقد وردت عدة أحاديث وروايات تسذر من يهمل القرآن الكريم ، فقد جاء في الرواية الطويلة للبخارى التي تذكر زيارة النبي ﷺ بعض أحوال الجنة ومعاقبتهم ، قصة رجل كان يضرب رأسه بحجر بشدة كان رأسه يتشم ، و عندما سئل النبي ﷺ عنه قيل له إن الله تعالى علم هذا الرجل قرآنه فلم يتلوه في الليل و لا عمل به في النهار ، فيعامل كذلك إلى يوم

القيامه ، فليرحمنا الله و يحفظنا من عذابه بلطفه و كرمه فان القرآن
الكريم في الحقيقة نعمة عظيمة و كل عقاب على الالهال به قليل .
[٣٣] عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ الصيام
والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام رب انى منعته الطعام والشراب
في النهار فشغنى فيه و يقول القرآن رب منعته النوم بالليل فشغنى
فيه فيشفعان .

(رواه أحمد و ابن أبي الدنيا و الطبرانى في
الكبير و الحماكم و قال صحيح على شرط مسلم)

و في رواية الترغيب : « الطعام و الشراب ، و في الحماكم
الشهوات مكان الشراب ، أى منعته من الطعام في النهار والشهوات
في الليل ، و فيه إشارة إلى أنه يجب على الصائم الابتعاد عن
الشهوات النفسانية و لو أنه يجوز له مثل التقييل و العناق ، و تفيد
بعض الروايات بأن القرآن يأتى في شكل شاب ، و يقول أنا الذى
أيقظك في اللالى و أظمأك في النهار وكذلك يشير هذا الحديث إلى
أن يقتضى حفظ القرآن الكريم أن يقرأ في نوافل الليل ، و قد
سبق ذلك في شرح حديث « رقم ٧ » و يرغب فيه القرآن الكريم
نفسه في عدة مواضع ، فيقول في موضع « و من الليل فتهجد به
نافلة لك ، (الآية) » و من الليل فاجهد له و سبحانه ليلا

طويلاً ، (الآية) • يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ،
(الآية) • و الذين يدينون لرهبهم سجداً و قياماً (الآية) فكان النبي
ﷺ و الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - يقضون الليل بكامله
في تلاوة القرآن ، و روى عن عثمان - رضى الله عنه - أنه كان
في بعض الأحيان يقرأ القرآن بكامله في الركعة الواحدة لصلاة
الوتر ، و كذلك كان عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه - يختم
القرآن الكريم في ليلة واحدة ، و ختم سعيد بن جبير - رضى الله
عنه - القرآن كله في الركعتين في السكعة المشرفة ، و كان ثابت البناني
- رحمه الله - يختم القرآن في ليلة واحدة ، و كذلك الوحدة ،
و يقول أبو شيخ هنائي أنه ختم ختمتين و تلا عشرة أجزاء من
الثالث في ليلة واحدة ، و قال إنه كان يستطيع أن يختم الختمة
الثالثة و حج صالح بن كيسان فكان يختم في الطريق ختمتين في ليلة
واحدة ، و كان منصور بن زاذان يقرأ القرآن بكامله في صلاة
الضحى و ختمة أخرى بين الظهر . العصر ، و يقضى الليل بكامله
في النوافل من الصلاة ، و كان يبكي بكاءً تبثل به عمامته ، و كذلك
روى عن مشايخ آخرين كما ذكره محمد بن نصر - رحمه الله - في
قيام الليل •

عادات السلف في ختم القرآن

يقول صاحب شرح الاحياء أن عادات السلف في ختم القرآن كانت مختلفة فكان بعضهم يختم القرآن كل يوم ، مثل الامام الشافعي - رحمه الله - في غير رمضان ، وكان يختم بعضهم ختمتين كل يوم ، كما كان يفعله الامام الشافعي - رحمه الله - في رمضان المبارك ، و كذلك كانت عادة أسود و صالح بن كيسان و سعيد بن جبير - رحمهم الله - و جماعة مثلهم ، و كانت عادة بعض المشايخ ثلاث ختمات يومياً ، فكان سليم بن عثر و هو من كبار التابعين و كان قد اشترك في فتح مصر في عهد سيدنا عمر - رضى الله عنه - و أمره معاوية - رضى الله عنه - على القصص ، يختم القرآن ثلاث ختمات في كل ليلة ، و يقول الامام النووي في كتاب الأذكار : إن أكثر ما بلغنا من قدر التلاوة و هو ثمانى ختمات أربعاً في الليل و أربعاً في النهار للسيد الجليل ابن الكاتب - رضى الله عنه . و روى ابن قدامة - رحمه الله - عن الامام أحمد أنه يتوقف على نشاط القارى و ليس له تحديد ، و ذكر رجال التاريخ أن الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت - رحمه الله - كان يختم واحدة و ستين ختمة في رمضان المبارك ، ختمة في النهار ، و أخرى في

الليل ، و ختمة واحدة في الشهر من التراويح ، ولكن النبي ﷺ قال : من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه ، (١) فقال ابن حزم و غيره من العلماء أن ختم القرآن في أقل من ثلاثة أيام حرام .

أقول : إن هذا الحديث هو باعتبار الأكثر ، فقد ثبت من جماعة من الصحابة - رضى الله عنهم - القراءة في أقل مدة منها أيضاً ، و كذلك لا يحدد الجمهور أقصى المدة ، فليختم القرآن حسب المستطاع ، ولكن بعض العلماء يقولون أن لا يختم القرآن في أكثر من أربعين يوماً وحاصله أن يقرأ القرآن كل يوم ثلاثة أرباع الجزء ، فاذا فاتت القراءة يوماً لسبب من الأسباب العارضة، فليقض ما فات في اليوم التالي، ليكمل القرآن في أربعين يوماً ولو أنه ليس من الواجب عند الجمهور إلا أن بعض العلماء يرون أن الأحوط أن لا يزداد في هذه المدة ، و يؤيد ذلك أيضاً بعض الأحاديث فذكر صاحب المجمع حديثاً « من قرأ القرآن في أربعين ليلة فقد عذب » وأفقى بعض العلماء أنه ينبغي ختم القرآن مرة كل شهر ، و الأفضل أن يختم ختمة واحدة كل أسبوع ، لأنه روى

(١) الاحياء .

ذلك عامة عن الصحابة - رضوان الله عليهم - فبدأ يوم الجمعة و
يختم في سبعة أيام ، بعد الخميس و يقرأ كل يوم حزباً من
أحزاب القرآن .

وسبق قول الامام أبي حنيفة - رحمه الله - أن قراءة القرآن
في كل سنة مرتين إعطاء لحقه فلا يستحسن أن يقرأ أقل منه في
أى حال من الأحوال ، و في رواية : « إذا وافق ختم القرآن
أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح و إن وافق ختمه آخر
الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسي ، (١) فاستنبط منه بعض المشايخ
أن يختم القرآن في أيام الصيف في بدء النهار ، و في الشتاء في بدء
الليل ، لكي تتاح له أدعية الملائكة في أكثر الأوقات .

شفاعة القرآن

أقوى من شفاعة الأنبياء و الملائكة

[٣٤] عن سعيد بن سليم مرسلًا قال قال رسول الله ﷺ :
« ما من شفيع أفضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن ، لا
نبي و لا ملك و لا غيره » .

(قال العراقي رواه عبد الملك بن حبيب

كذا في شرح الاحياء)

(١) رواه الدارمي ، كتاب الأذكار للنووي ،

إن شفاعة القرآن و قوة شفاعته المقبولة مستفادة من عدة روايات أخرى ، فليرزقني الله تعالى ، وإياكم بفضل شفاعة القرآن لا يجعله حجة أو مدعياً علينا .

و روى في اللآلى المصنوعة عن البزار ولم يحكم عليه بالوضع أن قارى القرآن . إذا مات و كان أهله في جهاز ، جاء القرآن في صورة حسنة جميلة فوقف عند رأسه حتى يدرج في أكفانه ، فيكون القرآن على صدره دون الكفن فاذا وضع في قبره وسوى عليه و تفرق عنه أصحابه ، فأناه منكر و تكبير فيجلسانه في قبره ، فيجئى القرآن حتى يكون بينه وبينهما ، فيقولان له إليك حتى نسأله فيقول ، لا و رب الكعبة ، إنه لصاحبى و خليلى و لست آخذ له على حال ، فان كنتما أمرتما بشئ فامضيا لسا أمرتما ، و دعا مكانى فانى لست أفارقه حتى أدخله الجنة ، ثم ينظر القرآن إلى صاحبه فيقول : أنا القرآن الذى كنت تجمر بي و تخففونى (١) .

وكانت هذه الرواية طويلة تحوى فضائل عظيمة ، فاختصرتها خوفاً من التطويل .

[٣٥] عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال من قرأ القرآن فقد استدرج الله النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه ،

(١) اللآلى المصنوعة ص ١٢٥ .

لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، و لا يجمل مع
من جهل و في جوفه كلام الله ، ،

(رواه الحاكم و قال صحيح الاستاد)

لما أن الوحي انقطع بعد النبي ﷺ فلا ينزل الوحي على
أحد ، و لكن القرآن كلام الله بلا ريب ، و إنه علم النبوة ، و
إذا كرم الله أحداً بعلوم النبوة ، فلا بد له من أن يتخلق بأخلاق
عالية ، و يجتنب العادات السيئة ، و قد قال الفضيل بن عياض -
رضي الله عنه- أن حافظ القرآن هو حامل لواء الاسلام فلا يناسبه
أن ينغمس في اللهو واللعب ، أو يخالط الغافلين أو يكون مع العاطلين .
[٣٦] عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال قال رسول الله
ﷺ : ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر و لا يسئلمهم الحساب هم على
كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق ، رجل قرأ القرآن
ابتغاء وجه الله و أم به قوماً وهم به راضون و داع يدعو إلى الصلوات
ابتغاء وجه الله و رجل أحسن فيما بينه و بين ربه و فيما بينه و بين
مواليه ، . (رواه الطبراني في المعجم الثلاثة)

إن هول القيامة و شدة يومها و مصائبها لا تخفى على أي
مسلم و لا يجهلها قلب أي مسلم ، و إن أي ضمان لتخفيف هول
هذا اليوم و تهدئته نتيجة لعمل من الأعمال ، خير من ملايين

النعم و الراحة الأخرى ثم إذا كان ذلك مقروناً بالرفاهية والتنزه فهو السعادة العليا فهنيئاً لمن يفوز بين النعمة ، و الويل والحسران للجاهلين الذين يحسون ذلك اضاعة للوقت ، و يهملونه ، فقد روى في المعجم الكبير مثل هذا الحديث عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو أنه قال لو لا أني سمعت هذا الحديث من النبي ﷺ مرة و مرة و مرة و قال ذلك سبع مرات لما رويته .

[٣٧] عن أبي ذر - رضی الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من آيات كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ، و لأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلي ألف ركعة .

(رواه ابن ماجه باسناد حسن)

وردت أحاديث كثيرة في هذا المعنى أن التعلم وحصول العلم أفضل من العبادة ، و أن استيعاب الأحاديث الكثيرة التي وردت في فضائل العلم يصعب ، و خاصة في هذا المختصر . فقد قال النبي ﷺ « فضل العالم على العابد كفضلي أدناكم » ، و قال « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » ، (١) .

[٣٨] عن أبي هريرة - رضی الله عنه - قال قال رسول الله

(١) رواه ابن ماجه .

ﷺ من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين .

(رواه الحاكم و قال صحيح على شرط مسلم)

إن تلاوة عشر آيات لا تستغرق إلا بضع دقائق و أجرها الخروج من طائفة الغافلين ، فهل فضيلته أكبر من هذه الفضيلة .

[٣٩] عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله

ﷺ من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكتب من

الغافلين ، و من قرأ في ليلة مائة آية كتب من القانتين .

(رواه ابن خزيمة في صحيحه و الحاكم ،

و قال : صحيح على شرطهما .

و روى الحسن البصرى مرسلًا أن النبي ﷺ قال : « من

قرأ في ليلة مائة آية لم يحاجه القرآن تلك الليلة ، و من قرأ في ليلة

مأتى آية كتب له قنوت الليلة ، و من قرأ في ليلة خمس مائة إلى

ألف أصبح و له قنطار من الأجر . قالوا و ما القنطار قال انى

عشر ألفاً ، (١) .

[٤٠] عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال نزل جبرئيل عليه

السلام على رسول الله ﷺ فأخبره أنه ستكون قنن ، قال فما المخرج

(١) رواه الدارمى ، كذا في المشكوة .

منها يا جبرئيل قال كتاب الله .

(رواه رزين ، كذا في الرحمة الهداة)

إن العمل بكتاب الله ضمان للخروج من الفتن وإن بركة تلاوته أيضاً تنقذ من الفتن ، وقد سبق في شرح حديث « رقم ٢٢ » أن السكينة والرحمة تنزلان في البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويخرج منه الشياطين ، والمراد من الفتن خروج الدجال وفتنة التار ، وغيرها من الفتن الأخرى كما ذكرها العلماء .

وروى في المعنى المذكور حديث طويل عن علي -كرم الله وجهه- أنه قال : « قال يحيى بن زكريا : يا بني إسرائيل إن الله تعالى يأمركم أن تقرأوا الكتاب و مثل ذلك كمثل قوم في حصنهم سار إليهم عدوم و قد تبدو له في كل ناحية من نواحي الحصن قوم فليس يأتيهم عدوم من ناحية إلا وجد من يردم من حصنهم و كذلك من يقرأ القرآن لا يزال في حرز و حصن » .

(دارقطنى عن علي)

تذليل و تكميل

فصل في قراءة سور وردت فضيلتها و أمور أخرى يجب التنية إليها ، و نورد في هذا الفصل روايات زائدة على الأربعينة لأغراض تناسب المقام .

١- سورة الفاتحة :



عن عبد الملك بن عمير مرسلًا ، قال قال رسول الله ﷺ :
« في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء » .

(رواه الدارمي و البيهقي في شعب الايمان)

وردت في فضل سورة الفاتحة عدة روايات ، و فيها رواية جاء فيها : « أن صحابياً قام يصلي صلاة ، فدعاه النبي ﷺ فلم يجبه لأنه كان في الصلاة ، و عندما انتهى من صلاته ، انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : « ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك ؟ » فقال إني كنت في الصلاة ، فقال رسول الله ﷺ : « فلم تجد فيما أوحى الله إلي » يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله و للرسول إذا دعاكم لما يحبسكم ، ثم قال النبي ﷺ : « أخبرك عن أكبر سورة في القرآن (أي أفضلها) فقال هي سبع آيات في سورة الفاتحة و هي السبع المثاني و القرآن العظيم » .

وقال بعض العارفين « جميع ما في الكتب المتقدمة في القرآن ،
وجميعه في الفاتحة ، وجميعها في السجدة ، وجميعها تحت نقطة
الباء منطوية و هي على كل الحقائق و الدقائق محتوية ، (١) .

و يقولون في شرح ذلك ، أن الباء هنا للوصل ، و هو
المقصود الأعلى ، فكل شئ يدعو إلى الله والوصل معه ، وأضاف
البعض إليه قولهم « إن كل ما في الباء جاء في نقطتها وهي الوجدانية
لأن النقطة في الاصطلاح هي الشئ الذي لا يجزأ . و روى عن
المشايخ أن جميع المقاصد و الأهداف الدينية و الدنيوية قد تلخصت
في « إياك نعبد و إياك نستعين » .

و في رواية أخرى أن النبي ﷺ قال « و الذي نفسى بيده
ما أنزل الله في التوراة و لا في الإنجيل و لا في الزبور ، و لا
في القرآن مثلها ، و أنها سبع من المثاني و القرآن العظيم الذي
أعطيته ، (٢) .

ذكر المشايخ أن قراءة الفاتحة بالإيمان و اليقين شفاء لكل داء
سواء كان دينياً أو دنيوياً ، ظاهرياً أو باطنياً ، و إن تعليقه
مكتوبة ينفع أيضاً في الأمراض ، و ورد في الصحاح أن الصحابة

(١) المرقاة للإمام علي القاري (٢) رواه الترمذي روى الدارمي
من قوله ما أنزلت « المشكاة » .

رضوان الله عليهم أجمعين ، رَقُوا بِهَا مِنْ لَدَغْتِهِمْ الْحَيَّةَ وَالْعَقْرَبَ
وَالْمَصَائِينَ بِالصَّرْعَةِ وَالْمَجَانِينَ ، وَاجْتَازَهَا النَّبِيُّ ﷺ ، وَجَاءَ
أَيْضاً فِي رِوَايَةٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ عَلَى سَائِبِ بْنِ يَزِيدٍ أُمَّ الْكِتَابِ
وَاجْتَمَعَ بِرِاقَتِهِ وَتَقَلَّ عَلَى مَكَانِ الْوَجْعِ .

و فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ
عَبَّاسٍ فَاتَحَتْ الْكِتَابَ تَعْدَلُ بِثَلَاثِي قُرْآنٍ .

(تفسیر مظہری ج ۱ ص ۱۱)

و فِي رِوَايَةٍ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِذَا وَضَعْتَ جَنْبَكَ
عَلَى الْفَرَاشِ وَ قَرَأْتَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَ قَلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، فَقَدْ
أَمِنْتَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْمَوْتَ . (رَوَاهُ الْبُزَارِيُّ)

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْبِعَ أَنْزَلَنَ مِنْ كَنْزِ
تَحْتَ الْعَرْشِ لَمْ يَنْزَلْ عَنْهُ شَيْءٌ غَيْرَهُنَّ ، أُمَّ الْكِتَابِ ، وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ
وَ خَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَالْكَوْثَرِ .

(أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي الثَّوَابِ ، وَالطَّبْرَانِيُّ وَ ابْنُ
مَرْدُوَيْهِ ، وَالدَّبَلِيُّ ، وَالضِّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ فِي الْمَخْتَارَةِ)

عَنْ الْحَسَنِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ
فَكَانَتْهَا قَرَأَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ .

[أَخْرَجَهُ أَبُو عِيْدٍ فِي فَضَائِلِهِ]

و في رواية إن إبليس ناح عليه و بكى و نفث التراب
عليه أربع مرات عندما لعن، ثم عند إهباطه من السماء إلى الأرض
و ثالثاً عند بعثة النبي ﷺ ، و رابعاً عند نزول سورة الفاتحة .
و قال الشعبي إن رجلاً جاءه و اشتكى وجع الكليه فقال له
أن يقرأ أساس القرآن و يمسح به موضع الوجع مسألة هو أساس
القرآن فقال الشعبي سورة الفاتحة .

وروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال « بينما جبرئيل
عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ سمع تقيضاً من فوقه ، فرفع رأسه
فقال هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه
ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم،
و قال أبشر بنورين أوتيتهما لم يوتيهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب
و خواتيم سورة البقرة ، إن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته ، (١) .
قالهما النورين لأنهما يكونان أمام قارئيهما يوم القيامة و يقودانه .

٢- سورة « يسين » :

عن عطاء بن أبي رباح قال بلغني أن رسول الله ﷺ قال
«من قرأ «يسين» في صدر النهار قضيت حوائجه» . (رواه اللذاري)

(١) رواه مسلم و النسائي و الحاكم .

وردت في فضل سورة «يسين» عدة روايات ففي رواية «إن لكل شئ قلباً وقلب القرآن «يسين» ، فمن قرأ «يسين» كتب الله بقرامتها قراءة القرآن عشر مرات ، (١) .

وفي رواية « إن الله تعالى قرأ طه و «يسين» قبل أن يخلق السموات و الأرض بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة ينزل هذا عليها ، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لالسنة تكلم بهذا . (٢)

و في رواية « قلب القرآن يسن لا يقرأها رجل يريد الله و الدار الآخرة إلا غفر الله له ، اقرؤها على موتاكم . (٣) .
وفي رواية « سورة يسن تدعى في التوراة المنعمة تعم صاحبها بخير الدنيا و الآخرة . »

و روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال قال رسول الله ﷺ « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمي ، (٤) .

(١) عن أنس - رضى الله عنه - رواه الترمذى و الدارمى و قال الترمذى هذا حديث غريب « المشكاة » ، (٢) رواه الدارمى و المشكاة ، (٣) أبو داود و أحمد و النسائى (٤) ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٣ .

٣- سورة الواقعة :

عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً ، وكان ابن مسعود يأمر بناته يقرآن بها كل ليلة » . (رواه البيهقي في الشعب)

وردت في فضل سورة الواقعة عدة روايات .

ففي رواية: « قارىء الحديد ، و إذا وقعت ، و الرحمن ، يدعى في السماوات و الأرض ساكن الفردوس » .

(عن فاطمة ، كنز العمال ص ١٤٥ ج ١)

وفي رواية أخرى: عن أنس - رضی الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال سورة الواقعة سورة الغنى فاقروها وعلوها أولادكم . (الدر المنثور ص ١٥٣ ج ٦)

وفي رواية أخرج الدليلي عن أنس قال قال رسول الله ﷺ علوا نسامكم سورة الواقعة فانها سورة الغنى .

وورد أيضاً عن عائشة - رضی الله عنها - ما يؤكد ذلك ، و لكن من غاية الضيق أن يقرأ أحد هذه السورة لبضعة فلوس ، إلا أنه إذا قرأت لغنى القلب و للأخرة فإن الدنيا ستخضع طبعاً و تسخر .

٤- سورة الملك و ألم السجدة :

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ
إن سورة في القرآن ، ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له ، و
هى تبارك الذى بيده الملك ، .

(رواه أحمد و أبو داؤد و النسائي وابن
ماجه والحاكم وصححه ابن حبان فى صحيحه)

و فى رواية أخرى أن النبي ﷺ قال : « وددت أنها فى
قلب كل مؤمن . يعنى تبارك الذى بيده الملك ، .

و فى رواية أخرى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال
قال رسول الله ﷺ من قرأ تبارك الذى بيده الملك ، و ألم تنزيل
السجدة بين المغرب و العشاء الآخرة فكأنما قام ليلة القدر .

(الدر المنثور ص ١٧١ ج ٥)

و فى رواية أخرى « من قرأ فى ليلة ألم تنزيل السجدة ،
و تبارك الذى بيده الملك ، كتب له سبعون حسنة و حط عنه
سبعون سيئة . (الدر المنثور ص ١٧١ ج ٥)

و فى رواية « ما على الأرض رجل يقرأ ألم تنزيل ، السجدة ،
و تبارك الذى بيده الملك ، فى ليلة إلا كتب الله له مثل أجر ليلة
القدر . (الدر المنثور ص ٧١١ ج ٥)

روى الترمذى عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي
ﷺ خباه على قبر و هو لا يحسب أنه قبر ، فاذا قبر إنسان يقرأ
سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فقال « يا رسول الله
ضربت خباي على قبر و أنا لا أحسب أنه قبر فاذا قبر الانسان
يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فقال النبي ﷺ : « هي المانعة ،
هي المنجية ، تنجيه من عذاب القبر » .

عن جابر - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى
يقرأ ألم تنزيل ، و تبارك الذى بيده الملك (١) .

و عن خالد بن معدان « اقرؤا المنجية وهى ألم تنزيل ، فانه
بلغنى أن رجلا كان يقرؤها ، ما يقرأ شيئاً غيرها ، و كان كثير
الخطايا ، فنشرت جناحها عليه ، قالت يارب اغفر له ، فانه كان يكثُر
قراءتى فشفعها الرب تعالى فيه ، و قال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة
وارفعوا له درجة ، وقال أيضاً : إنها تجادل عن صاحبها فى القبر ،
تقول اللهم إن كنت من كتابك فشغنى فيه ، و إن لم أكن من
كتابك فامحنى عنه ، و أنها تكون كالطير تجعل جناحها عليه فشفع
له ، فتمنعه من عذاب القبر ، و قال فى « تبارك » مثله ، و كان

(١) رواه أحمد و الترمذى و الدارمى ، و قال الترمذى هذا
حديث صحيح ، و كذا فى شرح السنة « المشكاة » .

خالد لا يبیت حتى یقرأهما ، و قال طاؤس فضلنا علی کل سورة
فی القرآن بستین حسنة ، (١) .

إن عذاب القبر لیس یسیر ، فکل میت یواجه مرحلة القبر
بعد موته ، و روى أن عثمان بن عفان - رضی الله عنه - كان
إذا وقف علی قبر یبکی حتى یبل لحیته فقیل له تذكّر الجنة و النار
فلا تبکی ، و تذكّر القبر و تبکی ، فقال إني سمعت رسول الله ﷺ
یقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فان نجا منه فما بعده
أیسر ، وإن لم ینج منه فما بعده أشد » قال و سمعت رسول الله
ﷺ یقول « ما رأیت منظرأ قط إلا و القبر أفضع منه » ، (٢) .
اللهم احفظنا منه بفضلک و کرمک .

— الخصال المرتحل : —

عن ابن عباس - رضی الله عنهما - أن رجلا قال یا رسول
الله أى الأعمال أفضل ، قال « الخصال المرتحل » قال یا رسول الله
ما الخصال المرتحل ؟ قال « صاحب القرآن ، یضرب من أوله حتى
یبلغ آخره ، و من آخره حتى یبلغ أوله ، كلما حل ارتحل .

(١) رواه الدارمی كما فی المشکاة .

(٢) رواه الترمذی « الترغیب و الترهیب ج ٤ ص ٣٦١ » .

رواه الترمذى كما فى الرحمة ، و الحاكم ، و قال : تفرد به
صالح المري ، و هو من زهاد أهل البصرة إلا الشيخين لم يخرجاه ،
وقال الذهبي: صالح متروك ، قلت : هو من رواية أبى داؤد و الترمذى .
[الحال] هو الذى يحل منزله ، و [المرتحل] هو الراحل
و المسافر ، و معناه أنه لا يختم القرآن إلا و يبدوه من جديد ،
فلا يقف بعد ختمه أو يرجئ التلاوة ، و ورد فى رواية فى كنه
العمال فى شرحه « الخاتم المفتوح » أى يختم القرآن و يفتحه من
جديد ، و لعله أصل العادة المتبعة فى بلادنا أن خاتم القرآن يقرأ
إلى « مفلحون » فى أوائل سورة البقرة ، ولكن الناس بدؤوا يتبعون
هذه العادة كأدب من الآداب المتبعة و لا يواصلون التلاوة بعده ،
و كان الأصل فيه أن تستأنف التلاوة لكيلا تنقطع السلسلة .

فالمقصود الظاهر فيه اكمال القرآن . فيجب الاهتمام به و فى
شرح الاحياء ، و ذكر العلامة السيوطى أيضاً فى الاتقان أن النبى
ﷺ كان يقرأ بعد سورة الناس « إلى مفلحون » من سورة البقرة ،
ثم يدعو دعاء ختم القرآن .

٦- القرآن أشد تفصيلاً من الأبل فى عقلها :

عن أبى موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ تعاهدوا

القرآن فو الذى نفسى بيده هو أشد تفصيلاً من الابل فى عقلها .

(رواه البخارى و مسلم)

إن الانسان إذا كان غافلاً عن الماشية فأنها ستفعل من يده
وتهرب ، وهكذا مثل القرآن إذا لم يهتم به الانسان و يسهر على
حفظه بأنه سينسى ، والواقع أن حفظ القرآن هو فى الحقيقة معجزة
مكشوفة له ، فان حفظ كتاب آخر فى نصف حجم القرآن أو ثلثه
لا يصعب على المرء لحسب ، بل يعد مستحيلاً تقريباً . و قد ذكر
الله تعالى حفظ القرآن فى سورة القمر كمنه على عباده، فنه إليه
تكراراً ، فقال . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ، وقال
صاحب الجلالين : إن الاستفهام هنا هو بمعنى الأمر ، و من
المؤسف أن الأمر المؤكد من الله تعالى و الذى يعاد ذكره فى
كتابه ، نعتبره نحن معشر المسلمين بجهلنا ، حماقة و إضاعة للوقت
فهل يبقى بعد هذه الحماقة و الجهالة سبب آخر للصائب و الدمار و
الكوارث التى تنتظرنا ، و من العجب أن عزيزاً عليه السلام دعى
بأن الله لأنه أملى من ذاكرته كتاب الله التوراة ، أما نحن فرغم
عموم هذه المنة الالهية و اللطف على المسلمين التى جعلت حفظ
القرآن عادة مألوفة مسيرة مشهورة ، لانقدرها حق قدرها «فسيعلم
الذين ظلموا أى متقلب يتقلبون» .

لاشك أن حفظ القرآن من من الله وكرمه على عباده فاذا غفل عنه عبد بجهله ينساه ، وقد وردت عدة روايات تتوعد على نسيان القرآن بعد حفظه ، فروى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « عرضت على ذنوب أمي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيتها رجل ثم نسيها » (١) و عن سعد بن عبادة قال قال رسول الله ﷺ « ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله أجزم » (٢) .

و ذكر في جمع الفوائد رواية للرزين على أساس الآية فاقراوا إن شئتم « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * (٣)

٧- الاكتساب بالقرآن يعود وبالاً يوم القيامة :

عن بريدة قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ القرآن يتأكل به الناس ، جاء يوم القيامة ووجهه عظيم ليس عليه لحم » .
(رواه البيهقي في شعب الايمان)

(١) أبو داؤد و الترمذى (٢) أبو داؤد « كذا في الترغيب و الترهيب » (٣) سورة طه ١٢٦ .

المراد من الحديث الشريف أن الذين يقرأون القرآن لكسب
غرض دنيوي لن يكون لهم نصيب في الآخرة ، و قد روى عن
جابر - رضی الله عنه - قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن
نقرأ القرآن و فينا الأعرابي و العجمي فقال: اقروا فكل حسن ،
وسيجبى أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه ، (١)
ومعنى الحديث أنهم يحسنون الأحرف والكلمات ساعات ويتكلمون
فيه و يهملون في تصحيح مخارج الحروف و لا يكون هذا الجهد
كله إلا للدنيا ، و لا يكون لهم هم بالآخرة ، والمراد منه أن تحسين
الصوت لا يجدى نفعاً إذا كان غير مقترن بالاخلاص أو كان
لكسب الدنيا وحدها .

و المراد من الوجه العظيم بدون اللحم أنه بسبب إهماله
بأشرف الأشياء و جعله وسيلة للاكتساب الدنيوي يحرم جمال
أشرف الأعضاء .

وروى أن عمران بن الحصين مر على قارىء يقرأ ثم يسأل
فاسترجع (٢) ثم قال : « سمعت رسول الله ﷺ من قرأ القرآن
فليسأل الله به ، فانه سيجبى أقوام يقرأون القرآن يسألون به
(١) رواه أبو داؤد اللبيق « المرقاة » (٢) قال : إنا لله وإنا إليه
راجعون .

الناس (١) .

و روى عن المشايخ أن من طلب المال بالعلم كان كمن مسح
أسفل مداسه ونعله بمجاسنه لينظفه (٢) ولا شك أن الحذاء سيدنظف
به و لكن تنظيفه بالحد حماقة قصوى ، و قد نزلت هذه الآية في
مثل هؤلاء الناس « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » .

و روى عن أبي بن كعب أنه قال : علمت رجلاً القرآن
فأهدى إلى قوساً فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : إن أخذتها
أخذت قوساً من نار فرددتها (٣)

و كذلك قال عبادة بن الصامت : « كان رسول الله ﷺ
يشغل فاذا قدم الرجل مهاجراً علي رسول الله ﷺ دفعه إلى
رجل منا يعلم القرآن ، فدفع إلى رسول الله ﷺ رجلاً كان معي
في البيت أعشبه عشاء البيت و كنت أقرنه القرآن ، فانصرف إلى
أهله فرأى أن عليه حقاً ، فأهدى إلى قوساً لم أر أجود منها عوداً
و لا أحسن منها عطفاً ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت ما ترى يا
رسول الله ؟ فقال : جرة بين كتفك إن تعلقها أو قال تقلدتها (٤)
و لا يسعى في هذا المجال بعد ذكر هذه الأحاديث النبوية

(١) رواه الترمذى « الترغيب والترهيب » (٢) المرقاة .

(٣-٤) كنز العمال .

إلا أن استرعى انتباه حفاظ القرآن الذين يعلمون في المدارس القرآنية
و ليس هذا الشغل لهم سوى كسب المال فالتمس إليهم بكل أدب
و احترام لهم و أشهد الله أن يفكروا لحظة و يتدبروا في منصبهم
و مسؤوليتهم ، فان الذين يريدون إيقاف حفظ القرآن و تعليمه تأثراً
بسوء معاملتكم و سلوككم لا يتحملون هذا الويل و حسرتهم ، فانكم
تشاركونهم في مساعيهم لمنع تعليم القرآن و تتحملون بأنفسكم أيضاً
هذه المسؤولية ، و إنكم تحسبون أنكم تنشرون القرآن و تفضونه ،
ولكنكم في حقيقة الأمر تصدون عنه بسبب أعمالكم و سلوككم التي
تجلب اللوم ، و تجبر الآخرين على ترك تعليم القرآن ، و لم يميز العلماء
تقاضى المرتب على التعليم ، لنجعله هدف حياتنا و غايتنا ، بل الغرض
الأساسي ، هو التعليم و نشر العلم و القرآن ، و ليس المرتب مكافأة
عليه بل شكل لسد الحاجة ، اخذير كرهاً و مرغماً بالضرورة .

خاتمة المطاف

كان المقصود من إيراد هذه الأحاديث و ذكر الفضائل عن كتاب الله العزيز خلق المحبة معه ، لأن حب كلام الله يلزم حب الله تعالى ، و إن حب أحدهما يسبب حب الآخر ، فلم يكن خلق الانسان في الدنيا إلا لمعرفة الله ، وكل ما خلق سوى الانسان خلق من أجل الانسان و يقول شاعر فارسي : إن السحب و الرياح والقمر و الشمس و السماوات و الأرض ، وكل شئ آخر ، خلق لأجل الانسان و لسد حاجته ، ليعتبر أن هذه المخلوقات تسير كما أمرت به بكل طاعة و أمانة و توقيت حد لها ، و قد يحدث طارىء ما يخالف العادة المألوفة في بعض الأحيان و لوقت معين من أجل إيقاظ الانسان وتنبيهه ، فيختلف المطر عن مواعده والرياح عن وقتها ، و كسوف الشمس و خسوف القمر ، وكل تغير آخر في سير هذه الكائنات لا يحدث إلا لانعاش الغافلين وإيقاظهم ، و من عجب العجائب أن تسخير هذه المخلوقات للانسان التي تقوم بما فوض إليها بكل طاعة و خضوع و اقياد تام لا يحدث في انسان الشعور بالطاعة والانقياد والعبودية .

إن خير المعين على الطاعة والانقياد هو الحب ، إن المحب

لمن يحب مطيع ، فكل من كان قلبه حريج الحب و العشق يتقاد
لمن يحب و يشق عليه الانحراف عن طاعته و رضائه ، كما تشق
على النفس الخالية عن الحب طاعة أحد ، و إن مشاهدة الكلمات
و الجمال تحمل النفس على الإعجاب بصاحب الجمال و الغرام به ،
سواء كان ذلك بالحواس الظاهرة ، أو باستحضار في الحواس الباطنة ،
فإذا كان الانسان يفتن حيناً بجمال وجه حسن و يتقاده فان صوتاً
ملائكياً قد يسحر النفس حيناً و بأسر القلب .

و الأذن تعشق قبل العين أحياناً

فلا يهيج جمال الوجه وحده الغرام في النفس ، كما لا يتقيد
الحب بالمظهر ، فان هذه النعمة تنجم حيناً عن الكلام ، فلا يقع
صوت في أذن إلا وينساق القلب و تنجذب النفس إليه ، ويجذب
جمال الكلام أحياناً إلى صاحب الكلام ويولد في القلب الحب معه ،
و ذكر أهل الفن أن استحضار صفات أحد و بميزاته و خصاله
يحدث أيضاً في القلب انجذاباً إليه والافتان به ، فيركز عليه ويحلى
القلب عما سواه فتكون هذه العواطف في الغرام الطبيعي من غير
قصد ، فان نظرة عابرة على وجه جميل أو يد جميلة تدفع الانسان
إلى أن يسعى و يجهد لينظر إلى الأعضاء الأخرى ليزداد حبه و
غرامه ، ويرتاح به قلبه ، و أنى للقلب أن يرتاح و يطمئن وللنفس

أن تصبر و تشبع ، فكل نظرة وكل خيال و طيف الحبيب يزيد
الوجد و الهيام به ، و يهبج الآمال و الأحلام فلا يداوى الحب
إلا و تزداد لوعته .

إذا نثرت البذور في حقل ثم تركتها على حالها مهجورة
بدون رى ، فإنها لا بد من أن تلتف و يضيع المحصول و إذا وجد
في قلب حب بدون قصد و إرادة ثم أهمله القلب ولم يلتفت إليه
فان هذا الحب لا محالة زائل آجلاً أو طاجلاً ، و لكن إذا سهر
المحب على إحيائه و إنعاشه و ظلت صورة الحبيب و حركاته في
مخيلته ، و كلام المحب يتمثل في ذاكرته ، و يتلذذ به قلبه ، و يتخيل
في مهجته و وجهه و غمزاته ، فان الحب يحى و يعش و ينجد و تتجدد
ملاحظه كل حين و تقوى ، فن التحق بمدرسة الحب و حفظ دروسها
لم يتخلص مسؤولياته ، و واجباته ، و من نسي دروسها أعنى عنها فوراً
فكلما أتقنت دروسها توثقت عراها .

إن تصور وجه شخص و حركاته يحدث في القلب الحنين إليه
و شوق اللقاء به و إن تبعه يزيد الشوق والوله ، فلا يقف هذا
المحب عند حد و غاية ، ولا يشبع بنعمة منه و منه بل دائماً يطلب
المزيد ، و لا يقتنع برؤية عضو من أعضاء الحبيب القاني و يزداد
الحرص على المزيد ، و يتقوى ألهم على التمتع والاستمتاع بكل

ما أمكن ، و قدر عليه .

إن الله تعالى منبع كل جمال وحسن ، ولا جمال في الواقع في الدنيا إلا جماله ، إنه حيب لا غاية لجماله ، ولانهاية لجماله ، ولا حد لنعمه ، ومن أنعمه و جماله و إعجازه الغير المتناهي كلامه الذى سبق ، إن قلت إن اتسابه إليه يعنى عن وجود أى كمال آخر وللحين لا تساويها نعمة أخرى ، فان الراحمة والشذى تهدي إلى الريحان .

و لو تركت هذه النسبة التى يرتبط بها مع صاحب الكلام والموصوف ، فان علاقته ونسبته مع رسول الله ﷺ هى الصفات التى تكفى لتغنى المسلمين عن البحث عن صفات أخرى ، ثم إن ما يتصف بها هذا الكلام من خيرات ويميزات و معجزات لاتستطيع الدنيا أن تقدم مثيلاها ، فلم يترك القرآن ميزة تخص الطبائع البشرية إلا و قد حواها ، فليست محمداً واحداً يفتن بها قلب المحب ، فالقلب المغرم به واحد و المحامد كثيرة لا تحصى .

علاقة الأحاديث المذكورة بطبائع الانسان :



إن دراسة الأحاديث النبوية المذكورة دراسة دقيقة تكشف للاتباع لها أنها لم تترك ناحية من نواحي الحياة إلا لفتت إليها . ولا

يوجد صنف من أصناف الحب والافتخار إلا وذكرت الأحاديث
تميز القرآن فيها وفضله .

و لناخذ مثلا الجمال الكلي و الاجمالي الذي يشمل كل شئ
جميل في الدنيا ، ويعطى كل جمال وكال ، فلفت إليه حديث «رقم
١» ، فيبين هذا الحديث فضل القرآن الاجمالي و الكلي ، و ليأخذ
أى صنف من أصناف الحب ، فاذا عجب إنسان بانسان آخر بسبب
من الأسباب غير المتناهية ، فان القرآن أفضل من ناحية هذا الفضل
الكلي ، ثم تحدث الأحاديث بعده ، عن أسباب العلاقة و الحب
ففضلت القرآن على جميعها للتمثيل ، فاذا كان أحد يحب شخصا بسبب
الثمرات و المنافع و الجزاء و الاحسان فان الله تعالى يعد بأن يجزي
كل سائل بأكثر من سؤاله .

يعجب قوم بالفضل الذاتي و الصفات الشخصية ، و الأخلاق
الذاتية فيستأثرون من يتصف بهذه الصفات السامية و الفضائل الذاتية ،
فيقول الله تعالى : إن فضل القرآن على كل شئ في الدنيا كفضل
الخالق على عباده و الملك على مملوكه . [٢]

تميل نفس أقوام إلى المال و المتاع و الجاه و الخدم و الأنعام
و يعتبرون ذلك وسيلة للافتخار و التفوق و يجدون فيه متعة لهم ،
فوصف الحديث الحصول على هذه المتعة ، الافتخار بدون جهد

وكرد أنه أدنى فضيلة ، ونبه الحديث أن تلاوة القرآن أفضل من
جميع هذه الأنواع لحصول العز و الشرف . [٣]

إذا كانت النفس تمن إلى الزهد و التقوى و تجهد له فذكر
رسول الله في هذا الحديث أن الماهر بالقرآن مع الملائكة الذين
يمثلون التقوى فلا يقضون لحظة ضد التقوى و الطاعة .

و يجد قوم المتعة والافتخار في نيل نصيبين أو أجرين وبعثر
به فيفتخر على أن يعتبر رأيه مثل رأيين ، فيعد الحديث للمتتبع
أجرين . [٤]

إن الذي جبل على الحسد و سوء الاخلاق فلا تميل نفسه
إلا إلى الحسد والتباغض ، فحول رسول الله ﷺ نفسه وقال ولا
حسد إلا على حافظ القرآن . [٥]

من يتلذذ بالفواكه و يسعى إلى الحصول على مختلف أنواعها
ويتباهى بها فلا يحلوه العيش بدون الفواكه فقل القرآن بالآتية .
و يميل بعض الناس إلى الحلاوة و يؤثرونها على جميع الأذواق
الأخرى ، فوصف الحديث أن القرآن أحلى من التمر و إذا كان
أحد مغرماً بالشرف النفسى ، والرفعة الذاتية ، فلا يحلوه العيش
إلا باللجوء إلى وسائل تضمن له الرفعة والجاه والشهامة من عضوية
المجالس القومية و البرلمانات و بحسبها شرف النفس فيعد الحديث

له أن القرآن شرف الدنيا والآخرة . [٦]

تميل بعض الأنفس إلى صديق و معين في حياته بأوى إليه
و يستعين به في العسر و اليسر ، فيمثل الحديث لمثل هذه
الطبائع أن القرآن يحاج سلطان السلاطين و ملك الملوك ، لرفيقه
في الدنيا ، ليرفعه و يشفع له . [٧]

تحمل جيلة بعض الناس على كشف الغموض و التعمق إلى
بطون الأشياء فيقضون حياتهم في سبيل البحث و التحيص و يزهدون
في الدنيا ، و يستلذون بكشف الحجب المحيطة بالأسرار الكونية
و غير الكونية و يؤثرونها على كل لذة من لذات الحياة ، و لمثل
هؤلاء الأقسام يحمل حديث رقم «٨» أهمية خاصة حيث إنه يفرهم
بمعرفة بطن القرآن و معانيه غير الظاهرة . [٨]

يكافح بعض الناس لتشييد بيوت عالية شامخة ذات الطوابق
المتعددة و يريد أن يكون مأواه على أعلى الطوابق ، فيوجه حديث
رقم «٩» نداءه إلى هذه الطبيعة الانسانية الخاصة و يهز مشاعرها
بوعده أن قارىء القرآن يرتقى إلى أعلى المنازل حسب قراءته ، حتى
صعد بعض القارئین إلى الطابق السابع ألف . [٩]

تميل بعض الأنفس البشرية إلى عدم إجهاد النفس ، فترغب
في أن تكسب الكثير بالجهد القليل . فيعد الحديث لأصحاب مثل
هذه الطبائع أن الله يجزى على كل حسنة بعشر أمثالها [١٠]

و منهم من تغلبهم الهامة و الحرص على الحصول على الملك
و المال الكثير ، و التاج و العرش فيملا الدنيا فساداً و دماراً
من أجل عزه الذاتي ، و تفوقه ، فيجد من رزق مثل هذه الطبقة
متنعة و إرواء غليله في حديث رقم « ١١ » مايقول « إن الله تعالى
يلبس والدي قارىء القرآن تاجاً يزيد ضوءه ضوء الشمس التي كانت
في البيت » . [١١]

و من الناس من تميل نفسه إلى الشعوذة و يضع يده على
النار فلا تحترق يده ، و يضع الكبريت في فيه فلا يشعر فيستلطف
حديث رقم « ١٢ » هذه الطبقة و يقول إن القرآن إذا وضع في
إهاب مم وضع على النار لما احترق . [١٢]

يجسد بعض الناس متعة بقبول شفاعتهم في حق الآخر ،
فيكلمون ليرتفعوا إلى مرتبة أو مهزلة عند الملوك أو الأمراء أو
الوزراء لتقبل شفاعتهم مهما كلف ذلك من ثمن أو تضحية ، فيشير
هذا الحديث غريزة هذا الانسان و يعده بأن القرآن يمنح رفيقه
حق شفاعته عشرة أشخاص كانوا قد استحقوا النار . [١٣]

و من الناس من وهب ذوقاً خالصاً للروائح و العطور ،
و بلغ به الغرام بالرياحين و الزهور مبلغ الجنون ، فيمثل هذا
الانسان تمثيل القرآن بجراب محشو مسكا ، و أتى لهذا المسك أن
يقارن بذلك المسك ، فستان بين الثرى و الثريا . [١٤]

يوقظ أدنى تبيه بل التليخ ، شعور بعض الناس و ضميرهم
و يصلح بالهم ، ويقومهم ، ومن الناس من لا يؤثر فيهم الكلام
بالرفق فلا يؤثر فيهم الترغيب والتبشير ، لأنهم تعودوا على الترهيب
الغليظ فوصف القلب الخالي من القرآن بالبيت الخرب . [١٥]
من الناس من يحرص دائماً على رفع الدرجات ، و يسعى
إلى الكسب الكثير من الخيرات ، و الحسنات ، فلا يطمئن بالله
على حال ، فوصف لهذا الصنف من أن قراءة القرآن أفضل العبادات
و صرح الحديث أن قرأته أفضل من كل تسبيح و تهليل و صلاة
غير مكتوبة .

يتملك بعض الناس حب الأنعام ، و المواشى ، و خاصة العظام
السمان ، فيزيد فيها الثمن و يفتنها مهما بلغ به الجهد و النفقة
فنبههم النبي ﷺ وقال « إن ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلته
خير له من ثلاث خلفات عظام سمان » . [١٧]

يهتم بعض الناس بالصحة و يغالون فيها ، فيكون مهمهم دائماً
أن يحصلوا على مختلف أنواع من الأدوية لعلاج ما يعترضهم من
أمراض و يلبأون إلى مختلف الوسائل للاحتفاظ بصحتهم ، من
الرياضة و الاستحمام اليومي و العدو ، و النزهة في الصباح ، و لذلك
يعانى أناس من الهم و الاضطراب النفسى فلا يسعدون بحال فيعالجهم
هذا الحديث بقوله « إن القرآن جلاء لصدأ القلوب » [١٨]

تختلف ميول الناس إلى الاقتحار والرفعة النفسية فلكل إنسان
أجاء خاص ، فهم من يفتخر بنسبه و عرقه ، و منهم من يعز
بعادته و أخلاقه ، و مكاته في الناس ، و منهم من يتباهى بسلوكه
و حكته ، و تدبره ، فقال النبي ﷺ : إن بهاء أمتي و شرفها
القرآن ، فالقرآن يجمع كل جمال و كمال فاذا اجتمع الوصفان في
شي فأهما بميزانه .

[١٩]

من الناس من يسعى إلى ادخار المال ، و الكنز يعيش على
القليل ، و الكفاف ، ليجمع المال ، فلا يخرج من هذه الورطة
و العقدة النفسية ، فحول النبي ﷺ حرصه على جمع المال إلى ما هو
خير منه فقال إن تلاوة القرآن نور في الأرض و ذخر في السماء ،
فجمع الحديث الشريف من يحرص على الكنز ، و آخر من يتهاوت
على تزيين البيت بالنور و المصاييح .

[٢٠]

وإذا كنت ترغب في أن ترسل إليك التحف و الهدايا المتنوعة
فلا تصادق الناس و لا تقيم العلاقات معهم إلا لهذا الغرض ، فاذا
ضن أحد في ماله و ثماره و لم يرسل إليك فواكه بستانه ، تشتمز
منه ، و تلومه . فان قارى القرآن تهدي إليه السكينة ، فهل هدية
أعلى من هذه الهدية .

و إذا كان ذكرك في البلاط الملكي ، أو عند الأمراء و أولى

الجاء و الشرف بفريك بتحمل المتاعب والمساعى للوصول إلى هذه
المنزلة ، فان القرآن هو خير شفيع لك عند أحكم الحاكمين ، فيذكر
الله تعالى من يقرأ القرآن فيمن عنده من الملائكة المقربين . [٢١]
إذا كنت حريصاً على أن تقمى أجل الهدايا لتقدمها إلى
حبيك ، لتسهوى قلبه ، وتستميله إليك ، بهديتك الفاخرة النادرة
فان القرآن خير ما ترجع به إلى الله سبحانه وتعالى . [٢٢]
يفتخر بعض الناس بأنهم من رجال البلاط ، وحاشية الملك
و يسعى من لا ينال هذه المرتبة إلى الوصول إليها فيدير لها ،
ويتأمر ، ولئلا هؤلاء الناس الذين يستميلهم الانتماء إلى رجال الحاشية
الملكية ، متعة خاصة في قراءة القرآن حيث إن قرأته تلحقهم بأهل
الله تعالى ، وهو رب العالمين ، وخالق الملوك والجبارة . [٢٣]
و لئلا نلتفت هنا برهة لنفكر في أنفسنا فان الحرص على الجاء
والشرف الذائق قد أوصل الناس إلى الخسيف فكم من التضحيات ،
تبذل للحصول على عضوية في المجالس الرسمية و التقرب إلى عمال
الحكومة وموظفيها الكبار ، فلا يدخر الناس جهداً في هذا السبيل
لأنهم يحسبون أن التفاتهم إليهم و عطفهم عليهم ، يرفعهم في أعين
الناس ويعزهم مهما ضحوا في ذلك من الدين والدنيا ، فهل التقرب
إلى الملك الحقيقي ، و الانتماء إلى أهله وخاصته أقل درجة من

التقرب إلى هؤلاء الأمراء و النبلاء ، و لا يستحق ذلك جهداً
قليلاً من الناس فلينفقوا على هذا العز الفرار الخادع في الحياة ما ينفقون
من العمر و المال ، ولكن الذى خلق الحياة و هو المعز و المذل ،
و هو المحيي و المميت يدعونا إلى أن نفق بما آتانا من المال و الحياة ،
فلا بد من أن نخصص له لرضاه بما آتانا الله من المال و النفس .

ان الطبايع التى يستهويها الغناء ، فتميل إلى الششية (١) و يجلس
أصحاب هذه الطبايع فى مجالس الغناء لارواء غليل ، فان مجالس
التلاوة أحلى من هذه المجالس و أجدر أن تأخذ بالقلوب و تسحرها
وتغنى عن أحلى غناء و أذنه .

[٢٤]

إن القرآن أقصر طريق للوصول إلى المالك الحقيقى فان الله

[٢٥]

تعالى يصغى إلى قارىء القرآن و يتقرب إليه .
إنكم تدعون أنكم مسلمون و تفخرون بالاسلام . إن النبي
ﷺ يأمركم أن تملأوا القرآن حق تلاوته ، فاذا كان الاسلام لديكم
أكثر من الدعوى اللفظية . و إذا كانت علاقتكم بالاسلام و الله
و رسوله علاقة حقيقية ، غير كلامية محضه ، فان الله يأمركم بتلاوة
القرآن .

[٢٦]

(١) طريقة منتشرة فى الهند تسبب إلى الشيخ الكبير معين

الدين الششى دفين أجير .

إنكم تحمسون لقوميتكم و تعصبون لها ، و تمسكون بأزيائكم
و شعائركم القومية والدينية لأنكم تحسبون أنها شعار لدينكم وأمتكم ،
و تبذلون جهودكم لنشرها و ترويجهما و تتخذون تدابير لتعميمها
بالمقالات في الجرائد و المجلات ، والاجتماعات و اتخاذ قرارات في
الحشود و الحفلات الجماهيرية ، و الخاصة للتشديد على مطالبكم و
تأكيدهما فإن رسول الله تعالى يأمركم بأن تتخذوا القرآن شعاراً لكم
و تبذلوا أقصى جهدكم لافشائه و نشره .

إن هذا الموضوع ، موضوع مشجع ، يثير في القلب شكواى
و يؤلمه ، و خاصة عندما ننظر إلى زعماء الأمة وقادتها و دورهم
في نشر القرآن ، و معونتهم في هذا السبيل ، فليفكر هؤلاء الزعماء
والقادة تفكيراً جدياً . ألا يتحملون مسؤولية في سد إمكانات
دراسة القرآن و حفظه .

قد أهمل زعمائنا تعليم القرآن ، و تغافلوا عنه ، و بدأ
بعضهم ينظر إليه بعين الازدراء ، يعتبرونه إضاعة للوقت ، وإرهاقاً
للفكر ، وإجهاداً غير لائق . و يمكن أن تكونوا غير متفقين بهذه
الفكرة ، و لكن فكروا أيها السادة أليس صحتكم على جهود طائفة
تجهد ضده معونة و تأييداً لجهودها ، و لتعترف أنكم تشتمون
من جهودها و نشاطاتها ، و لكن هذا الإشتهار لا يجدى نفعاً

إذا كان مقروناً بالتسامح والشفقة .

إنهم يتكبرون أهمية تعليمه بكل قوة وفعالية بدليل أن معلى
المكاتب الإسلامية و أئمة المساجد جعلوه وسيلة للرزق والكسب ،
إنه طعن و تهمة على النيات عامة ، و هي مسؤولية خطيرة سوف
يحجبون عليها عندما يحين وقتها ، ولكني أسألكم بكل أدب واحترام
لاتقنن بكم : بالله أجيئوا ، ألا ترون عواقب أغراض هؤلاء الأئمة
في المساجد بأنفسكم في هذه الدنيا ، و ماذا تكون عواقب قراراتكم
المخلصة و ثمارها ، وما تؤدي إليه هذه القرارات في خدمة القرآن
و نشره .

إن رسول الله ﷺ يأمر أمراً واضحاً بنشر القرآن فعليكم
أن تقرروا بأنفسكم إلى أى مدى تمثلون بأوامر رسول الله ﷺ
ولعلمكم تجدون تسليية لقلوبكم في دعمكم أنكم لاتشاركون في الجهود
التي تبذل لوقف تعليم القرآن ، فاذا كان ذلك حقاً ، فلا يغين عن
بالكم أن هذا العذر لن يتقدمكم عن تحمل المسؤولية ، فقد سأل أصحاب
النبي ﷺ : « أهلك و فينا الصالحون ؟ » قال نعم إذا كثرت الخبث ،
و في رواية : « أوحى الله تعالى إلى جبرئيل عليه السلام أن ألق
مدينة كذا و كذا بأهلها ، فقال يا رب إن فيهم عبدك فلاناً لم
يعصك طرفة عين ، قال ، فقال إلقها عليه و عليهم فان وجهم .

لم يتمر في ساعة قط ، (١) .

إن هذا الوضع هو الذى يدفع العلماء فى الواقع إلى إظهار
استكبارهم وخطيئتهم على كل ما يعتبرونه خلافاً للشرع ، فبسوء ذلك
الطبقة التقدمية المزعومة ، فتصنفهم بضيق الفكر ، فلا يخذلكنم هذا
التحرر الفكرى و الخلق ، فان هذه الفريضة لا تخص بالعلماء
وخدمهم ، بل إن كل شخص يرى منكراً و يقدر على منعه ، مسئول
عنه ، فان أعرض عن هذه المسؤولية و أهمل هذا الواجب و لم
يبد استكباره على المكروه فيكون له نصيب منه ، وقد روى عن
بلال بن سعد « إذا أخفيت الخطيئة لا تضر إلا صاحبها و إذا
ظهرت فلم تغير » ، ضرت العامة و روى « ابن سعد » مثله .

يتحمل بعض الناس الصعاب فى البحث عن الآثار وما يرجع
إلى القرون الأولى ، فيراجعون التاريخ القديم و يقومون برحلات
بعيدة لمعرفة أحوال السابقين ، فيغنى القرآن عن جميع هذه الكتب
المقبولة المتداولة لما فيه بيان و تفصيل عن الماضين . [٢٨]

و إذا كنتم تتمنون أن تصلوا إلى أعلى درجات الشرف
والسمو التى يجلس بها الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة والسلام فى مجلسكم
و يؤمرون بالاشتراك فيه و الاستماع إليكم ، فان هذه الدرجة

(١) عن جابر كا فى المشكاة .

و المرتبة تحصل أيضاً بقراءة القرآن . [٢٨]

و إذا كنتم قد بلغت من الكسل مبلغاً يقصدكم عن العمل ،
والجهد في سبيل كسب الخير . فان سماع القرآن في كتاب يقرأ فيه

الأطفال يثيكم أجراً بدون جهد له . [٢٩]
و إذا كنتم مغرمين بالألوان المتوعة ، و تسأمون من نوع

معين ، و تريدون الجديد والمزيد ، فالقرآن ذخركم و متعة لأن
فيه منوعات من المواضيع ، من الرحمة و العذاب و من القصص

و الأحكام ، و لكم حرية في كيفية القرآن ، تقرأه جهراً أو سراً
فلكم الأجر دائماً أبداً . [٣٠]

و إذا تجاوزت في المعاصي كل حد و غاية ، و كنت تؤمن
بالموت ، و البعث بعده ، فلا تقصر في التلاوة فان القرآن شافع

ليس فوقه شافع . و قد ضمن قبول شفاعته . [٣١]

و إذا كانت طبيعتك تأبى الحجة و الاحتجاج و الجدل ،
فاخش حجة القرآن عليك ، فان حجته مقبولة و مصدقة ، لا تجد

عنه نصيراً فانه رفيقك و رائدك ، يوصلك إلى الجنة و يهديك إلى
حييك . [٣٢ - ٣٣]

إذا كنت تمنى أن تحصل علوم الأنبياء ، و تحلم بها فاقرا
القرآن و ارتق في العلوم والمعرفة ، و كذلك إذا كنت تريد أن

أحسن الأخلاق و مكارمها ، فأنزل القرآن ، و أكثر تلاوته

[٣٥]

إذا كانت نفسك الجريحة لا تحلو و لا تظمن إلا بالزهمة
على الجمال و المصايف فتبذل الغالي و النفيس و تتحمل الصعاب
في رحلة إلى جبل ، فان قراءتك للقرآن توصلك إلى كئيبان المسك
في وقت تغمر الأغراض و الشح أناساً آخرين ، وتلهيهم . [٣٦]
و إذا كانت نفسك تأتي إلا أن تصل إلى أعلى درجة الزهاد
فلا تتوقف عن الصلوات و الأدعية و النوافل ليلاً و نهاراً ، فان
قراءة القرآن و دراسته لكم أفضل من ألف ركعة . [٣٧]
و إذا كنت تريد أن تتبعد عن كل خصام في الدنيا و فساد
فيها ، فان القرآن يحفظك عن الفتن و يخرجك منها . [٤٠]

الخاتمة

★◆◆★

إن القرآن رفيقك وطيبك ، ففي سورة الفاتحة شفاء عن كل
مرض . [حديث ١ الخاتمة]

إذا كانت أغراضك و مطامعك لا تنتهي فاقراً سورة يسين .

[٢ - الخاتمة]

و إذا كنت حريصاً على جمع المال ، فاقراً سورة الواقعة

كل يوم ففيها غنى لك . [٣ - الخاتمة]

[١٢١]

إذا كنت تخشى عذاب القبر ، و لا تستطيع أن تتحمّله ففي
القرآن الكريم نجاه لك ، و وقاية . [٤ - الخاتمة]
و إذا كنت تسعى إلى عمل دائم يشغل فكرك ، و تقضى فيه
أوقاتك فالقرآن شغل شاغل ولا يوجد عمل أفضل منه . [٥ - الخاتمة]
و احذر أن لا تسلب منك هذه النعمة بعد أن تفوز بها ،
فليس أحد أسوأ حظاً ممن يخرج عن نعمة أو ملك آتية ، و لا
تعمل عملاً يحفظ به عمك ، و تكتب لك سيئة . [٦ - ٧]
و ما علينا إلا البلاغ

المحبة ملاك العمل

كيف يستطيع أن ينتبه لفضائل القرآن عاص مثل ، و قد
بينت ما انكشف لفكرى و عقلى المحدود ، إلا أن المحققين والحكام
يستطيعون أن يفكروا و يتدبروا فالطريق مفتوح أمامهم ، لأن
أسباب المحبة التى قال رجال الفن أنها وسيلة للمحبة تتكون من خمسة
أمور ، أولاً الوجود الذاتى ، فان الانسان يحب ذاته ، و لما
أن القرآن يقي الحوادث والفكر . فانه مسبب لحياة الذات وبقاؤها .
ثانياً : المناسبة الطبيعية ، و لا يمكن فى هذا الصدد إيضاح
أكثر من أن الكلام صفة إلهية ، وأن المناسبة التى توجد بين الملاك
وملوكه ، و السيد و عبده لا تخفى على العالمين .
ثالثاً : الجمال . رابعاً : الكمال .

خامساً : الاحسان ، فاذا تدبرتم الأحاديث المذكورة عن هذه
الأمور الثلاثة الأخيرة ، فانكم سوف لا تقتصرون على ذلك الجمال
والكمال اللذين أوضحت هذا الكاتب بفهمه الناقص ، بل إنكم ستصلون
بدون تردد إلى الواقع أن العز و الافتخار ، و الشوق والسكون ،
و الجمال و الكمال ، و الاكرام و الاحسان ، و اللذة و الراحة
و المال و المتاع وغيرها من الأمور الأخرى فى الحياة التى تتكون
منها المحبة ، قد بعث بها النبي ﷺ وفضل القرآن فى نوعها إلا أن

التستر في الحجاب هو من لوازم الدنيا ، و لكن العاقل لا يتعاشى
قاكمة إذا كانت قشرتها شائكة ، و لا يمقت خاسر في الحب حية
لأنها محتجة أو مبرقة . فيحاول و يجهد ليميط اللثام و يزيح
الحجاب ، فان فشل في مجهوده فانه يقر عينه و يسلي قلبه من وراء
الحجاب ، و إذا أيقن حبيب أن الحبيب الذي وهب قلبه ومهجته
ويديه من أجله منذ سنوات ، ما قل أمامه وراء حجاب ، لا يقدر
إذا كان مخلصاً في حبه أن يغادر المكان أو يحول نظره عن ذلك
الحجاب .

و هكذا ، ليس من عقل العاقل و حكمة الحكيم أن يحول
نفسه عن القرآن الكريم بعد ذكر هذه الفضائل و المناقب و المزايا
إذا كانت فسدت بسبب بعض الحجب ، بل يجب عليه أن يأسف
على عجزه و نقصانه ، و يتدبر الكلمات ، و قد روى عن عثمان
و حذيفة - رضى الله عنهما - ما معناه أن القلوب إذا طهرت عن
النجاسة فانها لا تستطيع أن تشبع أبداً بتلاوة القرآن ، وقال ثابت
البناني : كانت القرآن عشرين و تعمت به عشرين (١) ، فكل إنسان
يتوب عن ذنوبه ، و يفكر في القرآن بجده أنيساً و رقيقاً له ،
يا ليت حصلت لي هذه اللذة ..

(١) الاحياء .

إني أتمس إلى القارئين أن لا يلتفتوا إلى القائل ، فلا يمنعكم
 عجزى و تقصيرى عن الوصول إلى غايتكم ، فاتبهوا للأمر الحقيقى
 ، والتفتوا إلى صادر هذه الأمور فاست إلا ناقل خير ، و ليس
 بعزير على الله أن يخلق فى القلب الحنين إلى حفظ القرآن .
 و إذا أردتم أن يحفظ أحد القرآن فان هذا الأمر لا يدعو
 إلى عمل شاق ، فان من الطفولة معين على الحفظ و مساعد له ،
 فان أراد أحد حفظ القرآن فى سن بالغ فأنى أكتب له عملاً مروياً
 عن النبي ﷺ ، و رواه الترمذى و الحاكم و غيرهما .
 عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : بينما نحن عند
 رسول الله ﷺ إذ جاءه على بن أبى طالب - رضى الله عنه -
 فقال : بأبى أنت تقلت هذا القرآن من صدرى فما أجدنى أقدر عليه ،
 فقال له رسول الله ﷺ : يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك
 الله بهن ، و ينفع بهن من علقته و يشب ما تعلق فى صدرك ؟
 قال أجل يا رسول الله ، فعلمنى قال : إذا كان ليلة الجمعة ، فان
 استطعت أن تقوم فى تلك الليل الآخر ، فانها ساعة مشهودة ، و
 الدعاء بها مستجاب ، فقد قال أخى يعقوب لنيه سوف أستغفر لكم
 ربى (١) يقولهم حتى تأنى ليلة الجمعة ، فان لم تستطع فقم فى وسطها ،

(١) أى يوم الجمعة .

فان لم تستطع قم في اولها ، فصل أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب و سورة يسين ، و الركعة الثانية بفاتحة الكتاب و حم الدخان ، و في الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب و ألم تنزيل السجدة (١) ، و في الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب و تبارك المفصل ، فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله و أحسن الثناء على الله ، و صل على و أحسن ، و على سائر النبيين ، و استغفر للمؤمنين و المؤمنات و لآخواتك الذين سبقوك بالايمان ثم قال في آخر ذلك .

وقيل أن أذكر الدعاء أود أن أذكر أن الحمد و الثناء الذي أمر به النبي ﷺ و ذكرته الروايات الأخرى المذكورة في شروح الحصن ، و المناجات الأخرى ، بعض الأدعية لكي يسهل قراءتها على من لا يستطيع أن يقرأها بنفسه ، و من استطاع أن يقرأها بنفسه ، فليبالغ في قراءة الحمد و لا يكتفي بما أورده هنا ، و من أدعية الحمد .

(١) في الترتيب القرآني تقدم هذه السورة عن السورتين الأولين وقد رخص الفقهاء ذلك في التوافق ، ثم أن كل شفعة في التوافق صلاة مستقلة بذاتها و ليس هناك اختلاف في ترتيب السورتين في الشفعة الواحدة ، فلا كراهة إذا كما في الكوكب و هامشه .
(المؤلف)

الحمد لله رب العالمين ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزيه
عرشه ، ومداد كلماته ، اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت
كما أئنت على نفسك اللهم صل وسلم ، وبارك على سيدنا
محمد النبي الأمي الهاشمي ، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، وعلى
سائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالإيمان ، و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا
إنك رؤوف رحيم ، اللهم اغفر لي ، و لوالدي و لجميع المؤمنين و
المؤمنات و المسلمين و المسلمات ، إنك سميع مجيب الدعوات .
ثم يقرأ الدعاء الذي علمه النبي ﷺ في الحديث المذكور و
هو ما يلي (1) .

اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أقيتني ، و ارحمني أن
أتكلف ما لا يعنيني ، و ارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ،
اللهم بديع السماوات و الأرض ذا الجلال و الاكرام و العزة التي
لا ترام ، أسئلك يا الله يا رحمن مجلالك . و نور وجهك أن
تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني و ارزقني أن أقرأه على النحو الذي
يرضيك عني اللهم بديع السماوات و الأرض ذا الجلال و
الاکرام و العزة التي لا ترام و استئلك يا الله يا رحمن مجلالك .
و نور وجهك ، أن تنور بكتابك بصيري ، و أن تطلق به لساني
(1) من كلام المؤلف .

وَأَنْ تَفْرَجَ بِهِ عَنِ قَلْبِي وَأَنْ تَشْرَحَ بِهِ صَدْرِي وَأَنْ تَغْسِلَ بِهِ
بَدَنِي فَإِنَّهُ لَا يَعْزُبُ عَنِّي حِجَابٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ هـ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا
أَبَا الْحَسَنِ تَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ جُمُعٍ أَوْ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا تَجَابَ بِإِذْنِ اللَّهِ
وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَخْطَأُ . . . سَأَلْتُ

فَقَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَوَاللَّهِ مَا لَيْتَ عَلَيَّ
إِلَّا خَمْسًا أَوْ سَبْعًا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ
فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ نِيْمًا خَلَا . لَا أَخْذُ إِلَّا أَرْبَعَ آيَاتٍ
وَنَحْوَهُنَّ فَإِذَا قُرِئَتْ عَلَيَّ نَفْسِي تَفْلَتَنُ وَ أَنَا أَتَعْلَمُ الْيَوْمَ أَرْبَعِينَ آيَةً
وَنَحْوَهَا . فَإِذَا قُرِئَتْ عَلَيَّ نَفْسِي فَكَأَنَّمَا كَتَبَ اللَّهُ بَيْنَ عَيْنِي
إِلخ (١) .

وَقَفَى اللَّهُ إِيَّاكُمْ بِرَحْمَةِ نَبِيِّ ﷺ حَفِظَ الْقُرْآنَ وَ الْحَدِيثَ ،
وَصَلَّى اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عَلَيَّ خَيْرَ خَلْقِهِ سَيِّدَنَا وَ مَوْلَانَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ
وَ صَحْبِهِ وَ سَلَّمَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ



تكملة

حيث أن الأربعين من الحديث الشريف المذكور من يخص
بموضوع معين ، فلم يختصر فيه ، و لما أن الهمم في العهد الحاضر
قاصرة يصعب على الناس تحمل مشقة مهما كانت في سبيل الدين ،
فأورد هنا أربعيناً آخر ، ومن ميزته أنه يشمل جميع المهمات الدينية
حيث لا يوجد له مثيل ، و قد نسب في كنز العمال إلى قدماء
المحدثين و ذكره من المتأخرين الشيخ قطب الدين المهاجر المكي ،
فيا أسعد من حفظه من المتممين إلى الدين على الأقل ، فانه بمثابة
شراء أحجاز ثمينة بالودعات .

[عن سلمان - رضی الله عنه - قال سألت رسول الله ﷺ
عن الأربعين حديثاً التي قال من حفظها من أمتي دخل الجنة قلت
وما هي يا رسول الله ، قال أن تؤمن بالله (١) و اليوم الآخر (٢)
و الملائكة (٣) و الكتب (٤) و النبيين (٥) و البعث (٦) بعد الموت ،
و القدر (٧) خيره و شره من الله تعالى ، و أن تشهد (٨) أن لا
إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، و تقيم (٩) الصلاة بوضوء سابق

لوقتها (١) وتوتى (١٠) الزكاة و تصوم رمضان (١١) و تحج (١٢) البيت إن كان لك مال (٢) و تصلى (١٣) اثني عشرة ركعة في كل يوم و ليلة (٣) و الوتر (١٤) لا تتركه في كل ليلة و لا تشرك بالله (١٥) شيئاً ، و لا تعق والدتك (١٦) و لا تأكل (١٧) مال اليتيم ظلماً (٤) و لا تشرب الخمر (١٨) و لا تزن (١٩) و لا

(١) إن إسباغ الوضوء هو مراعاة الآداب والمستحبات للوضوء و المراد من لوقتها أن يتوضأ لكل صلاة ، و لو كان على وضوء لأنه يستحب ذلك ، والمراد من إقامة الصلاة الاهتمام بجميع سنتها و مستحباتها ، و قد جاء في رواية أخرى إن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة .

(٢) إن استطاع إليه سبيلاً . لأن توفر المال عادة يحول بينه و بين الحج فذكره ، و إلا فالمقصود هو توفر شرائط الحج .

(٣) و تفصيل ذلك كما ورد في الروايات الأخرى ركعتان قبل صلاة الفجر ، أربع ركعات قبل صلاة الظهر ، ركعتان بعدها ، ركعتان بعد صلاة المغرب ، ركعتان بعد صلاة العشاء و إلا يترك صلاة الوتر في كل يوم ، لأنها واجبه ، وحيث أنها أهم من السنن فذكرها بالتأكيد .

(٤) إذا جاز أكل اليتيم لسبب من الأسباب كما يحدث في بعض الظروف ، فلا يأكله ظلماً (المؤلف) .

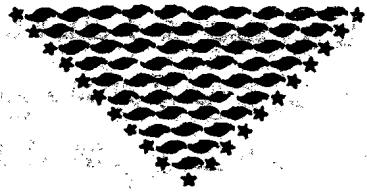
تحلف بالله (٢٠) كاذباً ، و لا تشهد شهادة زور (٢١) و لا تعمل
بالهوى (٢٢) و لا تغيب أخاك المسلم (٢٣) و لا تقذف المحصنة (٢٤)
و لا تغل أخاك (٢٥) المسلم ، و لا تلعب (٢٦) و لا تله مع اللامين (٢٧)
و لا تغل للقصير (٢٨) يا قصير تريد بذلك عيبه ، و لا تسخر
بأحد (٢٩) من الناس ، و لا تمش (٣٠) بالقيمة بين الأخوين ،
و اشكر الله (٣١) تعالى على نعمته ، و تصبر (٣٢) على البلاء و
المصيبة ، و لا تأمن (٣٣) من عقاب الله و لا تقطع (٣٤) أقرابك
و صلهم (٣٥) و لا تلعن أحداً (٣٦) من خلق الله ، و أكثر من
التسبيح والتكبير والتهليل (٣٧) و لا تدع حضور الجمعة والعيد (٣٨)
و اعلم (٣٩) أن ما أصابك لم يكن ليخطئك و ما أخطأك لم يكن
ليصيبك ، و لا تدع قراءة القرآن على كل حال (٤٠) .

رواه الحافظ أبو القاسم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق
بن مندة ، والحافظ أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن بالويه الرازي
في الأربعين ، و ابن عساکر و الرافعي عن سلمان ، قال سلمان :
قلت يا رسول الله ما ثواب من حفظ هذه الأربعين قال حشره
الله تعالى مع الأنبياء و العلماء يوم القيامة .

عن الله سيئاتنا و ألحقنا بالصالحين بفضلته و كرمه و ليس
ذلك بعزيز على كرمه ، فانه رؤوف رحيم ، و اني ألتبس إلى

القارئين أن لا ينسوا هذه العاصي في دعواتهم (و مترجم هذا
الكتاب) و ما توفيق إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله لولم يكن الله ذو فضل
لما كنا لنكون له شاكرا
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله لولم يكن الله ذو فضل
لما كنا لنكون له شاكرا



الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله لولم يكن الله ذو فضل
لما كنا لنكون له شاكرا
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله لولم يكن الله ذو فضل
لما كنا لنكون له شاكرا